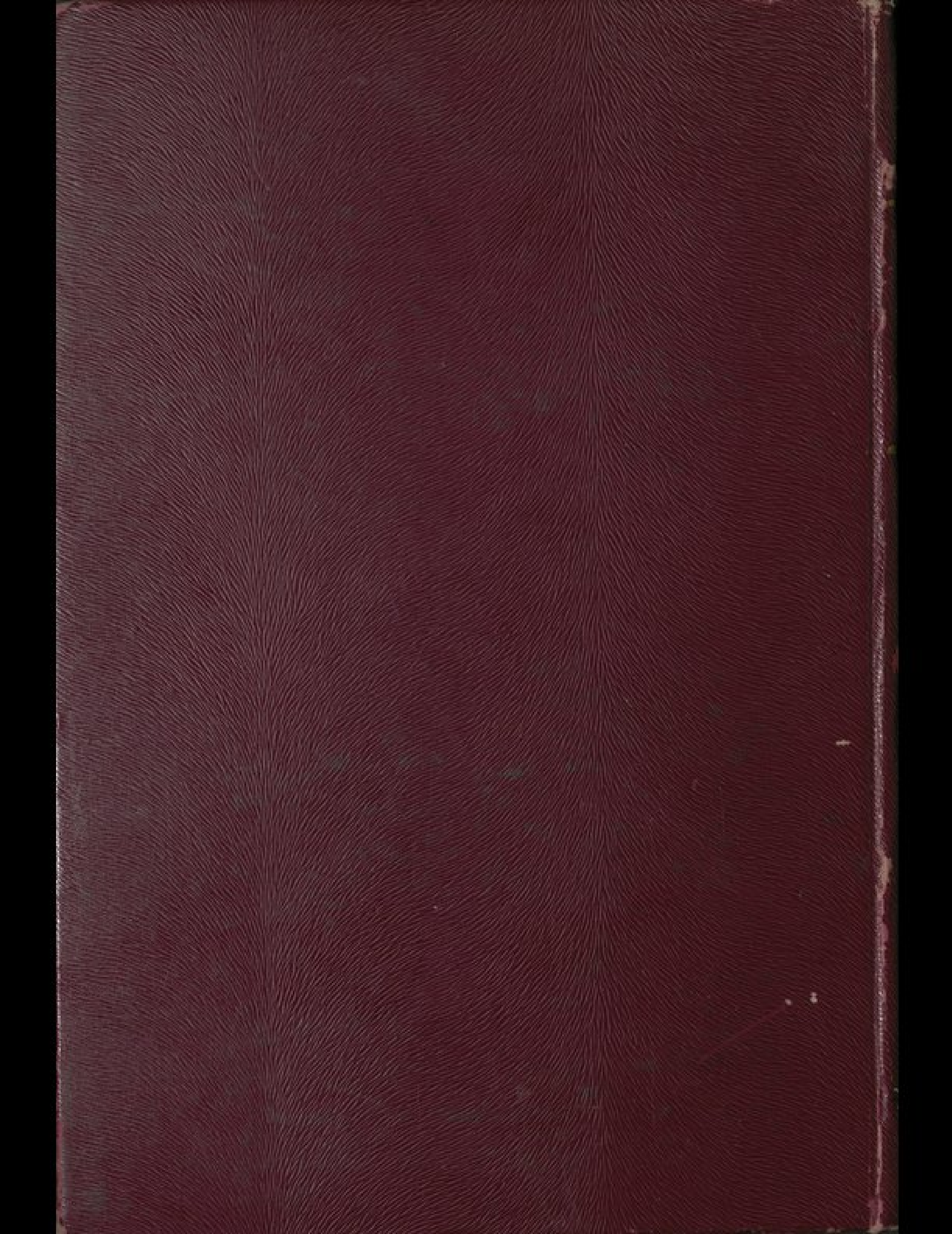
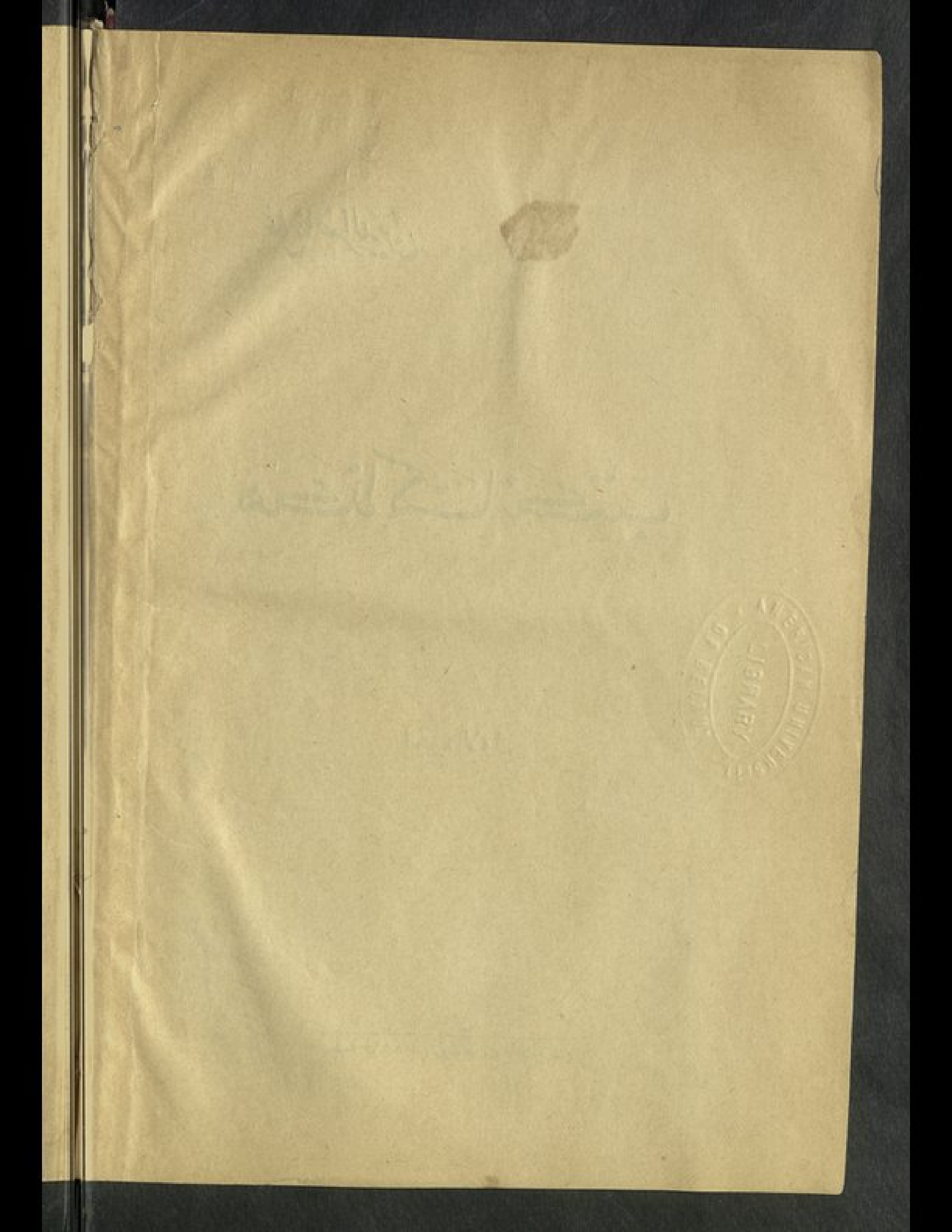


الى حضرة الاستاذ
الحكيم فؤاد صروف

[illegible]



للمؤلف

—

الاتحاد السوري العراقي نقد

قضية العرب

ايمان ساعة نقد

هتلر واليهود ترجمة

او السياسة اليهودية في المانيا — لم ينجز طبعه

جنون الابطال ترجمة نقد

الصحافة ترجمة نقد

الصحف التي كان لها نصيب

من مقالات هذه المجموعة

الاحرار	لسان الحال
العهد الجديد	القبس
	الايام
الشرق	اليوم الدمشقية
البلاغ	اليوم البيروتية
البيرق	المساء
النداء	الحديث
السيار	الرائد
اليقظة	العالم العربي البغدادية
اللواء	مجلة العروبة

وغيرها لم تحضرني اسماؤها

الى الرجل الذي تلتقي افكاري بافكاره ، في قضية الايمان بالعروبة والاسلام ، وتنزيهها ، والذي لولاه ، لم يتيسر وضع هذا الكتاب بين ايدي القارئين ، اخي الدكتور مصطفى الخالدي ، المصلح المخلص ، اهدي هذا الكتاب

المؤلف



الدكتور مصطفى خالدي

ثواب ...

من دواعي الاعتزاز عندي ، والتأسي ، ان يتلطف بكتابة هاتين الكلمتين ، في مطلع كتابي هذا ، سيدان جليلان من الصفوة المختارة ، في الاسياد الاجلاء المؤمنين ، من يعرب ، قاما قيام الغطاريف المترفعين ، بالعظيم الضخم ، من الاعباء ، في سبيل جمع شتيت هذه الامة وحريتها ، وبعثها وسيادتها ، وخيرها ومنعتها ، وسع صدراهما القديم والجديد ، وتراحم في نفسيهما الطارف والتليد : هما الامير عادل ارسلان ، والنكدي الكبير ابو مروان .

الكلمة الاولى

تُصاب الأمم من قاعدة وقائمة او متحفزة للقيام بمصائب ونكبات يرميها بها عدو خارجي او خارج داخلي او جهل من ساستها او تخاذل بينهم او خيانة او عجز الى آخر ما يكون من اسباب كثيرة تفت في الأكباد . وقلّ ان تجتمع تلك الاسباب كلها او جلها على أمة من الأمم ، فان اجتمعت على احداها دون ان ترديها كان في ذلك دليل على مناعة ، وبشارة بحصانة وايذان بشفاء ودافع الى استواء .

ويقوم في الامم المنكوبة بمثل ما ذكرنا ، رجال في غرائزهم ما لا يُشركهم في القبول بذلة والصبر على مسكنة والتلهي بوعود ، لا اجل

لوقاتها ،وبروق مجهولة مساقط مائها ،وفي نفوسهم ما لا يريهم القليل من الخير كثيراً،والبعيد منه قريباً، فان لم يكن الى ما يريدون لأمتهم سبيل من سلطان يستعينون به ،او رأي عند ذوي السلطان يفيدون منه لتقويم ما اعوج واصلاح ما اختل،فقصاراهم ان يبثوا شكواهم في شعر او نثر او كلام . والسيد علي ناصر الدين من هـــذا القبيل من العرب القوميين الذين نُكبوا بالعام والخاص من المكاره ،فما عزاهم بعض عن بعض ولا عوض شيء عن شيء،ولا لان للنوائب ما صلب من نفوسهم. فما في حياتهم ما يهد لعزاء او يروج لهناء الا ان تقوم لهذه الامة نهضة فيغمرهم مجدهـا ويشملهم عيدها ويذهب نورها المقبل بظلمة يأسهم المدبر. على ان اقتل ما يصيب هؤلاء، قلة المجيبين الى ما يدعون اليه ، بل قلة الباكين حولهم عـلى ما يبكون عليه ،فكأنهم في مأتم على محبوب، سلاه ذووه الا هم فلبسوا الحداد عليه وحدهم

والعرب في حالهم اليوم هم اهل ذلك الحق السليب والكرامة الجريح، صبر عنهما بعضهم ولم يصبر بعض ،ونام عنهما فريق وأرق فيهما فريق، وتسلى قوم منهم بحكمة « ان الامور مرهونة باوقاتها » وقال آخرون ان تلك الاوقات لا تأتي عفواً ولا تدرك وهماً ، وانها حتما نتائج لمقدمـات وحصاد لزرع ،فمن اضاع عمره في انتظار الخير دون همـــة وتوقع الفوز دون أهبة ،كان آتيه شراً من ماضيه .ولئن كان نقصاً في بصيرة الامم ان تجهل عوامل ضعفها، فاعظم من ذلك نقصاً ان تجهل عوامل قوتها.

للأمة العربية من أسباب القوة الحربية والسياسية والاقتصادية ما لم يتكامل الا لدى القليل من الأمم، لكنها بدأت نهضتها من حيث كان

ينبغي ان تنتهي اذ آثرت الرفاهية على الكرامة واللهو على المنعة والترف على القوة ، فلما وقعت التجربة لم تغن المقاصف عن العواصف ولا السيارات عن الدبابات . يضاف الى هذا النقص في التفكير والتدبير ، اعوجاج في اخلاق « المسؤولين » وهم الذين كان يقال لهم قبل هذا العصر اهل الحل والعقد، وكفى دليلا على ذلك الاعوجاج ، سيرة ملك واحد ظلت اقلام المتزلفين ترفعه مدحاً وثناء بل كذباً ورياء حتى هبط به الغرور ، فعلمت الدنيـــا أن اكبر الدول العربية كانت العوبة في ايدي نفر من زبانية الفجور جاءت فضائحهم حجة جديدة للناقمين الساخطين

كندا دولة من اجزاء الامبراطورية البريطانية حديثة العهد بالاستقلال سكانها اثنـا عشر مليونـاً ، نصفهم من سلالات انكليزية وارلانـدية وسكوتلاندية وربعهم من اصول فرنسوية لاتينية والربع الرابع من عناصر جرمانية وشمالية وصقلية وشرقية . كان دخلها قبل الحرب الاخيرة نحواً من مئة وعشرين مليوناً من الجنيهات، وكان لها زراعة نامية وصناعة راقية فما مضى عليها بعد الحرب الا سنوات قليلة ، حتى صارت في الصف الاول من الدول الصناعية ، وحتى صارت دولة تستغني عن غيرها ولا يُستغنى عنها بينما العرب دول ثمان وسلطنات وامارات ومشيخات يزيد دخلها السنوي عن دخـل كندا ثلاث مرات ، لكنهن مـا زلن عاجزات - منفردات ومجتمعات - عن صنع مدفع واحد فكيف يلام من بني قومنا من عيل صبره وضاق صدره

عادل ارسلان

الكلمة الثانية

ابو وائل ، علي ناصر الدين : رجل آمن بقوميته العربية ايماناً صادقاً عميقاً . ما بدّل ولا هادن ، ولا جبن ولا ضعف ، على ما الم به من نكبات : شرد ، ونفي وسجن ، واعتقل ، وحوكم وحكم.

ملت دوائر الانتداب – على قوتها المادية – عداءه – وما مل – على ضعفه المادي – عداءها

رافقته في بدء الاحتلال جماعة خيل اليها ان الحلفاء[1] جادون في ما وعدوا به،صادقون في ما عاهدوا المستضعفين من الشعوب عليه ، وان الاحتلال لن يكون الا سحابة صيف وتقشع، فلا يصيبهم من شره شؤوب . فلما ان طالت عليهم الطريق ، عمدوا الى معاجيلها ، وشردوا على الوطن ، وراء مغانمهم ومنافعهم – الا من عصم ربك وقليل ما هم – فكان علي من هذا القليل ، اثبت في ميدان الجهاد رجله، ووطن على العذاب نفسه، راضياً مختاراً ، صابراً مصابراً

هاجر علي في مطلع شبابه، ثم كان ان اشعل الحلفاء نار الحرب العالمية الاولى ، ولبسوا لها المسوح ، ورفعوا اصواتهم ينادون بمبادىء الحرية والاستقلال ، وبحق تقرير المصير . وخدع ابو وائل بمعسول القول ، وبممسوح المعروف «[2]» – ولا عليه فقد خدع قوم باكاذيب الحلفاء من قبله ومن بعده – فاجاب الدعوة ، وهجر عمله ، وانضم الى جيش الشرق وكانت فرنسه قد الفته للتمويه على اعين الشعوب.

---

(١) استعملنا « الحلفاء » هنا وهي اللفظة التي اختارتها انكلترة وحلفاؤها لقبا عليهن. وان كانوا يعرفون قبلا بدول الاتفاق

(٢) مسحه قال له قولا حسنا ليخدعه . والعرب تقول: مسحه بالمعروف من القول، وليس معه اعطاء .

دخل علي وطنه الاصغر : لبنان ، في جيش التحرير . والبلاد بين فكي : « الجوع الاغبر والموت الاحمر » ورأى الحلفاء ان يموروا البلد دفعاً للمجاعة عنه ، وشغلاً عن الحرية والاستقلال لمن كان يريدهما من اهله فكانت مصلحة الميرة ، « الاعاشة »وجعلوا عليها نفراً ممن اعتمدوه لاخلاصه لهم او ممن ائتمنوه لثقتهم بامانته ، فكان علي احد هؤلاء الذين ائتمنوهم. فاحسن عمله : وزع فعدل ، وسوى فانصف . ولا يزال من يذكر المعروف ، يذكرون ايامه بالخير والمعروف .

وخرج علي من عمله صفر اليدين«[1]» ،وخرج اصحابه بالمئات والثروات . ورأى صاحبنا : ان الحرية والاستقلال ، وحق تقرير المصير ،الاماني التي منت بها انكلترة وفرنسة ، ان هي الا الاعيب واكاذيب من الاعيب السياسة الاستعمارية واكاذيبها ،خدعوا بها المظلومين والمضطهدين من الشعوب ، خدعة الصبي عن اللبن .فاسف علي على ما كان منه ، من ثقة وتصديق ، وغضب على ما كان من الدول من تضليل وتلفيق . ولا يزال الى يومنا هذا غضبان آسفاً .

ولو ان علياً اراد من الفرنسيين ما اراده غيره منهم من وظائف ومنافع ،لكان الامر اقرب اليه من حبل الوريد ، فهو قد دخل مع القوم

---

(١) وكان يقع لابي وائل ان يلازم بيته ، وان يأوي الى فراشه . ويتساءل عنه اخوانه ؟ فيقال : مريض . ويزورونه . فيزعم : انه اشير عليه بالحمية : الحليب ولا شيء غير الحليب

وما على الرجل حمية ، ولا به مرض ، ولكنه يتمارض لضيق يده ، فلا يجد ما يريده ، وتكبر نفسه فلا يقول لاخ له اقرضني الى أجل . والناس على ثقة انه اذا وعد وفى ، واذا اقترض وفى

فعرف كثيرين منهم من اصحاب السلطان ، وعرف لغتهم .

رجع علي الى قلمه ، يصلي الانتداب واساليبه وطرقه ، ناراً حامية ، ويقول فيه، كاتباً وخطيباً، ما قل ان جرؤ احد على قول بعضه . فكانت هذه المقالات التي جمعها اليوم بكتابه« هكذا كنا نكتب » وهي مقالات صادرة عن قلب معمور بالايمان ،جرى بها لسان صدق ، فاملاها على قلم حق

ودخلت البلاد في العهد الذي اسموه استقلالا ، فاذا بالذي كان بالامس عميل الانتداب ، اصبح زعيم « الاستقلال » واذا بحظ البلاد رهن بيد الذين رباهم الاجنبي لخدمته ، وادبهم لنفسه ، واذا بالمحروم في يومه ، هو المحروم في امسه. ما اشبه الليلة بالبارحة. والشعب حاله حاله لا يفرق بين المحسن والمسيء «[1]»

ذكرتني حال علي ، علياً الايوبي ، يوم قال وقد حرم حقه :

فانظر الى خط هذا الاسم كيف لقي

من الاواخر ما لاقى من الاول «[2]»

وشيء كنت اتمناه : هو ان يجمع لرجال الاستقلال اليوم . مجموعة على مثال ما فعل ابو وائل . يكون عنوانها :

« هكذا كانوا يكتبون ويخطبون ويقولون »

عارف النكدي

---

(١) في هذه المقالات اشارة الى رجل من البنادين خرج على رأي قومه. قالوا بالانفصال وقال هو بالوحدة ، والا فبالاتحاد . ورجل آخر قال قومه بالوحدة فقال هو بالانفصال ثم بالقطيعة . انكر الاول قومه ، ولم يأبه له الآخرون . وحمد الانفصاليون الثاني موقفه - وذلك من حقهم - وقدسه الاتحاديون . وسبحان مقسم الحظوظ .. والمقول في هذه الامة المازلة ! .

(٢) اشارة الى ما جرى على علي بن ابي طالب (رض)

مقدمة الكتاب

هذا الكتاب ليس فيه جديد ، فهو مجموعة من مقالات ، كتبتها ، في بُرَهٍ متفاوتة . وكنت اود ، لو انــه اجتمع لي ، كل ما كتبت ، او معظمه ، ولكنني نشأت قليل العناية ، في الاحتفاظ بما اكتب . والمجموعة هذه ، جمعها قبضة من الاصدقاء ، ما كانت لتجتمع ، لولا ان يشاؤا .

كتبت هذه المقالات ، وغيرها ، مما لم يتيسر جمعه ، خلال سنوات ، كنت اعتقد ، انه اذا تحرر وطني ، او جزء منه ، من الاستعمار ، فمن غير المحتمل ، ان يمر بوطني مثلهـــا ، او ما يشبهها ... ذلك ان تلك السنوات ، ذهبت – بما كانت تحمله في احشائها ، وفي هاماتها ايضاً ، – مضرب المثل ، في انتهاك الانسان حرمة الانسان ، وفي هزء « القوة » الوحشية ، في الانسان ، ب « حق » الانسانية في الانسان ، وبحرية الانسان !

وذهبت مضرب المثل في سطو دولة على دولة ، او على امة ، ليس لها دولة ، وتريد ان تنشيء لها دولة . وفي التفنن الوحشي في الاستغلال ، وفي الاستعباد من جهة ، وفي استمراء « ناس » – عجزوا ان يكونوا اناساً – للعبوديات المتنوعة ، من جهة اخرى ! وذهبت مثلاً في السلب والنهب ، وفي الافساد والاضطهاد ، والوعد والوعيد ، والاغراء والتهديد ! ورغم ذلك كله ، وقد يصح القول ، بل لذلك كله ، كانت تلك السنوات ، في حياة امة ، قليلةً عدّاً ! وتحررت بلادي من الاستعمار ، واستقلت !.

وليس من اغراض هذه المقدمة ، الكلام المفصل عـــلى « حكاية »

الاستقلال ، – وللاستقلال في لبنان حكاية ، غير التي حُكيت و كُتبت ، – فلهذه الحكاية مؤلف خاص ، لما يحن موعد نشره ، وسننشره ان شاء الله . ولكن مقارنة عابرة ، تفرضها هذه المقدمة ، الجائني الى ذكر الاستقلال .

قلت ان بلادي قد تحررت واستقلت ، ولكن تلك السنوات التي ذكرت ، اي سنوات الاستعمار ، او «الانتداب» كما كانوا يسمونه ، جاء عهد الاستقلال ، امتداداً لها مبطناً ، فمرت بلبنان ، سنوات ، تشبهها ، في كثير ، و ... تفوقها في كثير ... وبركت بهذه البقعة الجميلة ، من وطني العربي الكبير ، حقبة تاريخية ، سماهـــا اشخاص رسميون من اللبنانيين واتبـاع لهم وولدان ، « العهد ! » وصارت هذه الكلمة : « العهد ! » علماً لهذه الحقبة ! وانها في الواقع ، لحقبة عجيبة غريبة ، متفردة ممتازة ، اعادت الى الشيوع في اللبنانيين – واقرر هذا بمرارة – ذلك المثـــل المشهور ، « رحم الله النبـاش الاول » ، ولكن في الم الخيبة الحنظلي ، عند فريق ، وفي لؤم الشماتة الساخرة عند فريق .

و كتبت هذه المقالات ، وغيرها ، مما لم يتيسر جمعه ، يوم كان التفكير بكتابة مثلها في لبنان – على هناتها – اذا هو انكشف امره ، مدعاة عند السلطة الفرنسية ، للتنكيل بمن يفكر ان يكتب ، بلهَ من يكتب ، فقد كان السجن ، والنفي ، والتشريد ، ادنى ما تعده السلطات الفرنسية لمثل هذا الكاتب الذي (لا يدرك مصلحته ، ولا مصلحة بلاده ، ولا يقيم وزناً لرسالة التمدين ، ومهمة الحماية ، تضطلع بها هذه السلطات ! الحماية من خطر العدوان والغزو ، يقوم بها «العرب المتوحشون» ؟ !)

اما المماليك ! اهـل الجبن والصغار ، والعبيد البيض ، عبيد القرش

والفرش ، الذين لهم في اجوافهم وفي اجسامهم ، قلوب السائمة ، ونفوس السائمة ، من ابناء بلدي لبنان ، والذين كانوا يندهشون من ذكر كلمة حق ،وحرية ، وشرف ، واستقلال ، ويندهشون ، ويغتاظون ، لسماعهم كلمة عرب ،وعروبة ، وامة عربية ، ووطن عربي ، ويسخرون من هذا كله ، اما هؤلاء ، فكانوا يرون في كتابة مثل هذه المقالات،المعبرة عن « الجنون » ! مضطرباً واسعاً للدس ، والوشاية ، والتحريض ، وتسميم النفوس ، وتمزيق الصفوف ، باسم الدين والمذهب حيناً ، وباسم العقل ، العقل المتصنّع ، عقل الاناني الجبان ، حيناً آخر ... وكانوا يتقربون بما نكتب – منهم في الخفاء ، ومنهم في العلانية – الى جماعة السلطة ، التي كانت تحتقرهم وتكرهنا ، وتحبهم ؟ وتحترمنا ، فتستغلهم استغلالا رخيصاً مزرياً ، تتوهم ، انها تمكن به لنفسها ، في ارضنا وفي نفوسنا ، ونوقن نحن ، انها تهدم بيديها ، وايدي زبانيتها اولئك ، ما كان لها في الماضي البعيد ، في بعض هذه الارض ، وبعض هذه النفوس ، وانها خارجة يوماً ، من هذه الارض كلها ، ومن هذه النفوس كلها ، طال على ذلك الوقت ام قصر !

وما ان دار الفلك دورته – وما اكثر ما يدور هذا الفلك – ، حتى تجسد يقيننا وتبلور ، وتمزق وهمهم وتبخر ... و ... وقع الجلا !

ولا يقلل من نصوع هذه الحقيقة ، ولا ينتقص منها ، ان الجلاء ، لم يكن اهل البلاد ، ابطاله ! مع عمل العاملين – على قلتهم – من اهل البلاد للجلاء . ولا يقلل من نصوع هذه الحقيقة ، ولا ينتقص منها ، الواقع المخجل المؤلم ، بعد الجلاء . فسيجلي هذا الواقع نفسه يوماً ، ليحل محله واقع مشرق ، محسن ، نيّر ، يكون ابطاله ، اهل البلاد ...

وقع الجلاء ! وجاء « العهد ! » فتجسد عهد « الانتداب » كما كانوا

يسمونه ، في «العهـد» جشعاً ، ومبوعة ، وفوضى ، وجهلا ، واثرة وانحلالاً ، وادعاء ، وغروراً ، وتدجيلا ، وكذباً على الناس ، والتاريخ ، وتزويراً ! واصبح الاستقلال اداة للاستغلال الدنيء المجرم ، استغلالاً ، ما عرفنا له ، في دنيا الناس ، مثيلا !! فقد اضاف جماعة «العهد» – الا اقلهم – الى «العهد» من المناكر ، ما قصر عنه جماعة «الانتداب» من قبل ، من مثل العبث بالحق ، والخوض في الباطل ، وهتك حرمة القانون ، وسقوط هيبة الحكام . ومن مثل استغلال المناصب ، للاثراء الجاني ، من قوت الشعب ، ولحمه ، ودمه ، وانتفاء العدل ، والامن ، والطمأنينة . ومن مثل تحطيم مقاييس المعرفة ، والكفاءة ، والرجولة ، والاخلاص للوطن ! وانتهاك القيم الروحية ، المميزة للعالم الانساني ، والقائمة فارقاً وحيداً ، بينه وبين عالم الحيوان ! ففقدت الالفاظ مدلولاتها ، وحالت معاني الامور ، الى اضدادها . وغمرت الناحية الروحية ، في هذه البقعة الجميلة من بلادي العربية الكبيرة ، ظلمة ظلماء ، راح الناس فيهـا ، يتهاوون الى الهاوية ، وما يزالون ...

وكتبت هذه المقالات ، تكلفني من روحي ، وجسمي ، ودمي ، سجناً ، ونفياً ، وتشريداً ، وحرماناً ، وعذاباً مستمراً ، قرابة ثلاثين عاماً ، ايام كان رجـال «العهد !» ، وابواقه – الا النذر اليسير – قسم يتمرغ على اعتاب المستعمر الزنيم ، فان فاته هذا «الشرف !» ، فعلى اعتاب عبيد المستعمر ، الخونة المارقين ! وقسم سماسرة ، وجواسيس ، و ... غير ذلك ... يأكلون لحوم اخوانهم ، ومواطنيهم ، ويلغون في اعراض الاباعد ، والاقارب ، من ذويهم ، جذلين ، مغتبطين ! وقسم ، نكرات ، ومرتزقة ، يجمعهم طبل حاكم ، مزيف جبان ، او اقطاعي «رسمي» فدم !

ويفرقهم « كرباج » احقر ضابط ، من ضباط المستعمرين ، او جندي سنغالي ، من جنودهم الممدنين !! وقسم ، ابداً في سوق النخاسة ، يزاحم افراده ، الواحد الآخر ، في رخص الاسعار ! السنة ! اقلام ! ضمائر ! كل يؤكد انها عنده ، ارخص منها عند زميله ! وكلهم صادق فيما يقول !!

وانه لمن الغرابة والشذوذ ، فعلا ، بحيث يكاد المرء ، يكفر بعدالة السماء ، وصحة السنن الطبيعية ، في التطور ، والتقدم ، ان تنكشف رواية الاستقلال ، عن ان سماسرة الاستعمار ، وعبيده ، صاروا ، من ابطال الاستقلال ، واسياد الاستقلال ، — وما ادري كيف يكون السماسرة ، والعبيد ، ابطالا ، واسياداً — وعن ان هزل القدر ، مضافاً اليه ، قلة حياء اشباه البشر ، من كهول ، وشبان ، وصبيان ، شق لاشخاص من هؤلاء ، طريق التبجح ، والانتخاء بالرجولة ، وقوة الشكيمة ، وسمو المبدأ ، وشرف النضال !!!

ويدعو هذا الى خاطري ، ولكن في ألم المفجوع بمواطنين واخوان ، حكاية ، رواها المرحوم ولي الدين يكن ، في احد مؤلفاته ، — ولعله الصحائف السود — قال ما مؤداه ، باسلوبي الخاص :

استقل يوماً ، جماعة من الشبان المصريين ، قارباً للنزهة ، في النيل ، ولدى عودتهم ، ونزولهم الى الشاطىء ، فاجأهم حنش — ولعله حنفيش ، فانه اضخم — فهلعت قلوبهم ، وهربوا ، الا ثلاثة منهم ، تعاونوا على قتله ، بالمجاذيف ، وصعدوا الى الجسر ، ينادون رفاقهم ، ان يعودوا ، فعاد هؤلاء ، ولكن مضطربين ، قلقين ، فاخبرهم رفاقهم ، بكل بساطة ، انهم قتلوا الحنفيش !

— قتلتموه ! ازاي . موش صحيح !

ـ قتلناه بالمجاذيف ، وانتهى الامر .
ـ مش حانصدق ، حتى نشوفو .
ـ طيب . شوفوا. أهو .. واشار الثلاثة معاً ، من على رقبة الجسر ، الى الخنفيش ، فاذا الهاربون العائدون ، يرونه مطروحاً ، فعلاً ، لا حراك بـــه . فثارت حماستهم، واندفعوا بـ ... «شجاعة»... الى حيث كان الخنفيش ،مطرّحاً ، حتى اذا اقتربوا ، من جثته ، تحرك «العقل» عندهم ، فاوصى بالروية ، والحيلة وحب السلامة ، واصغى «العقلاء» لوصية «العقل» فتيقظت فيهم ، طبيعتهم الحقيقية ، فخافوا ، واحجموا .
ـ يمكن الخنفيش ، ما يزال فيه رمق !
وارتأى «اعقلهم» ان يأتوا بعود طويل ، طويل جداً ، يجسون بـه ، من بعيد ، جثة الخنفيش ، ليتحققوا من مقتله . فجاؤا بسعفة ، يابسة، من سعف النخل ، تناولها «الشجاع» فيهم ، واخذ يقربها ، من جثة الخنفيش ، في كثير من الرفق ، والاناة ، و... الشجاعة ! والى جانبيه ، ومن ورائه، رفاقه الاشاوس ، ينظرون ، ويستعدون ، يستعدون لـ ... هرب . ومسّ راس السعفة ، جثة الخنفيش ، فلم يتحرك ! واعاد صاحبنا العملية ، ثانية ، وثالثة ، والخنفيش ، لا يتحرك ! فسكنت النفوس ، واطمأنت القلوب ، وانبسطت الاسرّة ، ثم ثارت النخوة الحقيرة ! وتحركت الشجاعة الجبانة ! وعلا الصياح ، ووقع الهجوم ... وما هي الا هنيهة ، حتى حمل المهاجمون ، جثة الخنفيش ، على السعفة ، ونقلوها الى الجسر ، يخوفون بها المارة ، ويتبجحون ... انهم قتلوا الخنفيش !!!
هجم علينا ، فقتلناه ...
قلت ان الجلاء ، لم يكن اهـــل البلاد ، ابطاله ، وهذه حقيقة ، من

الرجولة ، على الاقل ، ان لا تنكرها ، وان تكن حقيقة مرة مؤلمة ! على ان هذا لا يعني ، انه لم يكن في اللبنانيين احرار ، يعملون بايمان وشجاعة ، لتحرير لبنان ، واستقلاله ، وجلاء المستعمر عنه ، فـــان في اللبنانيين ، احراراً مؤمنين — وان قلوا — كانوا ، وما يزالون مثلاً فذاً ، في مكافحة الاستعمار ، وفي النضال ، من اجـــل الجلاء ، والحرية ، والاستقلال ، والاتحاد . حرية لبنان ، وبقية البلدان العربية ، واستقلالها ، واتحادها .

ولكن هولاء ، كانوا يحاربون على جبهتين — اذا صح التعبير — يحاربون على الجبهة الغربية ، والعدو فيهـا ، الاجنبي المستعمر ، فرنسياً كان ذلك الاجنبي ، ام انكليزياً ، ام ايطالياً ، ام غير ذلك ، ويحاربون على الجبهة الداخلية ، والعدو فيهـا ، مواطن ، ويا للاسف ، ولكنه ، اما اقطاعي «رسمي» لا يفهم للقومية والوطنية ، والحرية ، معنى ، او عبد ، يعنيه ما يعني العبد ، من املاء جوفه ، وما الى ذلك ، او «جاسوس سلم» كل همه ان يلعب ، ويطرب ، ويلهو ، وان تتوفر له اسباب هذا كله ، انى تتوفر ، لا فرق ، اعند الطليان ، كان ذلك ، ام عند الفرنسيس ، ام عند الانكليز ، ام سواهم ، وما كانت هذه « الاصناف » قليلة العدد ، ولا قليلة النفوذ والسلطان ، تستمدهما من الحاكم المستعمر ، ومن جهل المواطن المخدوع وبؤسه ... وقد تكون الحرب الثانية ، هذه ، اشق الحروب ، واطولها امداً ، وجبهتها ، اوعر الجبهات ، واشدها خطراً .

ومن الطبيعي ، ان يرى الوطنيون الاحرار ، انه ليس من التحرر والاستقلال ، ان تستبدل البلاد ، بنير ، نيراً آخر ، وان تطمئن الى سيد غريب جديد ، مـــكان سيد غريب آخر . ولعلهم كانوا يعلمون ان « الامبراطورية » قررت ان تجلي فرنسا ، عن هذه البلاد ، وان تحس

الانكليز ، لاستقلال لبنان ، يعني تحمساً لاحلال النفوذ الانكليزي ،محل النفوذ الفرنسي ، ليس غير... ولكن من دون ان يحل ، محل كل جندي فرنسي ، جندي انكليزي ، « وهذا اهون الشرين » . وكان المطلعون على مجرى السياسة العالمية ، او على السياسة الانكليزية والسياسة الفرنسية - على الاقل- من بين الوطنيين الاحرار، يعتقدون ان موقف الانكليز، ذاك ، انما هو محاولة « لمشتري » غلطة ، او خطيئة ، وقعت فيها « الامبراطورية » مع فرنسا في لبنان ، سنة ١٩١٨ ، ثم ما لبثت ان ندمت عليها ، وقررت ، ان لا تقع ، في مثلها ، مرة ثانية ، ابداً . وهي في سنة ١٩٤٣ ، تنفذ قرارها هذا ، وتشتري غلطتها او خطيئتها ... سنة ١٩١٨ .فكان موقف الوطنيين المخلصين الاحرار،موقفاً حرجاً جداً ، لاسيما ، وان الذين كانوا ، منذ اول ساعة ، احتل فيها ، الجيش الفرنسي « الحليف ! » لبنان سنة ١٩١٨ ، حتى سنة ١٩٤١، دعاة وسماسرة وعبيداً ، للاستعمار والمستعمرين ، قد تحولوا « بقدرة قادر » وبسرعة عجيبة ... - الا اقلهم - الى اعداء للفرنسيين ، باسم الاستقلال ! استقلال لبنان ، الذي كانوا يعادوننا ، ويتجسسون للفرنسيين علينا ، لاننا نعمل له ،والذي اخذ الانكليز يحببونه الى نفوسهم ، بحيث وجد عجيبين ، ويدفعونهم باسمه ، ولكن في رفق انكليزي ... الى الوقوف بجانبهم ، والانتقاض على الفرنسيين ! كأن الاستقلال ، صندوق من المقددات ، او علب « الكونسروة » الانكليزية ، يتناولونه من بين آلاف ، او ملايين الصناديق ، من اقبيتهم ، وعنابرهم ، ويقدمونه مكافأة ، لمن يأتمر باوامرهم ، او يماشيهم ، في مؤامراتهم ، على حق الشعوب ، وحريتها ، وسيادتها ، وكرامتها ، وطعامها وشرابها . وفي مؤامراتهم ، على حلفائهم واصدقائهم ،

واهل العهد عندهم! كلما رأوا ، او توهموا ان في ذلك ، مصلحة لهم!!

وما كان الانكليز ، في حاجة الى مثل هذه اللعبة ، وهذا العناء ، لحمل المتفرنسين على ان « يتنكلزوا » ، ولسوق الدعاة والسماسرة ، والعبيد ، للاستعمار الفرنسي ، الى الدعوة ، والسمسرة ، والعبودية ، للاستعمار الانكليزي ، فالانسان لا يكون عبداً لاحد ، الا لما في تركيبه النفساني من عناصر السوء ، والجبن ، والمهانة ، والصغار ، ومن كان كذلك ، فهو مستعد ، ابداً ، ان يكون عبداً للاقوى ، اياً كان ! وكان الانكليز اقوى ، واقدر على الثواب ، والعقاب... ولكن الانكليز ، على علاتهم ، اهل اناة ، ودهاً ، وبصر في عواقب الامور ، ما تستبد بهم الحماقة ، ولا تستهويهم ، الا بمقدار ، مظاهر السلطة الفخمة ، الفارغة ، ما داموا قادرين من دون اللجوء ، الى هذه المظاهر ، على تحقيق ما في نفوسهم ، من اغراض ، وغايات !! ولعلك مـا تجد مثلهم ، ناساً ، حتى ولا اللبنانيين انفسهم ، يقوون على الاستفادة ، بكل بساطة وجد ، من المثل المشهور عندنا ، في لبنان : « بدك تاكل عنب بـا تقتل الناطور ! » فالانكليز يريدون ان ياكلوا عنباً ، وحسب ، وانهم لآكلون هذا العنب ، فما لهم وللناطور يقتلونه ؟ !

ولكن الوطنيين الاحرار ، رغم هذا كله ، لم يكن في وسعهم ، ان يحجموا ، و «يتفرجوا» ، فخاضوا «المعركة» واعين ، مخلصين ، وفي اعماق نفوسهم ، العزم الصادق ، على ان يكافحوا ، دون حرية بلادهم ، واستقلالها ، واتحادها ، الانكليز ، وغير الانكليز ، كما كافحوا ، من قبل ، الفرنسيين وغير الفرنسيين .

فليعملوا ، الآن ، للجلاء ، كما كانوا يعملون . ولكل حادث حديث !

ووقع الجلاء ! فاذا البـــلاد ، في وضع ، يُضطر الاحرار ، الى ان يكافحوا ، ليس الانكليز ، بل القائمين بالامر انفسهم ، من اللبنـــانيين ، في عهد الحرية ، والاستقلال ! والمكلفين حكماً ، رعاية هذه الحرية ، وهذا الاستقلال ...

ما كنت لأشير الى هذا كله ، في هذه المقدمة ، لو ان الذين حملوا الخنفيش ، «القتيل» على السعفة ، وراحوا يخوفون به المارة ، بعد ان هربوا منه ، فقتله رفاقهم الثلاثة ، سكتوا — على الاقل — ولم يخوفوا احداً .. ولم يدعوا شيئاً ، ولم يتبجحوا بشيء ، وتركوا الخنفيش القتيل وشأنه ، وراحوا يكفرون عن ماضيهم القريب ، والبعيد ايضاً ، ويعمـــلون مع رفاقهم « القـــاتلين » الرضناء المتواضعين ، بصمت وجد ، واخلاص ، لسد الطريق ، على خنافش جديدة ، قد تأتي من خارج البيت ، او قد تكون كامنة داخله ، ويتعاونون على قتلها ، لـكي لا تهدد — كلما خطر لهـــا — اهل البيت جميعاً ، او تنفث سمها في اهل البيت جميعاً ، ثم تتغذى من دم اهل البيت ولحمهم جميعاً !!

وكتبت هذه المقـــالات ، يوم كتبتها ، وانا أحس آلام قومي وآمالهم ، احساساً اتعذب به ، واشعر كأنما قلوبهم كلهم ، تخفق في قلبي ، وكأنما ارواحهم كلهم ، تضطرب في روحي ، وكأنما الانسان ، الذي ُخلق معه ، بخلقه ، حقه في الحق ، وفي الحرية ، وفي الحياة ، وفي الكرامة ، وفي السيادة[1] ، ميزاً له ، من لدن خالقه ، عن الحيوان ، كنت اشعر كأنما هذا الانسان ، تجسد فيّ بنوعه ، على انني اعترف ، انني كنت اقدم ، في نطاق هذا الشعور ، الانسان العربي ، الى ان يتأنسن الناس جميعهم !

١ اريد بالسيادة هنا ، ان لا يكون الانسان عبداً لاحد ، ليس غير ، اي ان يكون سيد نفسه

وها انذا انشر هذه المقالات مجموعة ، عسى ان ينتفع بها الشباب من الجنسين ، في قومي ، من الناحية الروحية ، في مستدار العقيدة والحق ، والحرية والايمان والتوجيه ، ليس غير . فهي ليست علماً من العلوم في الجامعات ، ولا فلسفة من فلسفات المدارس والاروقة ...

على انني ، ما ادعي ، انلا غرض لي من نشرها ، غير هذا . والله عليم بذات الصدور .

وقد نشرت هذه المقالات ، في صحف متعددة ، كانت قصاصاتها التي بعث بها الي نفر من اخواني ، واصدقائي ، يخلو اكثرها من اسم الصحيفة المقتطعة منها ، كما يخلو بعضها من التاريخ ، ولكنني اذكر جيداً ، الصحف التي نشرت لي هذه المقالات ، ويرى القارىء اسماءها في الصفحة الاولى ، من هذه المجموعة ، اما المقالات التي تحمل قصاصاتها ، اسماء الصحف التي نشرت فيها ، فاذكر في ذيل كل مقالة ، اسم الصحيفة التي نشرتها .

وهناك مقالات ، درج اصحاب الصحف ، التي كنت انشرها فيها ، على تقديمها الى القراء — تلطفاً منهم — بكلام فيه شيء من المدح لي ، والثناء علي ، فهذا الكلام ، حذفته . الا من رأس مقالتين اثنتين ، في جريدة « اليوم » البيروتية الغراء ، التي ناضلت في سبيل الحرية والحق والاستقلال ، وذلك لخطر الموضوع وجدّته ، على القارئين ، يومذاك .

ولعلها من المصادفات ، التي تستوقف الفكر ، في مثل وضعنا اليوم ، هذه المصادفة ، التي جعلت اقدم مقالة ، باعتبار كتابتها ونشرها ، من بين المقالات ، التي اجتمعت لديّ ، مقالة كتبتها ، من اجل فلسطين ، ونشرتها جريدة « الكرمل » في حيفا ، لصاحبها العربي المخلص الجريء ، صديقي المرحوم نجيب نصار ، في ايار ١٩٢٤ وكنت يومئذ ، منفياً مشرداً . مع

ان لي مقالات كثيرة ، كتبتها ونشرتها ، قبل ذلك التاريخ ، ولكنني لم اعثر على مقالة واحدة ، من تلك المقالات ، ولا بعث الي احد ، بواحدة منها . وقد كتبت في فلسطين ، خلال تلك السنة ، مقالات عدة ، في « الكرمل » و« فلسطين » و « النفير » و « الزهرة » وغيرها ، ولكن ليس لديّ من هذه المقالات ، غير مقالتين ، مما نشر في « الكرمل » ، بهما تبدأ هذه المجموعة ، على الاساس ، الذي اعتمدته ، في ترتيب مقالاتها ، اي اساس تاريخ كتابتها ونشرها .

واحسب ان في تضاعيف هذه المجموعة البسيطة ، تاريخاً صحيحاً ، او شبه تاريخ ، لحقبة من الزمن في ديار الشام ، وغيرها من الديار العربية ، لعل ابرز ما فيه ، الناحية العقيدية السياسية ، وما تنتظمه من صور للفكر والخُلق ، والروح . واقول « تاريخ صحيح » لانني لم اكتب هذه المقالات يوم كتبتها ، للتأريخ ! وانما كتبتها اصور بها ، واقعاً قائماً ، يوم كتبتها بالذات . وانا عالم انني سأحاسب حساباً عسيراً ، على كل كلمة فيها ، في مدى من الزمن ، يعيشه بنو قومي وغيرهم من الناس ، الذين يضطربون في ذلك الواقع . وكتبتها لاثارة بني قومي ، ثورة فهم ووعي ، لتحطيم مقومات واقعهم ذاك ، وخلق واقع جديد خيّر ، فاضل ، كريم ، يستضيء باضواء الحق والمعرفة والحرية ، ويزهو بعناصر الكرامة والمنعة والسيادة . واذا كان واقعنا اليوم (بقطع النظر عن استقلالنا رسمياً وقانونياً) ما يختلف في شيء ، عن واقعنا الذي حاربناه ، ان لم يكن شرا منه ، في الحقل الداخلي ، من ناحية الخُلق والحكم . وفي الحقل الخارجي ، من ناحية الوزن والاعتبار ، فما اريد ان افهم من ذلك ، ولا يجوز ان يفهم من ذلك احد ، ان ما بذله احرار العرب من جهود ، ومن دماء ، لم يترك في

العرب ، اي اثر صالح تقدمي ، في لبنان او في غير لبنان ، كلا . ولكن للشعوب ، هجعات ، ويقظات . ووثبات ، وانتكاسات. والشعوب العربية واعني الامة العربية ، التي تعودت الانقياد ، الى حكامها وزعمائها ، على اعتبار انهم من المحتم ، ان يكونوا حكاماً وزعماء خيرين ، تستظل منهم ، بظلال وارفة من العدل والحرية ، والحب والعناية ، وتهتدي بهديهم ، في السير الى القمة ، حيث الحيـاة التي تمور بالعز والعظمة ، والطمأنينة والسعادة ، مرت ببرهة من الزمن ، لم يكن فيها هؤلاء الحكام والزعماء – عدا افراد منهم تكاد لا تتجاوز بهم عداً ، اصابع اليدين – عند ثقة الامة ، فاضلوها السبيل ، دون ان تشعر . وافقدها هذا – دون ان تشعر ايضاً – كثيراً من خصائصها القومية ، وعمّى عليهـا ، الى حد بعيد ، طرق التمييز .

وقد وقع ذلك ، ويقع ، لكل امة ، بدرجات متفاوتة، تختلف اثاره ، باختلاف العمق والسطحية ، والقوة والضعف ، سلباً وايجاباً ، ويقيناً ان الجهود التي بذلها احرار العرب ، والدماء التي جادوا بها ، في سبيل التحرر والسيادة والتقدم ، ورفع المستوى العام ، كان يمكن ان تكون اعمق اثراً ، وابين مفعولاً ، في جماهير الامة ، لولا هؤلاء الحكام والزعماء ...

على ان هذه العصابة ، بدأت تفقد، التمائم التي في اعناقها ، كثيراً من قيمتها ، وحرمتها ، في نظر الشعب ، وبنسبة ما تستمر جهود الاحرار ، وتزداد ، وتنتظم ، وتعمق ، وتتسع ، تكون نسبة افلاس هذه التمائم ، واصحابها ، ونسبة الصعود ، والهبوط ، صعود الفئة الحرة الصالحة المصلحة، وهبوط المضللين الانتهازيين، من اهل الحكم الاعوج الساخر ، والزعامة الفاسدة المتهرئة . والويل لاهل التمائم و «واقعهم» يوم تبلغ اليقظة ، ويبلغ

الصعود ، مداهما ، — وسيبلغــــانه — ، ذلك يوم يتحقق فيه معنى هذا البيت المشهور :

واذا المنية انشبت اظفارها   الفيت كل تميمة لا تنفع

***

ان هذا الاوقيانوس العربي ، الذي يبدو راكداً ، ركوداً نسبياً ، ليس كذلك ، في اعماقه ! فان تيارات عنيفة ، تصطرع في هذه الاعماق ، وان احداً ما يدري ، متى ، وفي اي مكان ، يبدأ هذا الاوقيــانوس يشتق ، بمفعول هذه التيارات ، بشكل يبعث الرهبة والذعر !

واعتقد — وارجو ان لا اكون مخطئاً — ان ذلك اليوم ، ليس ببعيد .

بيروت ١٤ تموز ١٩٥٢   **علي ناصر الدين**

حاشية : هناك مقالات كتبتها بعد الجلاء ، سانشرها ، اذا تيسر لي جمعها ، فتكون الجزء الثاني ، من هذا الكتاب

بين الشمال والجنوب

كانت فلسطين وما برحت، جزأ من بلادالشام او «سورية» كما درج على تسميتها المتأخرون، وستظل كذلك، ما دام في العالم، لغة عربيـة وقومية عربية واخلاق عربية. وان الفلسطينيين كانوا وما برحوا، عرباً شاميين او «سوريين»، وسيظلون كذلك، ما دامت الارض لا تبدل غير الارض، والسماء لا تبدل غير السماء.

وان نفراً من رجال الدرك، سواء اكان فرنسياً او بريطانياً، اوغير ذلك، يتمركز في نقطة معينة من البلاد، يفتش الناس وهم ينتقلون من مدينة في الشام، الى مدينة اخرى فيهـا، ويستطلعهم جوازات سفرهم، هذا العمل، لا يغير من جنسية اولئك الناس شيئاً، ولا يجعل من بلادهم الواحدة بلادين مختلفتين.

اذن ففلسطين عربية شامية بالرغم من كل حاجز، يقوم بينها وبين سائر بلاد الشام. والفلسطينيون عرب شاميون، في الحقيقة، رغم اختلاف السلطات المسيطرة عليهم، وعلى اخوانهم في الشمال. هذه حقيقة يجدر بنا بعد اقرارها، ان نعود، الى الواقـع فنرى ان ابناء بر الشام، لا يتعاملون بعضهم مع البعض الاخر، كما لو كانوا ابناء بلاد واحدة. واذا وُفق ابناء الشمال، المسيطرة عليهم السلطة الفرنسية، الى الوقوف على اخبار ابناء الجنوب، المسيطرة عليهم السلطة البريطانية، فذلك لان هذه السلطة – على ما بها – لا تمعن في سد مسالك الفكر، وتقييد حرية القلم. ولكن ابناء الجنوب، قليلاً ما يقفون على اخبار اخوانهم الشماليـين، لان السلطة الفرنسية هناك، حريصة على ان يبقى العالم باسره، جاهلا اعمالها، فهي تحـارب الافكار الحرة، وتكم الافواه، وتحطم اليراعات، وتعتقل وتسجن وتنفي وتشرد، بدون حساب.

وقد قضت سياستها الرشيدة ان نُشرّد، فنستقر في هذه البقعة، من وطننا

الحبيب ، صالح جوها ، طليق ساكنها نوعا ما ، فرأينا ان نبسط الى العالم ، اعمال تلك السلطة المتمدنة (الممدنة !) . الحرة (المحرورة !) وقد كتبنا لبضعة ايام خلت، فصلاً في جريدة (الكرمل)[1] بسطنا فيه ، الاساليب التي استعملتها وتستعملها السلطة الفرنسية ، لتفريق الشعب الى ملل ، وتقسيم هذه الملل ، بعضها على البعض الآخر ، من اسلامية ومسيحية ، ثم تخطيها ذلك ، الى تقسيم المسلمين وتفريقهم مذاهب مذاهب ، وتقسيم المسيحيين انفسهم ، بعضهم على البعض الآخر ايغاراً للصدور وابعاداً في النكاية . وقد استعملت لتقسيم المسيحيين ، فيما استعملته ، ان اخذت تشيد بذكر فئة معينة منهم ، تربطها بهم على زعمها ، صداقة تاريخية !! فكان من نتيجة ذلك، ان اعتقدت تلك الفئة ، ان فرنسا ، انما هبطت البلاد ، لتجعلها الحاكمة بامرها ، وصاحبة السلطان فيها ، على سائر الفئات من مسيحية ومسلمة ! فولد هذا الاعتقاد شروراً مستطيرة . وضحك الفرنسيون لهذه النتيجة ، وتغامزوا بينهم . ثم عمدوا الى تقسيم آخر ، لا يقل فظاعة عن التقسيم الاول ، ان لم يكن اشد فظاعة منه ، وهو تقسيم البلاد الى مناطق ، اطلقوا عليها بكل جرأة اسم دول !!. وجعلوا من البلاد ، التي كان يحكمها رجل واحد ، يلقبونه والياً ، وآخر يلقبونه متصرفاً، دولا . . .

فمن دولة لبنان الكبير ، الى دولة العلويين ، الى دولة دمشق ، الى دولة حلب ، الى دولة « جبل الدروز » ! وجعلوا لهذه الدول ، رؤساء وحكاماً ، من صنائعهم ، فتضخمت النفقات ، وعمت الفوضى ، واشتد النزاع ، وناء الشعب باثقال الضرائب الفاحشة ، حتى عضه الجوع بنابه ، والجأه سوء الحال ، الى بيع اولاده في الاسواق — كما قرأنا مؤخراً في صحف دمشق — والى ركوب البحار ، هرباً من الموت جوعاً وهوناً ، وسعياً وراء العيش . فكانت النتيجة كما ارادها الفرنسيون ان تكون . وظل الناس حيناً من الزمن ، غافلين عما يراد بهم ، من الخسف ومن الذل . ولكن الفرنسيين تمادوا في غيهم وضلالهم ، الى ان تفاقم الخطب ، وشعر فريق من الوطنيين بما يهدد الوطن من اخطار ، فحاولوا ان يرأبوا الصدوع ،

١ لم اوفق الى العثور على هذا الفصل .

ويجمعوا الشتيت ، لتلافي تلك الاخطار ، فشعرت السلطة الفرنسية بالامر ، وحسبت له حساباً ، فاخذت تخدر الاهلين ، وتخلق لهم مشاكل ، مشاكل ، كبيرة وحقيرة ، وتحرض الناس ،بعضهم على البعض الآخر ، ثم اخذت تنفي رجال الفكر والقلم ، الاحرار منهم ، وتشردهم ، حتى شغلت النـــاس ، عن النظر في شؤونهم العامة ، وموقفهم السياسي المخيف ، ومع ذلك فان تحت الرماد لناراً ... وقد نسي الفرنسيون ، ان سياستهم هذه ، وان بدا لهم نفعها اليوم ، فانها ستنقلب بنتائجها ، شراً عليهم ، في الغد ، وان غدا لناظره قريب .

حيفا ايار ١٩٢٤

جريدة الكرمل

حرصا على فلسطين

فلسطين مهد نبوّة. ومحط تسيار رسل وانبياء . ومنبعث خير وحرية وحق ، فلا تضيعوا فلسطين ، يا ابناء فلسطين .

لقد عرف العالم قيمة فلسطين ، فاقبلت ارقى الامم واقواها ، واكثرها غنى عن فلسطين ، تحاول الاستيلاء على فلسطين ! وهب هذا الشعب العالم العامل الماكر، القابض على زمام الثروة في الغرب ، وفي الشرق ايضاً ، والمنثور في شتى اقطار المعمور ، فجعل من شتيته جميعاً ، ونظم صفوفه ، واطلق على فلسطين ، ابناءه مزودين بجميع الوسائل الفعالة، يستعمرون فلسطين ، ويغتصبونها ملكا طيبا سائغا . وابناء فلسطين الذين تجمعهم جامعة الجنس واللغة والوطن والمصلحة ، متنابذون متفرقون ، لا يجتمعون في غير القهوات والمسارح – ويا ليتها قهوات الفلسطينيين ومسارحهم – ولا يدفعون خصومهم ومزاحميهم ، هؤلاء الشذاذ والمغامرين ، بغير الصياح والضجيج !!

عرف الصهيونيون ، فصرفوا معارفهم وجهودهم في المنصرف ، الذي تصرف فيه الجماعات الحية ، معارفها وجهودها ، فانشأوا الجمعيات ، والفوا النقابات ، صناعية وزراعية وتجارية ، واسسوا المعاهد واقبلوا على العلم زرافات ،فاذا منهم جيوش متعلمة عاملة منظمة ، واذا هم يسيرون في الاقتصاد ، والاجتماع ،والسياسة ، في سبل قويمة، وعلى خطط مدروسة مقررة ثابتة ، سيبلغون بواسطتها ، اذا هم لم يصدموا صدمة عنيفة ، واذا هم لم يحاربوا بسلاحهم ، من علم وعمل ، الى ما يريدون .

وجهل العرب في فلسطين ، واهملهم المتعلمون فيهم النادرون ، والمتزعمون الانانيون ، فراحوا يتسكعون في انفاق من الظلمة ، يتلمسون مستنداً يستندون اليه ، في الدفاع عن كيانهم ، وصرع خصومهم فلا يجدون . انهم بفطرتهم ، يأبون

القيام على الاذى، والاستكانة الى الضيم، وهم في وضعهم، غير موفقين، الى مايدفع عنهم الاذى والضيم! فسادت الفوضى صفوفهم، وطال في الضلال والظلام مسيرهم، فكاد اليأس يتغلغل في صدورهم، وهم يتململون ويتألمون، ومن حقهم ان يفعلوا، فان خصومهم، اقوياء منظمون، يتسلحون بسلاح عجيب: بالعلم الموحد، وبالميول الموحدة، والكلمة الموحدة، ويتسلحون بالجمعيات والنقابات والشركات، والاحزاب المنظمة، وبالزعامة العاملة العاملة، الموجهة المخلصة، وانه في الواقع لسلاح رهيب!!

قلنا انه من حق العرب ان يتألموا، اما ان ييأسوا، فمن الجبن والعار ان ييأسوا وان فيما يرونه من جد ذلك الشعب وجهاده، ومن علمه وعمله، وفيما يرونه من تنظيمه وتدابيره، من دون ضجيج ولا تبجح ولا تظاهرات، لدروسا، لو شاءوا. لكفتهم مؤنة الحيرة، وهدتهم سواء السبيل، وما ادري لماذا لا يهيب هذا كله بالعرب في فلسطين، الى العلم والعمل والتنظيم، الى انشاء الجمعيات والنقابات والشركات، تتناول كل مدينة وكل قرية وكل مزرعة في فلسطين.؟

ايها العرب الفلسطينيون، ان في العرب خاصة ليست في غيرهم، من امم الارض، وهي انهم ذوو شخصية جماعية منيعة، لا يذوبون، ولا يفنون في غيرهم، فما هو الا ان تجمعوا كلمتكم، وتنظموا صفوفكم، وتعملوا جادين، مخلصين في اعمالكم، وتعدوا لهم، في علم، مااستطعتم، حتى ترهبوا عدوكم وتحفظوا فلسطين

حيفا حزيران ١٩٢٤

جريدة الكرمل

سياسة الامم غير نظم الشعر

مرت على البلاد سبعة اعوام كاملة ، ذقنا في خلالها من المرارة ، ما كاد يحلو معه طعم كل مر . وشهدنا من ضروب الخرق في السياسة ، والعبث بمصالح الناس ، مالم يشهد مثله احد ، ولا سمع بمثله احد .وكان القائمون بالامر فعلا ، يستخلصون فئة من ابناء البلاد ، يجعلون منها محور سياستهم ، ولا يعولون على غيرها في اعمالهم واحكامهم ، حتى بتنا نرى فريقاً من هؤلاء ، يتيهون على الناس عجباً ، ويعتدون عليهم ، ويقتطعون اراضيهم ، وينفذون سياستهم على ظهورهم ، ثم يوهمون السلطة القائمة بالامر ،ان البلاد ، راضية عنها وعنهم ، شاكرة فضلها وفضلهم . فكان من جراء ذلك ،ان تمزقت وحدة البلاد،وفشت بين ابنائها البغضاء ، وسادتها الفوضى .

وانشأت السياسة الرشيدة ... ، في بقعة واحدة من الارض ، ضيقة ، دولا كباراً ... وضعت بين الواحدة والاخرى منها،حواجز وحدوداً ،ما انزل الله بها من سلطان ، ولا خطرت في خاطر رجل يفهم كيف تكون سياسة الامم والدول. وفي جملة الاشياء ،التي خلقتها السياسة الرشيدة العابثة...«شيء»سموه (لبنان الكبير) وبالشد ما بذل دعاة هذا (اللبنان) من قواهم ، في الايهام والتمويه ، ليقنعوا العالم ان الناس [عندنا باجمعهم ، في الاراضي التي ضمت ، والاراضي التي ضم اليها ، مغتبطون سعداء ،لا يحمدون الله على شيء ، مثل حمدهم اياه ، على هذا الشيء ، الذي هو (لبنان الكبير) ! والله يعلم ، وهم انفسهم لا يجهلون ، ان احدا ، من الذين ضموا الى لبنان ، لا يحمد الله على هذا ، ولا الشيطان ،سواء اكان من المسلمين ، ام من المسيحيين الشرقيين ، ومن خالف هذا — ان خالف هذا احد ما — لا يخالفه الا رغبة في امر ، او رهبة من امر .

لقد سئمنا وسئم الناس جميعاً هذه الدعايات ، وهذه التمويهات . وقد جاء وقت

القول بصراحة ، فلنكن صريحين . ان مسلماً واحداً ، لايمكن ان يرضى ب « شيئكم هذا » ، ولعل هذا ، شأن معظم المسيحيين من الشرقيين . ان هؤلاء جميعهم يعتبرون نفوسهم سوريين ، ويسعون الى توحيد سورية واستقلالها . ونحن لا نرى موضع الفائدة في ارغام هؤلاء على التظاهر بالرضى ، وكتمان الغيظ والسخط ، ولا ندري احكمة هو في السياسة بالغة هذا العمل ، ام هو شيء آخر ؟ ! . واننا لنعتقد اننا نقوم بخدمة نصوح ، بجلائنا هذه الحقيقة ، بالصراحة التامة ، للبلاد والسلطة معاً !

ويخلق بنا ، ان ننبه الاخوان المخاصمين للوطنيين ، الى امر جلل ، ليس من مصلحتهم ، ولا من مصلحة السلطة ، التي يخدمونها في شيء ، ان ينسوه وان تنساه ، فاننا نرى انه كلما خطر لكاتب منهم ، او لخطيب ، ان يهيج جماعته ، ويستفزهم وقف موقف المتوعد ، المهدد المقتدر ، المنتقم ، حتى ليخيل الى الناس ، ان من ورائه ، الجيوش والاساطيل ، يزحف بها على البلاد والعباد ، ليرغمهم على الاخذ برأيه ، والسير في ركابه . وما هي الا دقائق معدودات ، حتى ينكشف الغبار عن جيوش ، ليست جيوشه ، وينقشع الضباب عن اساطيل ، ليست اساطيله ، ولكنها هي جيوش فرنسا واساطيلها . كأن فرنسا ما وجدت على هذه الارض ، الا لتكون سيفا بيده ، مسلولا ، على رقاب من يبتليهم الله ، ببغضائه ، من ابناء بلاده : مواطنيه واخوانه . انه للعب بالنار ، قد لا تسلم اصابع اللاعب فيها ، من وراء ستار ، هو نفسه من الاحتراق !

ان في هذا التصرف ، لخرقا في السياسة ، وقصرا في النظر ، ما عرفنا لهما في ساسة البشر ، شبيهاً . لنفرض ان فرنسا ، تتغاضى عن انها دولة ، من الدول المكلفة خدمة الحضارة والسلام ، في العالم ، وانها تتجاهل ، انها عضو في عصبة ، يسمونها عصبة الامم ، ماقامت فيما نعلم ، للنظر في اديان الناس ، ومذاهبهم ، بل انما قامت لانصاف الامم ، والحيلولة بين الامم ، وبين السيطرة على الامم ، ولنفترض ان فرنسا ، تضرب عرض الحائط ، بملايين المسلمين ، الذين تحتك مصالحهم بصالحها ، ويتوقف على رضاهم ، الى حد بعيد ، امر بقائها ، لنفترض هذا كله ، مع انه من المستحيلات ، افيُعقل ان فرنسا ، بحكومتها وصحافتها واحزابها ونقابات عمالها ،

ستهين بارواح شبابها ، وتسترخص دماء ابنائها ، الى حد ما ترى معه ، ضيرا ، في تسخيرهم جميعاً ، لخدمة فئة صغيرة ، في هـذا الشرق العربي وتنفيذ مآرب المهسترين بالتعصب الديني ، المذهبي من افرادها .

انه لا يسعنا ، ونحن نقدر فرنسا قدرها ، ونعلم من شؤون السياسة العالمية ما نعلم ، ونحس الروح الجديدة تجري ، في اعصاب هذا الشرق العربي، فتوقظ النفوس وتهيج الارواح ، ونذكر موقف انكلترا ، من ايرلندة ، الذي الجأ داهية الغرب ، وجباره العنيد ، لويد جورج ، الانكليزي الاول القديم الى ان يقـــول (انني لا استطيع ان اعرض انكلترا للاضطراب والقلق ، اكراماً لعيون البروتستنت في شمال ايرلندة)لا يسعنا، ونحن نعرف هذا ونذكره ،ان نعتقد بان فرنسا، لن تنهج في هذه البـلاد ، نهج سياسة ، تخترق حجب المستقبل البعيد ، وتستند الى العقل الراجح، والمصلحة المشتركة ، وليست تستند الى العاطفة الملتهبة ، فالسياسة غير نظم الشعر ، ومعالجة المشاكل والمعضلات ، ليست اناشيد حب وغرام ،

العهد الجديد
كانون الاول ١٩٢٥

الاتحاد على اساس اللامركزية

صديقنا الشيخ ادوار الدحداح ، كاتب رصين و (زلق) زاول العمل الصحفي ، زمناً ، وهو الان يزاول التجارة . ولكن الكسب - وما اقله - في هذه الايام ، لم ينس الصحفي ، والتاجر ، واجبه نحو بلاده . فقد كتب صديقنا الشيخ ، مقالا في جريدة « الاحرار » بعنوان « الاتحاد السوري » جمع فيه اراء فريق كبير ، من المتنورين الذين كانوا ، لا يرضون عن « لبنان الكبير » بديلاً ، ويتلخص مقال الشيخ ادوار ، في الرأي الآتي : انشاء اللامركزية السورية ، او بعبارة اوضح ، انشاء الاتحاد السوري على نمط الاتحاد السويسري او الاتحاد الاميركي ، وجمع ابناء سورية كلهم ، بما فيها لبنان طبعاً ، تحت راية واحدة . وهو يقول ان فريقاً كبيراً من اللبنانيين المفكرين ، اصبحوا يحبذون هذه الفكرة ويعتنقونها وينشرونها ، الى ان قال : (لانه فضلا عن انه يترك لكل مقاطعة ، حرية التصرف بما تراه خيراً لها ، فانها تتبادل الرأي مع جارتها ، فيما يتعلق بالمصلحة العامة ، سواء من الوجهة الاقتصادية او التجارية او السياسية . وعلاوة على ذلك فان الاتحاد ، يخفف من الضرائب بالتخفيف من تضخم الادارات ، ويجمع شمل ابناء الوطن ، تحت راية واحدة ، ويفتح مجال العمل مادياً كان ام ادبياً ، واسعاً في وجه كل طالب ، بدون تفاوت او تفضيل . فالعلوي مثلا او الحلبي او اللبناني ، الذي لا يستطيع ان يكون صحافياً او محامياً او قاضياً او نائباً او وزيراً او حاكماً ، الا في منطقته الضيقة ، وفي دولة وضيعة ، قد يكون ذلك كله في الدولة السورية المتحدة ، مع الاحتفاظ اذا اراد بصبغته وحكومته المحلية ، علوية كانت ام حلبية ام لبنانية ام دمشقية ام جبل درزية - اسمحوا لنا بهذه النسبة - الى غير ذلك من الجنسيات ، التي انشئت في قلب سورية ، فقتلتها سياسياً واقتصادياً وعلمياً ، وخلفت في النفوس تشاحناً وتباغضاً قد

يهون امرهما اولا ..) ثم اضاف الشيخ ادوار الى ذلك ، قوله (ان هذه الحال التي نحن فيها غير طبيعية، ولا يمكن ان تدوم، الا على اساس مخيف من التباغض واثارة الاحقاد ، ناهيك عن الاضرار الجسيمة التي تصيب البلاد ، وابناءها، لذلك فان فكرة ايجاد التسوية المذكورة ، ما ظهرت في عالم الوجود ، حتى اعتنقها متنورو البلاد ، على اختلاف اديانهم وطوائفهم ، ولا نخال امرأ يرفضها، اذا كان صافي السيرة حسن النية) ثم قال (ويجدر بالذين اخذوا على عاتقهم، وضع انظمة البلاد الاساسية ان يدرسوا هذا الرأي فيما بينهم، وان يتبادلوا مع ممثلين لكل دولة من الدول السورية على حدة المفاوضات لعلهم يصلون قبل ان يضعوا النظام النهائي ، الى نظام اتحادي عام ، يضمن حقوق الجميع على السواء في ظلال دولة كبرى . ولا شك انهم فاعلون . وما شاور احد وندم) .

هذه هي الفقرات الرئيسية، في مقال صديقنا الشيخ ادوار الدحداح ، ننقلها الى قراء العهد ، وذلك هو مجمل رأيه ، ورأي القسم الاكبر ، من اللبنانيين المفكرين ، كما يقول ، نبسطه للمناقشة والتمحيص ، بروح التعقل والاخلاص ، داعين ابناء بلادنا ، سواء أكانوا ممن يذهبون في السياسة مذهبنا ، ام ممن يعارضوننا فيه ، الى الاستمساك بالمبادىء العالية والاخلاق الكريمة ، في الاختلافات السياسية، والى سعة الصدر ، الجدير بالجماعات المهذبة المفكرة ، ان تتحلى بها ، في المناقشات . والى التنكب عن طريق المهاترة والسباب ، التي يعتمدها بعضهم ، في مثل هذه الحال. والتي هي صورة خليقة بالقرون الوسطى ، تدل على سخف في العقول شديد ، وعلى عطل من التربية السياسية شائن .

اما موقفنا ، تجاه هذه الفكرة، التي يشيد بذكرها الشيخ ادوار، فستعينه الصيغة، التي ستصاغ بها ، والتي ستوضع، بعد المناقشة والتمحيص ،بوضوح، لا يحتمل التأويل وسيرى صديقنا الشيخ ادوار وانداده العقلاء، من غير طلاب « الوطن القومي المسيحي » ومن الذين يشعرون ، شعوراً قومياً خالصاً ، اننا في مقدمة رواد التفاهم والاتحاد. واننا انما نعمل، من اجل وطن واحد ، مجتمع ، يتمتع بالاستقلال والسيادة وتخفق عليه ، راية واحدة عزيزة ، يستظلها الجميع على السواء .

العهد الجديد كانون الاول ١٩٢٥

ابن رشد يهودي؟!

اذا كنت تؤمن بالقوة – وازعم انك تؤمن بها – بعد الذي سمعت ورأيت في هذا العالم ، فجدير بك ، ان تؤمن بالدعاية حتما ، وهي عامل رئيسي ، بين العوامل التي تخلق القوة .

لقد كانت الدعاية ، وما برحت القضيب السحري ، يلوح به حامله للناس ،فيريهم الحبة قبة ، والجمل بعوضة ، ويصور لهم الحق باطلا ، والباطل حقاً ،والخطأ صواباً ، والصواب خطأ . وانا ادعوك ، الى ما هو ايسر من هذا ، واصدق ، واشرف ، ادعوك الى دعاية ، تحمل هؤلاء الاوروبيين « اولاد الحلال » على ان يروا الحبة عندك حبة ، فقط ، وان يروا في جملك جملا فحسب ، وفي غزالك غزالاً ،وليس .. فما نريد ان نجعل من الحق باطلا . ولا من الباطل حقاً . ولن يتيسر لنا ذلك ، ما لم نعتصم بالدعاية الصالحة المنظمة الواسعة .

ما خطرت في خاطري ذكرى الحرب العامة ، مرة ، الا وتمثل لي ، التأثير المنقطع النظير ، الذي كان للدعاية فيها . اتعلم ان الدعاية كانت رابعة اربعة ضمنوا النصر للحلفاء ، في المجزرة البشرية الهائلة ! وانها كانت القضيب السحري الذي لوح به الحلفاء للعالم ، فخدعوه كله ، حتى خيل اليه ، ان الحلفاء انما هم في هالة من نور سماوي ، يتسابقون الى المحرقة في سبيل الحق والحرية ، تذكر الناس بالسيد المسيح !!. حقاً لقد اشترى الحلفاء بدمائهم ، آثام البشر اجمعين !!!

اكتب هذه الكلمة ، على اثر قراءتي مقالا ممتعاً ، للعالم العربي الكبير ، الامير شكيب ارسلان ، تكلم فيه على مقالة في « جورنال دي جنيف » لمناسبة احتفال علماء فرنسا ، بعيد تذكاري لمدرسة طبية ، في « مونبيليه » قديمة العهد ، ازدهرت كثيراً ، في ايام العرب ، بعد استيلائهم ، على اسبانيا ، وجنوبي فرنسا ، وفي مقالة

« جورنال دي جناف » هذه ، ان اليهود هم الذين اناروا سراج تلك المدرسة ، في القرون الوسطى ، وان الذي عرّف ابقراط ، الى الخلف ، بالترجمة والاستنساخ ، هم العلماء اليهود : الرازي وابن سينا وابن رشد !! اسمعت في عمرك كله ، دعاية كاذبة خبيثة مفضوحة عجيبة مثل هذه الدعاية؟! يريد صاحبها ان يضلل الاوروبيين ويقنعهم بان العلماء المذكورين كانوا يهوداً ، انها والله لقحة ، كما يسميها الامير الجليل ، ليس مثلها قحة .

فليسمع العرب عامة ، والسوريون منهم خاصة ، وليتدبروا امرهم . والا فمن يدري ، قد يصبح الرازي وقسطنطين وابن سينا وابن رشد وغيرهم من العلماء ، والفلاسفة العرب ، الذين ماتوا ، يهوداً .. وبعض الاحياء ايضاً ..

البرق كانون الاول ١٩٢٩

لقد عدنا

بين الحق والباطل صراع ، ما نستطيع ان نحدد تاريخ بدئه ،ولكنه صراع قديم من غير شك . ولعله بدأ من يوم ان وجدا . ومـــا ندري متى ينتهي الحق والباطل ، من هذا الصراع ، ولعلهما لن ينتهيا . على اننا ندري ، ان الباطل مغلوب في النهاية ، مهما يكن من امر مظهره ،احيانا كثيرة ،في مظهر المنتصر . فانما الانتصار الصحيح النهائي ، لن يكون الا للحق . لان وجود الباطل ، عارض طاريء. ولولا ان اصحاب الباطل ، مثلهم مثل الفريق المغلوب من الصبية ، (المتبـاطحين) يصح فيهم ، المثل العامي المشهور : (المغلوب ما بيشبـع) لما رأيتهم يعودون ، المرة بعد المرة ، الى طلب النضال ، و (المباطحة) رغم انهم ، يحسون ويرون انهم مغلوبون فاشلون ! ويبدو ان هذا المثل ، كغيره من الامثال ، لم يوضع ، الا بعد حوادث قرون عديدة ، من حياة هذا المجتمع ، فهو وليد الاختبار والتجارب ،وفي الواقع ، ان المغلوب لا يشبـع ! وان متسلطاً على شيء ما ، مهما يكن من امر هذا الشيء ، فهو مدافع عنه ، باذل اقصى جهده ، للانتصار له ، والاحتفاظ به ، رغم علمه ، انه مناضل لباطل ، ولما لا يجوز ، في الحقيقة ، ان يناضل له ، ورغم علمه ، انـــه غير موفق ، في نهاية الامر ، الى ما يريد . وانه مغلوب. ولولا ان يكون بين اصحاب الحق ، اناس ، ضعاف الايمان ، مضطربو العقيدة ، لما رأيت احـداً ، يزعم انه على حق ، منقلباً على عقبيه ، طالباً اليك ، حين الشدة ، في هوادة وحكمة .. ان (ترفق بنفسك ،وتنظر في خاصة امرك ،وتنتبه لمصلحتك،وترمي الحملة عن ظهرك)!!

يذكر مواطنونا ، وقراء الصحف منهم بنوع خاص ، اننا أخذنا في كانون الثاني من عام ١٩٢٦ بجريمة ، هي جريمة الامانة في وطنيتنا ، والنضال في سبيل عقيدتنا القومية العربية ،والعمل لكي نتحرر ونستقل ، فاعتقلتنا السلطة الفرنسية بحجة اننا

نراسل زعماء الثورة السورية ، ويراسلوننا . واننا ندعو الى هذه الثورة ونغذيها . (ولسنا بشارحين ، الساعة ، تفاصيل هذا الامر ، فليس هنا موضعه . وسنفصله في كتابنا (السياسة) الذي نعده للطبع (١) وقد اعوز القضاء يوم ذاك ، وعلى رأسه قاض فرنسي (٢) ، البراهين الحسية ، للحكم علينا ، فصدر الامر بتخلية سبيلنا ، من دون محاكمة . ورغم ذلك ، فقد ارسلتنا السلطة المحترمة الى «دار الضيافة العليا» : جزيرة ارواد ! ثم ارسلتنا الى القدموس ! فبقينا منذ اعتُقلنا ، الى ان عـدنا الى بيروت ، طوال عامين كاملين . كان اهل الباطل ، وانصاره وعبيده ، يحرضون خلالهما ، علينا ، ويوغرون الصدور ، للتنكيل بنا . ويودون لو اننا لا نعود ، الى ما بين صحبنا وذوينا ، والى ميدان عملنا وكفاحنا . فعل المبطلون ذلك كلـه ، ومع ذلك ، فقد عدنا .

وقد اعلن علينا خصومنا حرباً غير شريفة ، وتوسلوا لكي نبقى مقصيين ، في منفانا ، بوسائل من نوع تلك الحرب ، ومع ذلك فقد عدنا . لقد هددونا بقوتهم ، وحاولوا اغراءنا بوسائلهم ، او لا نعود ، فلم ينفع التهديد ولا الاغراء ، وعدنا . ومهما يكن لهم من قوة ، فانهم لضعفاء ، لانهم مبطلون .

ومهما يكن من ضعفنا ، بالنظر الى قوة فرنسا ، فاننا بالحق لاقوياء ، وقد زهق الباطل اخيراً ، وانتصر الحق . وعدنا . لقد عدنا ، ويسرنا ان يكون هذا العود ، جاء في وقت ، تسعى فيه فرنسا ، للتفاهم والتعاون مع سورية ، بعد ثورتها الحمراء ، وبعد ان بح صوت الوطنيين الامناء ، قبل الثورة ، في سورية وخارجها ، وهم يعلنون انهم في علاقاتهم مع فرنسا ، يرضون ان يكونوا «اصدقاء» لفرنسا ، لكن ، ليس غير اصدقاء .. وان عملهم لحريتهم ، واستقلالهم ، وسيادتهم القومية في بلادهم ، ليس حتما ، ان يحمل معنى الكره والعداء .

---

١ – لم يتيسر لي طبع هذا الكتاب ، وبقي مخطوطاً بين اوراقي ، حتى سرق . سرقه موظفو الامن العام الفرنسي ، وهم يفتشون مكتبي يوم اعتقلوني المرة السابعة او الثامنة في نيسان ١٩٣٩
٢ – السيد مياديه .

لقد عدنا، وفي هذا العود، بعد ما جال الباطل ضدنا، تلك الجولات، عبر وعظات. لقد كنا نقول، اننا عرب سوريون، اصحاب عقيدة قومية، من سوء حظنا، او من حسن حظنا، ما ندري، لانها تزعزع الجبال، ولا تتزعزع. واننا نريد ان نكون، ونعمل لنكون، اسياداً في بلادنا احراراً، نقول ذلك ونعمل له، في صراحة واخلاص وروية، واننا نريد وحدة سورية، فوحدة عربية شاملة، ذات كيان سياسي مستقل محترم، ونعمل لذلك، في اخلاص وصراحة وروية. كنا نقول ذلك، ونعمل له على المكشوف، وما نزال نقول ذلك، ونعمل له على المكشوف، خالصة نيتنا، راسخة عقيدتنا، شريفة غايتنا.

اننا نعتقد اننا على حق. وليس في عقيدتنا اضطراب، وليس في ايماننا ضعف، فلن ننقلب على عقبينا.

الشرق اذار ١٩٢٨

فرنسا وفريضة الحج !

يسوءنا ان يكون موقف « المندوب السامي » في قضية اداء المسلمين فريضة الحج ، ما يتفق في شيء ، مع ما نصت عليه ، مادة صريحة ، في ما يسمونه صك « الانتداب » من ضرورة احترام العقائد ، والتقاليد الدينية ، ومساعدة الناس في البلاد ، التي وضع لها ، بالرغم منها ، ذلك الصك ، على الاحتفاظ بتلك العقائد والتقاليد.

لقد استغربنا جد الاستغراب ان تقدم « دار المندوب » على حصر الحق « بتسفير الحجاج » ، في الخواجه فريد اده ، وحده دون سواه . وما ندري منشأ هذه الفكرة في تخيّر الخواجه اده ، الذي وضع للسفر الى الاماكن المقدسة ، تعرفة تزيد كثيراً ، على التعرفة التي تعودها الحجاج من قبل . فهل ان حصر هذا الحق في الخواجه اده ، نتيجة لتحديده تعرفة السفر ، باربع عشرة ليرة انكليزية ، ام ان تحديده التعرفة ، نتيجة لحصر هذا الحق فيه ؟! يعرف الفرنسيون كما نعرف نحن ، ان الحج فريضة دينية اسلامية بحت ، ويعرفون انهم مكلفون ، عدم التدخل ، فيما يتعلق بشؤوننا الداخلية ، ولا سيما الدينية منها ، فماذا يريد رجال السلطة الفرنسية ان نستنتج من هذا القرار؟ وبمَ يريدون ، ان نجيب جماهير المتسائلين ، والسائلين عن هذا العمل من المسلمين ؟ ايريدون ان نقول لهم ، ان شدة عناية « دار المندوب » في راحة الحجاج ، والتوفير عليهم ، هي التي اوحت لرجال السلطة ، بهذه الفكرة المعتبرة ! لكي لا يتكلف الحجاج ، عناء الرواح والمجيء الى وكالات مختلفة ، يشترون منها تذاكر السفر ؟ ام نقول لهم ، ان الخواجه فريد اده ، رأى من تلاعب «سماسرة» التسفير ، بالحجاج ، ما يضيع عليهم الوقت والمال ، فاشفق عليهم ، واقدم على هذه التضحية ، بتحميل نفسه ، وحده ، مشقات الاهتمام بتدبير امور الحجاج ، وتسفيرهم ؟!

ان المسألة دقيقة جداً ، وما نستطيع مهما حسنت نيتنا ، ان لا نرى في عمل

السلطة ، هذا ، تضييقاً على الحرية الشخصية بوجه اجمالي ، واحراجاً للمسلمين ، في ممارسة واجباتهم الدينية ، بنوع خاص . وانه ليؤلمنا كثيراً ، ان نرى ، اننا كلما سددنا بابا ، من ابواب السوء ، يفتح علينا بعضهم ابوابا ، واننا كلما خطونا ، في حياتنا السياسية ، خطوة الى التفاهم ، رغبة منا ، في التدليل ، على اننا طلاب حرية وحق ، في غير اضمار ضغينة او عداء ! يقوم من رجال السلطة ، من يصدمنا صدمات ، تعجز « المرونة » السياسية ، مهما يكن من شأنها ، ان تفسرها بما لا يؤذي او يسيء .

ولو ان الذين اتفقوا ، مع الخواجه اده ، على ان ينصبوه ، محتكراً ، لحق تسفير الحجاج ، فطنوا الى تحديد التعرفة ، على الاقل ، بما يتلاءم ، مع ما تعود الحجاج دفعه ، من قبل ، لوجدنا للسلطة ، مخرجاً ، ولانفسنا ، من سؤالات الناس ، مخرجا . ولكن الاربع عشرة ليرة انكليزية ، رقم ضخم ، طــويل عريض ، سيسد المخارج والمسالك !!

وفوق هذا ، فانت مرغم ، على ان تذهب الى الحجاز ، وان تعود منه ، رضيت ام ابيت ! ولكن ، ما حجتكم ، على رجل ، يريد ان يعتكف ، في الحرمين الشريفين ، وان يعيف هذه البلاد ابداً ، او ان يعمل ، في اراضي الله المقدسة ، صانعاً او تاجراً او خادماً ، او غير ذلك ... أمن حقكم ان ترغموه على العودة ، الى هــذه البلاد السعيدة ؟!

اذن ، ما معنى هذا التحكم ، في هــذا الحاج المسكين ؟ اربع عشرة ليرة انكليزية !! ذهاباً واياباً . انه لا يريد ان يؤوب . ثم انه لم يكلف ، طوال حياته ان يدفع في كل حجة له ، ما يزيد على الثماني ليرات ، فما معنى ان يكلفه الخواجه اده ، دفع اربع عشرة ليرة !

اننا نرجو ان لا تنقلب ، عناية السلطة ، بامر الحجاج ــ اذ ان اهتمامها ، بتخويل الخواجه اده وحده ، هذا الحق ، هو ضرب من ضروب العناية بهم ، من غير شك !ــ الى تدبير يتوهم منه المسلمون ، انها تضايقهم في دينهم . وتحول بينهم . وبين القيام بفروض ربهم ، وتنبيهم عليهم .

الشرق اذار ١٩٢٨

تضليل وتجاهل

رجعنا من المنفى ، الى ميدان العمل ، وفي البلاد ضجة بعيدة الصدى ، تثيرها اقلام الكتاب ، هنا وفي فرنسا ، حول جمعية جديدة ، انشئت في باريس ، اسمها (جمعية فرنسا — سورية) وقد كانت تدابير السلطة ، في منفانا ، تقضي بمنعنا مطالعة الصحف والمجلات ، فكنا كأننا منقطعون ، عن هذا العالم ، ما تصلنا به صلة محسوسة ، لذلك لا نجوّز لنفسنا ، ان نُجري قلمنا ، في موضوع هذه الجمعية ، لانه لم يتيسر لنا ان ندرسه كما نريد ، وكما ينبغي للكاتب الوطني الامين ان يفعل .

على اننا لا نكتم القراء ، ان التأثير الاول ، الذي تركه في نفسنا ، بروز هذه الجمعية ، على مسرح السياسة ، تأثير ، ما نستطيع ان نقول ، انه غير سيء . ولا سيما وقد قرأنا بين اسماء اركان الجمعية ، اسم السيد « غونتوبيرون » صاحب الموقف المشهور من بلادنا !! ولسنا الان ، بباحثين ، في اغراض هذه الجمعية ومراميها ، واسباب تأليفها ، فاننا نحتفظ بكلمتنا في هذا كله ، الى ان نستكمل المعلومات اللازمة ، لمثل هذا البحث ، حتى اذا ادلينا برأينا ، ندلي به في معرفة وعلم ، وبعد بحث وتدقيق . ونظننا فاعلين ، عن قريب .

مأدبة لجنة فرنسا والشرق

والذي يعنينا الآن ، عبارة للسيد « ده جوفنال » المندوب السامي الفرنسي عندنا ، جاءت في خطابه ، الذي القاه في المأدبة ، التي ادبتها لجنة فرنسا والشرق ، لجمعية (فرنسا — سورية) هذه ، قال السيد « ده جوفنال » : (واذا كانت سورية ، لا تريد ان تحتمل اي نير ، فان فرنسا لن تكرهها عليه) !! وهذه العبارة ، هي وحدها التي تعنينا الان ، من جمعية (فرنسا — سورية) ، ومن المأدبة والآدب .

فانت ترى في هذه العبارة ، ان السيد « ده جوفنيل » ، يتردد في تصديق ، ان البلاد السورية ، لا تريد نيراً ، اي نير ... او انه يتظاهر على الاقل ، بهذا التردد ! وانه لمن الغرابة في الحد الاقصى ، ان يفوه مثل السيد « ده جوفنيل » ، بمثل هذه العبارة ، في مثل ذلك الحفل ، في باريس ! وهو الذي شهد بعينيه ، اكثر من غيره ، آيات الصدق ، بارزة واضحة ، مكتوبة باحرف من نار ، في ان البلاد السورية ، انما تريد من جهادها وتضحياتها ، التربع على عرش السيادة القومية ، والاستقلال ، ويصعب علينا كثيراً ، ان نعتقد ، ان السيد « ده جوفنيل » ما يستطيع ان يفهم ، من هذا ، انه ينافي الرغبة في الانيار ، وحمل الانيار !! عجيب والله ! هذا التجاهل ، وهذه المغالطة « المرنة » من السيد « ده جوفنيل » !! أبعد كل هذه الجهود ، التي بذلها السوريون ، في سورية وفي الخارج ، وتلك الدماء التي اراقوها بسخاء ، للاستمتاع بحقوقهم كاملة ، في استقلالهم ووحدة بلادهم ، وسيادتهم ، يبقى مجال لمثل هذه الـ « اذا » ؟!

ان السيد « ده جوفنيل » فيما نعلم ، خطيب كبير ، وسياسي لامع ، فهل يقصد من عبارته تلك ، الى ايهام السامعين ، والرأي العام الفرنسي ، ان سورية تريد ان تحمل نيراً من الانيار ؟!! ان في عبارته ، ما يصح ان يتوهم معه السامع ، البعيد عن سورية ، الجاهل نفسيتها وميولها ، ونضالها ، ذلك الوهم . والسيد « ده جوفنيل » بين امرين : اما ان يكون غير عارف بارادة سورية ، التي اعلنتها العالم اجمع ، غير مرة ، واما ان يكون عارفاً ذلك . ففي الحالة الاولى ، يبرهن السيد « ده جوفنيل » على غير ما كان الناس يعتقدونه فيه ، ونحن نريد ان نجله عن ان يبلغ به الذهول ، الى هذا الحد !! وفي الحالة الثانية ، في الحالة الثانية يبرهن السيد « ده جوفنيل » على ... على ما لا احب ، تأدباً ، ان اسميه ..

وبعد ، فاننا نرجو من السيد « ده جوفنيل » ان « يأخذ علماً » ويعلم الذين سمعوه وغيرهم ، ان سورية ، تكره كل نير ، وتحتقر كل نير . وما تريد الا ان ترتع في ظل علم الحرية والاستقلال والسيادة ، كما يفهمها السيد « ده جوفنيل » حينما يتكلم عن حرية فرنسا واستقلالها وسيادتها .

نيسان ١٩٢٨

الشرق

وقاحة المبشرين الاستعماريين

ان « مؤتمر الامم التبشيري » في القدس ، الذي نقلنا اخباره ، عن رصيفتنا « الجامعة العربية » الغراء ، ان هذا المؤتمر وامثاله ، مؤتمرات افسادية ، ما تحمل الا الدعايات الخبيثة ، والشرور المستترة. والحق ، انها اكثر من ذلك ، فاننا لا نستطيع – وقد وقفنا على قسم من قرارات هذا المؤتمر – ان نجد الكلمة المناسبة ، التي يصح ان نصفه بها ، ولا بد لمن يطلع ، على هذه القرارات ، ويعرف اسباب وضعها ، ويدرك ما ترمي اليه من اغراض ، ان يكون من رحابة الصدر ، ووفرة الحلم ، بحيث يذوب امامه ابن زائدة ، وابن ابي سفيان ، لكي يستطيع ان يضبط عواطفه ، فلا يملأ الارض والسماء ، بصيحات النقمة والغضب .

يجمع افاقو الارض والمهستِرون بالتعصب الديني ، بعضهم بعضاً ، في شكل عصابة ، من عصابات اللصوص ، ليهاجموا الشرقيين ، في دينهم وفي غير دينهم ، وهم كأنهم يقومون ، بعمل عادي بسيط ، ما يرون في عملهم ، موضعاً لدهشة او استغراب ، فتراهم يجرون نفوسهم ، في وقاحة وصفاقة ، الى عقر دارك ، ومتناول سمعك وبصرك ، لكي يدبروا التدابير ، ويحبكوا المؤامرات ، لدك اسس بلادك ، وتدمير بنيان وطنك ، ولكي يحاولوا القضاء على قوميتك ، والقضاء على دينك وخلقك وتقاليدك ، فيقولون في قراراتهم التي يصدرونها ، من دون ما تردد ولا مبالاة :

« واما الاحوال السياسية ، في جميع البلاد الاسلامية ، تقريباً ، فقد اصبحت ملائمة لاعمال التبشير ، ما خلا تركيا . والعراقيل التي كانت تنشأ فيما مضى ، من بعض الحكومات ، قد ازيلت الان تماماً (!!) وبعض الحكومات الاستعمارية ، التي كانت فيما مضى ، مضادة للتبشير ، في الاقطار الاسلامية ، قد تغير حالها ، وباتت صديقة التبشير وعضده القوي ، تمده بالمعونة اللازمة ، للقيام بالاعمال الطبية والاجتماعية

والسياسية والتبشيرية الخاصة »!! الى ان يقولوا : « ومما هو جدير ان يسترعي النظر والانتباه ، الاستعداد الفكري والذهني ، في المسلمين ، لقبول الجهود التبشيرية ! ففي كل قطر ، من الاقطار الاسلامية ، على وجه التقريب ، تقوم الحكومة بادارة التربية والتعليم ، وتقوم الى جانب الحكومة ، جمعيات التبشير ، وبفضل الادارة الحكومية ، وجمعيات التبشير ، الخ » (!!!)

اوعيت ما قرأت ؟! أأحسست الى اي حد ، بلغ استهتار اولئك المهسترين ، رسل الاستعمار السياسي ، تحت ستار الغيرة على الدين ؟؟

ان في هذه القرارات ، فضلاً عن الحجة ، على عقلية هؤلاء « المبشرين » الغربية المستغربة ، تهمة صريحة للحكومات التي وضعت سياسة الحرب العالمية ، مقدرات فريق من شعوب الشرق بين ايديها ، ولاسيما للحكومة الانكليزية ، التي عقد هذا المؤتمر ، في البقعة السورية المناط بها امر « الاشراف » عليها . الا ترى ان قول المؤتمرين « وبعض الحكومات الاستعمارية ، التي كانت فيما مضى ، مضادة للتبشير ، في الاقطار الاسلامية ، قد تغير حالها ، وباتت صديقة التبشير ... » الى آخر ما جاء في هذه الفقرة . فمن هي هذه الحكومات الاستعمارية ، وما علاقة خدمة السيد المسيح ، عليه السلام ، وتخليص « النفوس الضالة من نار الجحيم لقذفها في ملكوت السموات » بالاستعمار ، والحكومات الاستعمارية ؟!

ليسمح لنا ، هؤلاء المبشرون ، او بالاحرى السياسيون الاستعماريون ، انْ نزعم على الاقل ، اننا ندرك الغرض ، من تسترهم بالتبشير الديني ، وان نزعم ايضاً ،ان هذه الحكومات الاستعمارية التي يعنونها ، في كلامهم ، تدرك مثلنا ، هذا الغرض ، وليسمحوا لنا ، إن نتولى التصريح عنهم بما في ضمائرهم : انهم يريدون ان يقضوا على الشرق ، بالقضاء على الاسلام ، وانهم انما يتوسلون بالتبشير ، لكي يجعلوا من الدين ، آلة من شتى الآلات ، التي يتوسل بها الغرب لاستغلال الشرق واستعماره .

وما نقول ، لهذه المناسبة ، اننا لا نستطيع ، ان نصرح ، بان المسيحيين في هذا الشرق ، يأبون كما يأبى المسلمون : مواطنوهم واخوانهم ، ان يتخذ الساسة الاستعماريون دين السيد المسيح ، اداة لاستغلال الشرق واستعباده ، لانهم في

النتيجة ، لن يكونوا اسعد حظاً من المسلمين ! وانا نرى مجالا ، لكي لا نشك ، في ان مسيحيي الشرق العربي ، شرقيون عرب قبل كل شيء . وانهم معنا في الدفاع عن قوميتنا الواحدة ، وفي تقبيح اعمال هذه الطغمة الدينية السياسية الخبيثة ، التي سنتولى فضح اعمالها، ومحـــاربتها ، غير ناسين، ان نعرض لموقف الحكومات الاستعمارية ، فيا تتهمها به ، هذه العصابة الضالة المضللة . ولعل القراء ، يشاطروننا رأينا ، في ان عمل هذه العصابة ، هو الوقاحة . وليست الوقاحة ، مذكرة مصر الى بريطانية ...

نيسان ١٩٢٨

الاحرار

في صميم المعركة

« ان دمشق ، واسطة العقد في جيد هذا الشرق العربي، الذي يستيقظ ، استيقاظ الجبار الكريم ، أوذي اثناء غفلته ، دمشق بنت الحضارة والبطولة والتضحية ، دمشق معلمة بلاد العرب ، الغضب للكرامة ، والاستبسال في سبيل دفع ذل الاستعباد ، وفي سبيل عز السيادة ، لن تنال منها الدعايات الفاسده ، تحملها الالسنة الخبيثة والنشرات الخبيثة ، ولن تزعزع عقيدتها ، وتوهي عزيمتها ، او تردها على اعقابها ، وعود الواعدين وتهديدات المهددين ، ولن تكون المدينة الشهيدة ، الا في جانب مقدسي الشهداء . لن تكون المدينة الساحرة الجبارة ، التي كانت بالامس ، بحيرة دماء ومفترش اشلاء ، من اجل القضية ، التي كانت وما برحت ، في مقدمة حملة لوائها الخفاق ، الا في جانب من يشعرون ، ان تلك الدماء دماؤهم ، وان هاتيك الاشلاء اشلاؤهم ، اولئك الذين تعي قلوبهم ، قبل اسماعهم ، هتاف ارواح شهدائهم ، تهيب بهم ، ان احترموا الدم المهراق في سبيل كرامتكم ، وطأطئوا الرؤوس ، خشوعاً واجلالا ، امام الارواح الذاهبة ، دفاعاً عن حقكم وحريتكم ، وعن استقلالكم وسيادتكم » هذه هي الكلمة ، التي قدمنا بها من بضعة ايام ، لمقالنا في معركة الانتخابات النيابية ، في دمشق ، وانه ليسرنا ، ان تكون النتائج جاءت مصدقة لما تنبأنا به . فان دمشق ، قد ادت الامانة . ووضعت مقدراتها بين ايدي المخلصين من الوطنيين الاحرار . وما يعنينا ان يقول « نكرات » لا شأن لهم ولا وزن ، اننا دمشقيون اكثر من الدمشقيين . بل ما يعنينا ان يقول ذلك ، حتى غير « النكرات » ممن يسمونهم « اكابر واعيان » وغير ذلك ، ممن باعوا انفسهم للاجنبي المستعمر ، لا فرق عندنا ، ان يكون هذا الاجنبي فرنسياً ، او انكليزياً ، او تركياً او غير ذلك ... ما يعنينا من هذا كله ، من شيء . فنحن نصرح في اقتناع وايمان ،

باننا دمشقيون شاميون ، وعراقيون وحجازيون ونجديون ويمنيون ولبنـــانيون ، واية غرابة في ذلك؟ ألسنا عربا ؟ أيحسب هؤلاء النفر ،من قصيري النظر ، وصبيان السياسة و«مفاليس» العقيدة والايمان ، اننا نحسب وطننا ، غير متجاوز حـــدود قريتنـــا ، او مدينتنا ، او قضائنا ، او اقليمنا ؟! ام انهم يحسبوننا نغضب من ترهاتهم ، فيحملنا الغضب ، على الانصراف عن العمل ، لدمشق والشام ، الى التلهي بالمهاترة وسخف الكلام ؟! انهم صبيان ، لايعرفون بالعقائد ، ولا تتسع مدار كهم الضيقة ، لفهم الايمان ، ولا هم تذوقوا طوال حياتهم ، طعم شرف المبـــادىء ، وصلابة الاخلاق .

نيسان ١٩٢٨

الشرق

تعنت وبغضاء وغرور

يتهمنا رجال السلطة الفرنسية ، والمماحكون منهم ، بنوع خـــاص ، بكره الفرنسيين لانهم فرنسيون . يفعلون ذلك ، كلما رأوا انفسهم مضطرين الى تبرير انفسهم ، مما تتهمهم به البلاد ، من خرق في السياسة وتحيز ، ومن رغبة في التفريق ، ليسودوا ويستعمروا ، يحتجون لانفسهم بموقفنا السلبي تجاههم ، وإعراضنا عن التعاون معهم . وينعتوننا بالتعنت والبغضاء والغرور !! وبقي هذا شأنهم ، الى ان اذكوهـا نيرانا ملتهبة ، ذابت فيها اطيب النفوس العربية عنصراً ، واشرفها مكانة ، وتبعثرت بين السنتها رماداً منثوراً ، نضرة الجنائن وفخامة القصور . ففطن القوم عندها ، في باريس ، لسوء سياسة عمالهم ، وضلال ممثليهم . وتبدت لهم مساويء اعوانهم المتملقين ومخازيهم ، وايقنوا — وما كان اجدرهم بان يوقنوا من قبل — بان احرار السوريين ، ما يقفون موقفهم ، الذي سموه سلبياً ، لانهم يكرهون الفرنسيين ، لمجرد كونهم فرنسيين ... ولا تعنت وغرور وبغضاء في نفوسهم ، فاقبل رجال السلطة على هؤلاء الاحرار الوطنيين ، يمدون اليهم ايديهم ، وشاء الوطنيون مرة اخرى ، التدليل على حسن نياتهم ، وعلى الرغبة في التعاون مع احرار الفرنسيين ، شرط ان يكون ذلك في ظل الاستقلال والسيادة القومية ، فصافحوا تلك الايدي ، واقرتهم البلاد على تلك المصافحة ، اطمئناناً منها ، الى ذلك الشرط ، وحملتهم الى مقاعد التشريع والسلطان. وجاء دور العمل ، فبتنا وليس احد يسمع الا هذه الكلمات : « التفاهم . التعاون . الحكمة . المرونة . وما الى ذلك من كلمات !! »

ولسنا نكره هذا ولا نأباه ، ولكننا اصبحنا نخشى كثيراً ، ان تصيّرنا الحكمة ، او كثرة الحكمة ، جبناء واثانيين . وان نتمادى في « المرونة » حتى نصبح كالعجين . او « الين » من العجين ..

فقد عرفنا بصورة خاصة، ان بين اعضاء المجلس التأسيسي ، حركة واسعة ومريبة، تحدث باسم التفاهم والتعاون ، وباسم الحكمة والمرونة ، وباسم الرغبة في الاستمرار في السياسة الايجابية . وفي غير ذلك من امور ..

ان قضية الوحدة ، ليست قضية ثانوية ، كما يريد ان يصورها بعض الاخوان ، وبعض الذين وضعتهم الظروف في طريق الشهرة ، والذين يفضلون كما يظهر ، الجو الصافي على اي شيء آخر... ان الجو الصافي ، لا بأس به ، وقد يكون مرغوباً فيه عندنا ايضاً . ولكن هناك اموراً ، في جملتها الوحدة ، فوق هذا الجو . وان الجو الصافي ، من الرغبات المحببة الينا ، ولكن اصوات مجاهدينا ، يأكل جنوبهم صدأ الحديد ، وتذوب اجسامهم في اشعة شمس الصحراء ، ورمالها المحرقة — وبعضهم من ابناء الخز والديباج ، والحرير والاستبرق — وارواح شهدائنا الغر الميامين ، رموز الايمان والبطولة والتضحية ، اشرف ما في الكون من صفات ، احب واسمى واجل.

وبعد هذا وذاك ، فللبلاد ميثاق ، ما خطر في بال كاتب حر مؤمن ، ولا صحيفة حرة رصينة ، مناصرة واحد من هؤلاء الذين يشغلون اكبر مركز اليوم ، في سورية ، ونعني بالمركز ، كرسي المجلس التأسيسي ، الا لانهم اقسموا اليمين المغلظة، انهم يتقيدون بذلك الميثاق ، وينفذون كل حرف من حروفه .

ولنذكر جميعنا ، في هذه البلاد ، اننا عرب ، وان في رأس مفاخرنا الوفاء ، وان الرسول العربي الامين ، الذي له وحده ، الفضل ، في اننا (امة) عربية ، قال: ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وان صام وصلى وحج واعتمر ، وقال اني مسلم : اذا حدث كذب . واذا وعد اخلف ، واذا اؤتمن خان .

« الشرق » **حزيران ١٩٢٨**

متى كانت الوطنية هفوة ؟!

سألني امس ، صديق عزيز علي ، عليم بآرائي السياسية ، وبموقفي من قضية بلادي العربية ، اذا كنت قرأت مقال الشيخ فؤاد العازار ، المنشور في جريدة البلاغ الصادرة في ٢٢ كانون الاول ، من هذا العام — ١٩٢٨ — فاجبت بانني لم اقرأه ، فساء صديقي ذلك ، واخذ يسمعني خلاصة ذلك المقال ، فعدت الى تلك النشرة من جريدة البلاغ ، وقرأت مقال الشيخ ، ثم قرأته ، فاذا هو آية من آيات الغموض ، لولا ما يبرز خلال بعض سطوره ، بوضوح ، من حب المغالطة ، وحب التقرب من السلطة الفرنسية ، في غير رفق ولا لباقة ، وقد عهدت الشيخ رفيقاً لبقاً ، ولغير ما غرض ، من الاغراض الوطنية العامة العالية ، وهو يتغنى امامي ، بتاريخ النهضة والوطنيات !.

يقول الشيخ المحترم ، في سياق الكلام ، على مأتم المغفور له ، البطريرك غريغوريوس الرابع ، انه يفند بعض « مزاعم » لمراسل جريدة « العهد الجديد » في دمشق ، لانها « تمس بمصلحة طائفته السياسية » . والذي اعلمه ان ما قاله مراسل « العهد الجديد » ، وغيره من مراسلي الصحف ، وكتابها ، وما قاله كل مطلع ، على اقوال الفقيد العظيم واعماله ، فقيد الامة العربية جمعاء ، وليس الملة الارثوذكسية وحدها ، ما يخرج ، عن الاشادة بعمله وفضله وتقواه ، وصحة عروبته ، وشدة استمساكه بدينه وقوميته ، فاذا كان الشيخ فؤاد يحسب ان في هذا ، ما يضر بمصلحة ملته ، السياسية ، باعتبار ان التدليل ، على ان رأس هذه الملة او تلك ، يحب امته ، ويحترم في احترامه اياها ، نفسه ، وينشد من وراء قوله وعمله ، وما يبذله من جهود طوال حياته ، استقلال هذه الامة ، وعزها وسيادتها ومنعتها ، مدعاة لاستياء السلطة الفرنسية ، المتحكمة اليوم في هذه البلاد ، ولسخطها على هذه الملة ، وبالتالي لانزال الضرر فيها ، من الوجهة السياسية ، اقول ، اذا كان الشيخ فؤاد ، يحسب

ذلك كذلك . فقد ضل مرتين ، ضل بفكرته من حيث المبدأ والاساس ، وضل باتهامه السلطة الفرنسية ، بتهمة شنعاء !!. تصويرها للناس ، ضيقة الصدر ، قصيرة مـــدى النظر ، وهو اذن ، سيبوء من مناوراته ، بالفشل ويجني من تقربه « منهم » ابتعادهم عنه ... ثم يقول : (واعتب علانية ، على حضرة مراسل « العهد الجديد » عودته في سياق وصف خسارة البلاد ، بغبطة بطريركنا الجليـل ، الى ذكر وقائع ، لا تعلق لها في موضوع التعظيم والتكريم لاخلاق وصفات ومبادىء الفقيد وهو ما تحسبه الملة الارثوذكسية ، عليه هفوة من هفوات السليقة البشرية التي لولاها وامثالها لصحت نسبة العصمة والكمال لغبطته) .

هفوة من هفوات السليقة البشرية !! ما افظع هذا التعبير ، يحمل في ثناياه ، تطاولا غريباً مؤلماً ، على اكبر رجل ديني في الشرق ، قـــد مات . واستصغاراً مثيراً ، لشعور ملايين من الناس ، وعقليتهم وعقيدتهم ، ما يزالون يحيون.

أتدري ما هو الذي يسميه الشيخ فؤاد العازار ، هفوة من هفوات السليقة البشرية ، لولاها لنسب الى غريغوريوس الرابع ، بطريرك انطـاكية وسائر المشرق العصمة والكمال ؟! هو مبايعة هذا البطريرك العربي ، فيصلا الاول ، ملكا عربياً على بر الشام ، راضياً مختاراً مؤمناً ، بما يفعل وما يقول !! هو مماشاة هذا البطريرك العظيم ، النهضة القومية ، والحركة الوطنية في سورية في عقيدة وايمان ، وفي تعقـل وحزم !! انها لجرأة على الاموات وعلى الاحياء ، تجاوزت حقاً ، حد الجرأة ، التي نعرفها في الشيخ العزيز ...

الهفوة يا حضرة الشيخ ليست في ما زعمت ، ولعلهـا في شيء آخر ، امسك عن ذكره الآن ، ضناً بمصلحة اخواني العرب الحقيقية ، ابناء الارثوذكسية الكريمـة ، التي (غاليت في حبك مصلحتهم ...) الى حد المغالطة والتضليل ، ولا عجب فانت معروف بهذه الغيرة مشهود لك ، بهذه الحدة ، في خدمة المصالح الطائفية والوطنية منذ القديم ...

* * *

وبعد فليأخذ الشيخ العزيز كرماً ولطفاً « علماً » بما يأتي :

اصرح عالياً — وازعم ان ابناء الطوائف الاسلامية جميعها ، وغيرهم من ابنـاء

الطوائف الاخرى ، الذين يحسون ويعترفون انهم عرب ، يؤيدون هذا التصريح — بانني اعتقد ، ان فقيد الارثوذكسية الكبير ، بل فقيد الامة العربية كلها ، كان رجل علم وفضل وتقوى وصلاح وانسانية ، مزايا واخلاق كافية ، لحمل الامة بمختلف مللها ، على اجلاله وتكريمه ، ولكن مواقف الفقيد العظيم القومية ، التي لم يجرأ على نكرانها او المغالطة فيها — فيما اعلم — الا الشيخ فؤاد ، لم يستطع ان يتناساها احد مـــا ، ويستحيل على الوطني العربي الامين ، في مثل الحال التي يرى نفسه وامته فيها اليوم ، مهما تكن عقيدته الدينية ، ان لا يشعر بتأثير تلك المواقف السياسية المشرفـة ، في نفسه ، حينما يأخذ بين يديه ، المقياس الذي يقيس به افراد الرجال . وليس في هذا ما يقلل في شيء ، من مزية الاخلاص ، في الاشتراك بتكريم الراحل الكريم !

وانني لموقن ، واستند في هذا ، الى ما سمعته ، من اصدقائي الارثوذكسيين ، اصحاب الشخصيات البارزة ، والى شعوري الخاص ، بان الملة الارثوذكسية ، على غير رأي الشيخ فؤاد ، في هذا الشأن ، وانها واثقة الثقة كلها ، بان تلك المظاهرة العالية — كما يسميها الشيخ نفسه — التي ظهرت بها الطوائف الاسلامية ، كانت عالية حقاً ، وكانت صورة صحيحة لعواطف باطنة ، عالية حقاً . فليطمئن الشيخ فان مصلحة ملته ، ومصلحته ايضاً .. من هذه الجهة في امان .

البلاغ ٢٩ كانون الاول ١٩٢٨

يقظة العمال

انفذت اشعة النور حقاً ، الى حجرة الغارق في مهاوي الظلام ؟

أدبت اليقظة فعلا ، في نفوس عمال هذه البقعة الغالية ، من بلاد العرب ؟؟

اليقظة ! ان تحيّز العمال في بيروت ، هــــذا الاسم المحبب ، لمجلتهم الاولى ، ما استطيع الا ان افهم منه صرخة : ها نحن اولاء ... انه صوت النفير البعيد الصدى ، يتقدم الجيش المقبل في تصميم ونظام .

انه زعم صريح ، بان هذه الجماهير ، المنتشرة في كل ناحية ، من نواحي البلاد ، في القرى وفي المدن ، قد استيقظت من نومها العميق الطويل ، وانها لن ترضى بعد الان ، الا ان تنال كل ما لها من حقوق ، والا ان تؤدي كل ما عليها من واجبات .

اللهم اجعل من هذا الزعم حقيقة ثابتة بارزة ، يحسها ويلمسها ويحياها الضعفــــاء والاقوياء ، على السواء .

لقد كنت اقول دائماً ، ان العامل فرد من الافراد الذين يؤلفون بمجموعهم هذه الامة ، ما افرق بينه وبين غيره ، ممن ليسوا عمالا ، بالمعنى المعروف في الاصطلاح ، واعني بهذا ، انني لم اكن اعتمد الطبقات في بلادي ، مقياساً مطلقاً ، لتقدير الناس وانصافهم ، وان اكن اعلم ان نصيب من يسمونهم عمالا ، من الثقافة والمعرفة بوجه الاجمال ، اقل من نصيب غير العمال . وها أنذا اصرح ، بعد نضال احد عشر عاما ، في ارتياح واقتناع ، بان هذه الامة المجاهدة في سبيل حريتها ، واستقلالها ، يصعب عليها استرجاع حقها السليب ، كاملا غير منقوص ، الا ان يكون العمال ، احدى القوى الفعلية الصالحة ، الامينة في وطنيتها ، التي تخوض عباب النضال . ذلك لانهم اكثرية ساحقة من جهة ، ولانهم من جهة اخرى ، اقوى عوامل الانتاج في البلاد ، ولكي يكوّن العمال ، هذه القوة الامينة الصالحة عندنا ، يجب ان يوحدوا صفوفهم وان يتثقفوا . اما توحيد الصفوف فبتأليف النقابات المنظمة لكل حرفة ، ولكل

عمل . واما التثقيف،فبتأسيس المدارس الليلية، يدرسون فيها فيما يدرسونه ، تاريخ العرب درساً صحيحاً ، باعتبار كونهم جميعهم عرباً ، على اختلاف المـذاهب و « الدويلات » . فالى هذين الامرين الجوهريين ، ادعو الاخوان العمال في بلادي. والى مساعدتهم فيها ، ادعو اخواني الوطنيين الامناء المجاهدين ، في عقيدة وايمان ، ما يبتغون من وراء جهادهم ، زعامة ، ولا شهرة ، ان يبتغون الا استعلاء حق الامة ، واستقلال البلاد . لقد خشيت على العمال العرب ، منذ بدأوا يتحفزون للنهوض ، ان يبث المأجورون والمخدوعون فيهم ، روح ما يسمونه (الدولية الثالثة » ولكن مقالا للبقظة الغراء ، في نشرتها الرابعة بعنوان « خطاب اليقظة » الى عمال زحلة » ، قد سكن ، من خشيتي . ومع ذلك فما استطيع الا ان اعد نفسي ، مفرطاً في واجبي الوطني ، اذا انا لم اتناول هذا الموضوع في اسهاب وصراحة ، كلما سنطعت خدمة لمصلحة العمال الصحيحة ، التي هي جزء من الخدمة الوطنية العامة

اليقظة - كانون الثاني ١٩٢٩ .

حليفة العرب وصديقة المسلمين !

كانت دور القناصل في بيروت ، قبل الحرب العظمى ، مطابخ « للصداقات » فكنت ترى القنصلية الفرنسية تطبخ صداقة الموارنة – وهذه اهون الطبخات – والقنصلية الروسية ، تطبخ صداقة الارثوذكس ، والقنصلية الانكليزية ، تطبخ صداقة بني معروف ، وهكذا الى ما يكاد ان لا يكون له نهاية ، ومن البديهي ان « المطبخ » لا يعد طبخة ، الا حين الحاجة ، وحاجة هذه القنصليات الى الملل التي ذكرنها لك ، لم تكن تتعدى الرغبة في تفريقها ، وتمزيقها ، والعبث بها وتسخيرها لخدمة ما تضمره ، من النيات الصالحة والاغراض الشريفة !!. ولا تنس « التمدين والانسنة » فقد كان لهما الشأن الاول ، في مناورات دور القناصل ، قبل الحرب ، واذا كان ذكرهما ما كان يردد ، في ذلك الحين ، فذلك لاننا – كما يقضي المنطق بان نستنتج – كنا في ذلك الحين ، اقل حاجة او اقل قابلية « للتمدين والتأنس » منا اليوم ... وكانت العناصر الاسلامية – عدا بني معروف – محرومة من طبخة صداقة وعطف ، ولكن الله كريم ، والمسلمين قوم من عباده الموحدين المستسلمين ، والانكليز اصحاب صدور رحبة ، تسع الشيء الكثير ، وذوو عطف فياض ، جدير بان يغمر الجميع ، فما ان اعلنت الحرب ، حتى تحول الاسد البريطاني بعينيه الناريتين ، نحو الشرق الادنى ، وحال الى حمامة وديعة ، ولكنها كبيرة جداً ، ظللت بجناحيها كل بلاد العرب .. وهبطت النعمة العظمى ، جاءت الطبخة الكبرى ! نزلت الآية : بريطانيا حليفة العرب ! وصديقة المسلمين !!!

عفوا ، كدت انسى ، ان اول مادة من مواد هذا التحالف ، واول بارقة من بارقات هذه الصداقة ، ظهرتا في عام ١٨٤١ يوم حالت انكلترا ، بين اتحاد القطرين العربين الشقيقين : مصر وسورية !!

وكانت الحجج ، طوال هذه السنين ، وما برحت تقوم ساطعة شهباء ، على تجرد

الانكليز في صداقتهم ، ووفائهم بعهودهم ! فمن ثلهم العروش العربية، في الجزيرة وفي الشام ، الى خلقهم « الاوطان القومية » في سورية الجنوبية ، الى ابتلاعهم « البحار » الميتة، وغير الميتة في هذه البقعة من الارض المقدسة، الى محاولتهم الاخيرة، في مجلس العموم في لندن، ابتلاع اراضي الحولة ، بواسطة القومندان « كنورثي » الذي طلب في ٣٠ نيسان المنصرم ، انتزاع امتياز هذه الاراضي ، من ايدي العرب، ليدفعه الى الصهيونيين الاشداء ! استرضاء لهم واتقاء لبطشهم !! الى ما سيأتي به المستقبل ، مما لا يعلمه الا الله . . .

كل ذلك ليثبت الانكليز للعالم اجمع ، انهم والعرب « الحال واحد » ولا بأس بأن يفنى فريق منهم في الاخر ، وما دام الامر كذلك ، فمن الاليق والانسب ان يفنى الضعيف في القوي !!

اي ابناء التاميز ! تجبروا ما شئتم وتصهينوا ما شئتم ، ولكن لا تنسوا ان في مغامراتكم المتتالية في هذا الشرق ، شططا ، سيعود عليكم بالوبال . واعلموا ان بين بالامثال العامية عندنا ، مثلا يقول : (لا تلح على الجبان فتعلمه المراجل) فكيف لعرب ، وهم اذا كانوا اليوم ، ضعفاء، فليسوا بجبناء .

اي ابناء التاميز ! احذروا ، ان في سكان بلادكم انفسهم ، احراراً، يحسون هذا الذي نحسه منكم ، وسيكونون هؤلاء عوناً لارباب الحق عليكم ، ان لم يكن حباً بالحق وارباب، فحباً بانكلترا ، التي يخشون عليها عاقبة بغيكم وعدوانكم .

حليفة العرب ! وصديقة المسلمين !!

ليهنأ العرب ! وليهنأ المسلمون ! بحلفائهم واصدقائهم !!

وليحي الوفاء !!

« الاحرار » ايار ١٩٢٩

السلام الادبي والمادي

نشرنا في لواء امس ، برقية عن لندن ، تحمل البيان الذي قدمه الى (لجنة الانتدابات) في عصبة الامم، معتمد فرنسا في سورية ، وقلنا اننا سنعلق على هذا البيان . وها نحن اولاء نعلق عليه في وضوح .

قال فخامة المعتمد ما معناه

(انني اؤكد ان فرنسا ترغب في الوصول الى اتفاق وثيق مع عناصر السكان على اختلاف اجناسهم وترغب في ان تمنحهم نظام حكم سياسي يوافق اماني البلاد ويطابق مقتضى الموقف الحالي !) . وقال : (ان السلام الادبي والمادي لم تكدر حياضه من سنة ١٩٢٦ ولم يقع هياج ما ! ثم جاء على ذكر الجهود المبذولة ، للحصول من زعماء الجمعية التأسيسية السورية ، على موافقتهم الصريحة الرسمية ، على شكل الحكومة الذي تعطيهم فرنسا، بحكم العهود المقطوعة، والاسباب التي من اجلها اكرهت فرنسا ، على العودة الى تنفيذ المادة الاولى من صك « الانتداب » ، ونشر الدستور قال : « ولو ارادت سورية ان ترضى فقط ، بادماج التحفظ المتعلق بزاولة الانتداب ، في صلب الدستور ، لكانت قد جربت تجربة مرضية ، كالتجربة التي جربها لبنان، واحرزت تقدماً عظيماً !! »

هذا ابرز ما في بيان السيد بونسو ، معتمد الدولة الفرنسية في هذه البلاد . وانت ترى مقدار ما فيه من الغموض والابهام والمغالطة ، او مقدار ما في بعض فقراته من هذا الغموض وهذه المغالطة وهذا الابهام ، امور امتاز بها رجال السياسة في الغرب بنوع خاص !

اننا نؤكد بدورنا ، للمعتمد الفرنسي الكريم ، اننا نرغب في الوصول الى اتفاق وثيق العرى ، مع الفرنسيين ، وناخذ على فخامته قوله : (عناصر السكان على اختلاف اجناسهم) فالذي يسمع هذا القول ، يظن ان في البلاد ، عناصر

واجناساً متعددة مختلفة ، ما يمكن التوفيق بينها ، فيبرر التقسيم السياسي وغير السياسي ، الذي احدثته الدولة ، التي يمثلها فخامته ، في تقديمه للعصبة هذا البيان . والواقع ان السوريين جميعهم جنس واحد . ما يختلفون الا في العقيدة الدينية ، واعني ان فيهم المسلم وفيهم المسيحي ، ولكنهم كلهم عرب سوريون ، وفخامة السيد بونسو يعرف هذا من غير شك ...

اما (السلام الادبي والمادي الذي لم تكدر حياضه) فلعلنا ندري الشيء الذي يقصد اليه فخامته من ذكره ، ولعله يريد ان يقول ، لعصبة الامم ، ان السوريين مغتبطون بالحالة السياسية الحاضرة ،مطمئنون اليها ، ما يريدون ان يستبدلوا بها غيرها من الحالات . والا لعكروا « السلام الادبي والمادي »ولاستمروا في ثورتهم الثائرة التي يشير اليها فخامته بذكره عام ١٩٢٦ .

اننا ما نشك في ان السيد بونسو نفسه ، يؤمن بان السوريين غير راضين عن الحالة الحاضرة ، فانه يلمس ذلك لمسا ، وانهم طلاب سيادة ووحدة واستقلال ، ما يرضون عن شيء ، ولا يطمئنون الى شيء ، ما لم تتحقق مطالبهم ، فهل تحققت هذه المطالب حتى الآن ؟.

اذن فالسوريون ما يزالون كما كانوا عام ١٩٢٦ ، في موقفهم من السياسة الفرنسية ، وانهم لكذلك برغمهم ، لانهم كانوا يفضلون ان تثمر سياسة التفاهم ،وان تتوطد الصداقة الحق ، بينهم وبين الفرنسيين ، ولكن معارضة الدستور ، وحل الجمعية التأسيسية ، الممثلة الصحيحة ، للبلاد ، وما الى ذلك من امور ، انكرها السوريون ، واحتجوا عليها احتجاجا صارخا ملأ الارض والسماء ،(ولكنه لم يصل الى جنيف) كل ذلك ،حملهم على ان يبقوا من موقفهم السياسي ،حيث كانوا عام ١٩٢٦ . وان يكن (السلام الادبي والمادي لم تكدر حياضه .سنة ١٩٢٦ ... فمن يضمن المستقبل ؟ ..

« اللواء » تموز ١٩٣٠

الاموال المخبأة

حينما تفرغ جعبة رجال السياسة الفرنسيين ، في فرنسا، وفي دار الاعتماد الفرنسي في بيروت ، من الحجج على عدل موقفهم ، من القضية السورية العربية ، ويرون انهم على ضلال ، في نهجهم السياسي، تجاه مطالبنا السياسية الحق، من وحدة وسيادة واستقلال ، يأخذون في (فقع) الخطب الرنانة ، من على منابر مختلف الانــدية والمجالس ، وتدبيج التقارير الطويلة العريضة ، يرفعونها الى وزارة الخارجية الفرنسية، والى عصبة الامم ، يعالجون فيها الحالة الاقتصادية في سورية،ويزعمون لها الازدهار الكامل ، بفضل مشاريعهم المثمرة ... وجهودهم المبذولة الواسعة النطاق .. في هذا السبيل ، فاذا تباهلنا ، وتناسينا حينا ، المطالب السياسية ، لنعالج مسائــل الاقتصاد ، فما نستطيع ان لا نرى ان حالة البلاد ، من هذه الناحية « زفت » وان الضيق اخذ بخناق البلاد ، غنيها ومتوسطها وفقيرها ، وان البلاد تكاد تغدو قفاراً بلاقع ، وان الزراع ، بنوع خاص يكادون يهجرون اراضيهم ـ وقد هجرها فريق كبير ـ الى المهاجر ، سعيا وراء الكفاف من العيش ، فيحملنا هذا ، على رفــع الصوت عاليا ، مطالبين بمعالجة هذه الادواء ، بالتي هي احسن ، قبل ان تستعصي على المعالجين ، وقبل ان تتدهور البلاد باسرها ، الى هوة الافــلاس ، فيضع اصحابنا اصابعهم في اذانهم ، ويمثلون لنا دور عصمة باشا في مؤتمر لوزان ..

ماذا ، انقول غــير الحق ؟ اذن فليسمعوا : ان في دار الاعتماد الفرنسي في بيروت مبالغ طائلة « يحجرون » عليها خوفاً من فرارها = طبعاً = هي نصيبنا من ربع جمار كنا ،فهل لدار الاعتماد الجليلة ، ان تخرجها من مخابئها ، التي لا تثمر فيها شيئا ،والتي يخشى عليها فيها ،من (العفن) الى مخابيء ، يمكن ان تكون من عوامل الازدهار الاقتصادي حقا ؟ الى صناديق بنك زراعي وطني ، تنشئه الحكومــة

لاقراض الزراعين بفائدة لا تثقل كاهلهم ، فتستفيد الحكومة ويستفيد الاهلون؟

نحن نعلم ان حكومة (الجمهورية اللبنانية) هي التي تحمل ، وسمياً ، تبعة حبس اموال الجمارك ، في صناديق دار الاعتماد ، بالدرجة الاولى ، وهي المكلفة بان تطالب بهذه الاموال ، وتستولي عليها ، وتوظفها في انشاء البنك المنشود .

لذلك نرجو من وزارة اديب باشا ، ان تعير ملحوظاتنا هذه اذانا مصغية ، وان تعمل في جد واخلاص ، للحصول على هذه المبالغ ، واستخدامها في تأسيس بنك زراعي ، ينفس عن الزراع كربتهم ، ويخفف شيئا من الضيق ، الذي يكاد يقضي عليهم .

قد يقولون ان هذه المبالغ التي « تخبئها » لنا دار الاعتماد ، قليلة لا تكفي لمثل هذا العمل . والذي نعلمه انها غير ذلك ، وهب انهم مصيبون بتقديرهم قلتها ، فالقليل خير من لا شيء ، ثم ان الحكومة تستطيع ان تضيف ، الى الاموال الموجودة اليوم ، ما يعطيه الجمرك في كل سنة ، من الربع الذي يعود لنا ، لتثميرها ، وتقوية البنك ، فتقرض الزراع ، الاحوج فالاحوج ، معتمدة في معرفة ذلك ، على عمالها المنتشرين في انحاء البلاد كافة ، يرفعون اليها التقارير المفصلة ، عن حالة كل قرية من الوجهة الزراعية ، ومبلغ حاجة كل مزارع بالتقريب .

لقد غدت حالة الزراع لا تطاق ، ولا يحس هـــذا الامر ، ويلمسه حقاً ، الا الذين ينصرفون ، ولو قليلا ، عن ملاهي المدن الى حقول القرى : سهولها وجبالها ، فهل لاعضاء الحكومة ، ورجال المجلس من الوقت ، ما يساعدهم على الانصراف قليلا عن تلك الملاهي الى هذه الحقول ؟ ! !

« اللواء » تموز سنة ١٩٣٠

دعاة القومية لا يفرقهم الدين

على هامش مقال الاستاذ رئيس تحرير «الاحرار» بين الوطنية والطائفية.

لا جدال بان في الاوساط الاسلامية العربية ، في لبنان ، وغير لبنان ، حركة استياء عنيفة جداً ، يصح ان توصف باكثر من ظروف قابضة ...

ولا جدال ايضاً بان هذا الاستياء العنيف ، يتغلغل عنيفاً او غير عنيف ، في الاوساط العربية ، غير المسلمة ، وانه لا اثر له ، في الاوساط المسلمة غير العربية على الاطلاق ، اذن فالمسألة مسألة « قومية عربية » بحت وليست مسألة دين .

واذا كانت الاصوات التي ارتفعت بالشكوى والاستياء ، اكثريتها الساحقة ، اسلامية ، فليس الذنب في ذلك ذنب المسلمين !

يقول الاستاذ التويني (نحن نشاطر المسلمين في لبنان ، آلامهم ، ليس باعتبارهم طائفة دينية ، بل بصفة كونهم وطنيين ، يتألمون ، مما يتألم منه الوطنيون ، في هذه الامة : فقد سيادة قومية وضياع حرية واستقلال)

هذا صواب . والمسلمون ما يرمون الى اكثر من ذلك. ولكن من ذا الذي زعم للاستاذ ، ان المسلمين يتألمون بصفة كونهم مسلمين !! لو كان الاسلام هو الباعث على هذا التالم ، وهذا الاستياء ، لوجب ان يتألم المسلمون ويستاؤا في الاناضول ، والروسية ، والهند وتركستان ، والافغان ، وغيرها من الاقطار الاسلامية ، من هذه « الدوائر » التي تنفخ في الريح لتتجه بسفينة الحكومة ، الى حيث تشاء «مراميها السوداء» ولوجب ان لا يعبأ جبران التويني ، وامثاله من العرب ، غير المسلمين ، بمثل هذا الاستياء وهذا الالم .

وعلى هذا القياس فنحن ما نشك ، في ان العرب ، من المسيحيين ، في سورية الجنوبية « فلسطين » يقرون رئيس المجلس الاسلامي العربي عندهم ، على كتابه الى رئيس المجلس الاسلامي العربي ، في بيروت ، شعورا

مع المسلمين العرب ، ليس الا حذراً من «تطبيق سياسة تتفق مع هدف» المستعمرين ومسخريهم ، وضنا بقوميتهم العربية الغالية ، ان تذوب في «فرنجة» هذا البلد العزيز.

نحن نؤمن بان رئيس تحرير « الاحرار » رجل عربي — وكيف لا يكون عربياً ،وهو ابو غسان ، وابن غسان ، — « وهذا المهم » وبانه ، في عداد المتألمين من هذه الحال ، كما يصرح هو نفسه ، من الوجهة القومية الوطنية . ونحن لا وجهة لنا غير هذه ، ولكن ماذا يريد الاستاذ التويني، ان نعمل بهولاء الذين لا يتألمون لانفسهم ، — فكيف يتألمون لمواطنيهم — ايريد ان نرغمهم على الاشتراك بالشكوى لمع المتألمين ..

ليس هذا من الانصاف في شيء ، وما كنا يوماً غير منصفين ...

ليست المسألة ، مسألة الغاء مدارس ، واخراج موظفين . ولعل رئيس تحرير « الاحرار » واصحابها جميعاً ،يعلمون ذلك ،وانما هي مسألة مصير . فان « مطالب المسلمين واهدافهم اسمى وابعد من بضع وظائف ، وجانب من المدارس » وما نخطيء اذا قلنا ، ان مطالب فريق كريم من غير المسلمين ، بينهم اصحاب « الصحف الوطنية » في لبنان ، هي ايضاً ، اسمى وابعد من ذلك .

ان الغاء المدارس، وان يكن يستدعي الاستياء ، والغضب،لانه خروج في الاساس ،على مبدأ الحكومات المستنيرة في العالم ، ولكنه لم يكن ليقع ، من المسلمين هذا الموقع ، لولا انهم يرون فيه ، مع ما رافقه من « سوء التدبير ونعومة الاساليب » محاولة للقذف بالبلاد ، الى وضع سياسي ، يسهل معه على اصحاب « المرامي السوداء » واسيادهم ، وعبيدهم ، صب ابناء البلاد في القالب الذي يفبركون ..

وما الذين يرتاحون الى هذه التدابير ، ويسكتون عليها ، الا بين امرين ،اما ان يكونوا عالمين باتجاه السفينة ، ولا يكترثون لما ينتظرهم من مصير ، بل يغتبطون لهذا المصير ، واما ان يكونوا جاهلين ذلك .. وفي كلا الحالين ، ما يبرر حركة المسلمين العرب ، والعارفين من العرب ، غير المسلمين .

اما العتب على المسلمين ، لاعتزامهم اهمال المعايدة والتزاور في العيد ، فأعجب

ما قرأت ، في مقـــال ابي غسان .. اللهم الا اذا كان يريد ان يقرع المسلمين ، لانهم لم يهملوا هذا الامر ،منذ اثنتي عشرة سنة ، فاذا كان هذا هو الذي يريده... فاننا واياه على وفاق . بل إننا نشكر له ، هذاالذي اراد. على ان الاستاذ التويني ،يذكر من غير شك ،مقالا لي بعنوان« العيد »نشرته « الاحرار »منذ اكثر من سنة ، دعوت فيه الى اهمال المعايدة والتزاور ، في العيد . وكنت قد نشرت مقالا مثله ، وانا في المنفى عام ١٩٢٤ . فهو يرى ان الفكرة قديمة ، ترجــع الى زمن ، ماكان احد يظن ، ان سيعقبه مثل هذا الزمن ... وان تكن لا تساوي في قدمها ، فكرة الدوائر ،والاندية، النافخة في سفينة حكومة اليوم » .. ولو لم يخطر في بال ابي غسان ، خطأ ، ان قد يكون في هــذه الحركة العنيفة ، تنقصا لعروبته الغالية على نفسه ، لما وجدلتحليل هذه الحركة ،احسن من القول العامي المشهور: « كباية ملاني واجتها قشّي»

ولتألم كما يفعل ، وعذر . اما قوله « وماذا يبقى من اظهار دلائل الاستياء ، اذا تجاوز الخطب ، الى اكثر من هذا القدر ، لا سمح الله .. » فلا اقول فيه شيئا ، وما اجيب عليه بشيء ...

ويقول ابو غسان : ان في الامة « حردانين » ومستغلين ، لقد صدق ، واننا نعد معه ، كثيراً من مثل هولاء الحرادنين ، والمستغلين ، بين المسلمين ، ولكن الامر اجل واسمى ، من ان نقيم معه ، لمثل هولاء وزنا ، وان تتخذهم للاستغلال وكازا .

اننا عُصَب تدعو الى تشييد الكيان السياسي على اسس القومية الخالصة . وان قسطا وغسان العربيين ، لاقرب الينا واحب ، من محمد خان العجمي ، وعصمت قره بكير التركي .

وان يُلحد احدنا بالدين ، لا يعنينا في شيء مثل ان يُلحد بالعروبة . وبعد هذا وذاك ، فليُسمح لنا بان نذكر الناسين، ببرقيات قداسة الحبر الاعظم ، في

رومية ، الى اثينا ، وقد نشرتها (الاحرار) لايام خلت ، فما اقامت ضجة ، ولا اثارت عتبا ، وليس من رابطة تربط ابناء يونان ، بابناء ايطاليا .. اما نحن ، فاننا واصحاب فلسطين ، ابناء قطر واحد ، واحفاد قوم واحد : لخولان يعرب الميامين.

(الاحرار) شباط سنة ١٩٣٠

الاحرار يتكلمون فليسكت العبيد

لقد اثار عزم المجلس الاسلامي في بيروت ، على عقد مؤتمر اسلامي عام ، من النحل الاسلامية الثلاث ، المنتشرة في البلاد المعروفة بالجمهورية اللبنانية ، استياء النفوس (النظيفة) المليئة من (التساهل والكبر) . وقامت حول هـذا الامر ، ضجة تختلف باختلاف الاندية والبيئات ، التي كانت مثارا لهذه الضجة . وما كنت لأعنى بمثل هؤلاء الاشخاص (النظفاء) الذين هم من نوع بعض المخلوقات ، لاتملك التدليل على مبلغ عظمتها ، وكبرها ، الا صوتها ، وان تكن بالنتيجة غير خادعة احـد . وامشي من هذا الامر الى ما يعني الاكثرية الساحقة ، من ابناء الامة ، باسرهـا ، عدا هولاء المخلوقات ـ طبعاً ـ ومن شاكلها من العبيد البيض ...

حينما فكر المجلس الاسلامي ، بعقد اجتماعه ، الذين عقده في بيروت ، في ٢٧ من الشهر المنصرم ، بعث برقاع الدعوة ، الى فريق كبير ، من ابناء النحل الاسلامية ، من شيعيين و (دروز) وسنيين . وكنت في عداد الذين دعاهم المجلس ، فلبوا الدعوة باشرين . واسفر الاجتماع ، عن تقرير عقد مؤتمر اسلامي عـــام ، شرفني المجتمعون ، بان انتخبوني عضوا من اعضاء اللجنة التحضيرية له . وصرح سماحة رئيس المجلس الاسلامي ، في خطابه ، الذي عده فاتحة عهد جديد ميمون ، بانه ما يعتبر ان السنيين ، هم وحدهم المسلمون (وان المسلمين يتألفون من (الدروز) والشيعيين ، والسنيين ، وان مصلحة الوطن ، تقضي على هذه النحل الثلاث ، بالتفاهم والاتفاق والتعاون ، ففي ذلك لهم ولوطنهم خير كثير)

فنزل تصريح الرئيس ، في تلك اللهجة الحازمة المليئة بالصدق والاخلاص ، وقـوة الايمان ، على قلوب دعاة الاتحاد ، واعداء التفرقة والتجزئة ، نزول الحرية ، عـــلى نفوس طلاب الحرية الحيرين . واذاعت الصحافة الاسلامية هذا النبأ ، هاتفة باشرة ،

وشاركتها في ذلك ، صحافـة الوطنين ، من اللبنانين غير المسلمين . ولكن (الاوريان) الصحيفة التي كنت احسب ان اصحابها ، غير فرنجة ـ وان تكن تصدر بالفرنجية ـ لاعتقادي بانهم مواليد آباء وامهات ، خبازين ونقاشين من عندنا ، من لبنان العربي ، وانتظر لذلك ، ان تقف من هذا الامر ، موقف غيرها مـن الصحف المبنانية ، ارادت ، او ارادوها على ان ترى ، انه ليس (للدوزي) رابطة تربطه بالسني ،فجأت في نشرتها الصادرة في اول هذا الشهر ،تلك الكلمة التي تحمل في قلبها ، استغراب وجود علي ناصر الدين ،في لجنة تحضيرية لمؤتمر اسلامي ! ولست بغافل عما تريده (الاوريان) بهذا الاستغراب ، ولكنني لست بغـافل ايضاً عن ان جماعة الاوريان هولاء ، ما يرتأون لانفسهم امرا ، وانما يُرتأى لهم . واعلم ان للاوريان جماعة وحي « فوق وتحت » فلـتزح عنهم الستار ، او فليجرأوا هم ، على زيح هذا الستار ، لاسمعهم كيف يزأر الحق ،من شق هذا القلم ، فيصعق باطلهم ، واريهم كيف تقوم عناصر الاتحاد ،مرتكزة على وحدة الاصل ، والعقيدة ، والمصلحة فتدك ،سعاياتهم .

وما احسبني مخطئاً اذا انا قلت ، ان ابنـاء النحل المسيحية ، يرحبون بهـذا الاتجاه الجديد المحسن ، ولا عبرة بالاقلية فيهم ، ففينا مثل هذه الاقلية المجرمة ، التي ما تنظر الى هذه الحياة ، الا من خلال الليرة السورية ، او كرسي الوظيفـة ، او خازوق العلو . . . واجزم ان الوطنيين منهم ، الذين يعلمون انني كنت ، وما ازال وساظل الدهر ، داعيا الى الوحدة الشاملة ، ترتكز على اسس القومية الصحيحة ، ينشطون هذه الحركة الجديدة ، المثمرة ، عقيدة انها ستفضي الى حركة مثلها عندهم ، ثم الى حركة اوسع نطاقا ، هي حركة الوحدة الشاملة كما ذكرت .

وما ارى بـدا قبل انهاء هـذه الكلمة من التصريح ، بانني ما ازعم لنفسي ، تمثيل بني معروف ، او النطق بلسانهم ، في شؤون دينهم ودنياهم ، فانا بحمد الله ، بعيد عن الادعـاء والغرور ، ولكنني استطيع القـول ، ان بني معروف ، وهم يعلمون ويعلنون ، انهم فرقة من الفرق الاسلامية ، يرتاحون الى المؤتمر الاسلامي ويرضون عن عملي ، لا اقصد منه ، الا الى ما اعتقد ان فيه الخير ، والفلاح ، لمجموعهم ، وانهم سيبعثون من يمثلهم في المـؤتمر ، من فتيانهم وكهولهم الميامين .

وان في بني معروف شباناً ، اين انا منهم مكانة وبعد نظر ، سيرون في هذا الامر ، رايهم الموفق الى الصواب ان شاء الله .

وما اجدر « الصفاء » الصحيفة التي يقرأها بنو معروف ، اكثر من غيرها من الصحف ، ولا سيما في قرى الجبل ، بان تنقل ما تنشره صحف بيروت في هذا الموضوع ، وان تكتب فيه ، وصاحبها المنشيء البليغ ، هو القائل يخاطب سامي الفاروقي يوم ثورة الجبل المنيع :

اسامي الذرى ان الدروز عشيرة الى شرعة الدين الحنيف ورودها

وبعد هذا وذاك ، فان الاحرار يتكلمون الان ، فنرجو من العبيد «المحترمين» ان يسكتوا .

« الاحرار » شباط سنة ١٩٣٠ .

الابتهاج بالحرية

كان يوم الاثنين « امس الاول » يوم عيد الحرية عند الامة الفرنسية ، وقد دعت الحكومة المحلية في طرابلس ، كما فعلت في كل ناحية من انحاء البلاد ، من غير شك ، ابناء البلاد ، للاحتفال بهذا العيد المجيد ، الذي يعيد الى النفوس ذكرى يوم عظيم ، من حق فرنسا ، ان تفاخر به وتبتهج بطلعته .

وقد شعرنا ان فريقاً غير قليل من ابناء البلاد ، يتهافتون على ممثلي فرنسا ، عندنا ، من ملكيين وعسكريين ،لتهنئتهم بعيد حريتهم ، ومشاركتهم بافراحهم فيه ..واستوقف نظرنا ، اكثر من كل شي آخر ، نفر من رجال الدين ، بعمائمهم ، وقلانسهم ، تبدو على وجوههم ، آيات الحماسة والسرور ، فتفاءلنا خيرا من جهة ، ودهشنا فعلا ، من جهة اخرى ..

تفاءلنا لاننا نعتقد ان التحمس لامر ما ، والابتهاج به ، والتغني بذكره ، معناه الاعجاب بهذا الامر ، والرغبة فيه والطموح اليه . فهل يكون الذين اقبلوا ، يزحم بعضهم بعضاً ، على السراي ، وعلى مركز البلدية في الاسكلة ، وعلى بيوت الرجال العسكريين ، والحكام الاداريين ، من الفرنسيين ، معجبين بالحرية ، راغبين فيها ، طامحين اليها ، فعلا ؟. ودهشنا لان المعروف عندنا حتى الان ، ان الانسان قد يحب الطيبات ، ويحب المفاخر ، لنفسه ، وللناس معاً . وقد يكره الخبائث ، ويكره المخازي لنفسه ، وللناس معاً . اما ان يحب النعم والمفاخر للناس،ويكرهها لنفسه، واما ان يباهي بعظائم الامور ، وجلائلها ،يأتيها الناس ، وهو يتمرغ في الصغائر ، والسفاسف ، فينظر اليه هولاء الناس ، من عل ، نظرات الازدراء والسخرية ، وهو راض مطمئن ، ينظر اليهم نظر العبد الى سيده ، يتيه في سيادته وحريته ، ويفرح هو بهذا التيه ، دون ان يبعث فيه هذا التيه ،

نخوة مـا ، فينهـد الى اقتنـاص الحرية والسيادة ، ليتيه ويغتبط ، بحق ، هو ايضاً بدوره ، فهذا مـا لم نهتد الى تحليل له ، معقـول مقبول ، ينطبق على انسان، يصح ان يُسمى بانسان . ولعل هذا اثر من آثار جهلنا ... او جنوننا ... ان لا نهتدي الى تحليل معقول مقبول لهذه العجيبة . ومن الان الى ان نعقل ، ويمن الله علينا بهذا الاهتداء ـ ولن يفعل ـ سنظل نقول ان هولاء الناس ينعمون بعبوديتهم ، ويفرحون بآلمهم ، والفرنسيون انفسهم ، من رأينا في هذا ، وان كانوا لا يصرحون .

طرابلس « اللواء » تموز سنة ١٩٣٠ .

اللاتعاون في سورية[1]

ان سورية كما نفهمها نحن ، هي القطر العربي الذي يعنينا الآن ، في معرض الكلام على « اللاتعاون » وفي هذا الصدد ، يجب علينا ان نجيب على سوالين يتبادران الى الذهن وهما : اولاً — ما هو مبلغ رغبة سورية في خطة اللاتعاون ؟ ثانياً — هل ان نفسيتها تهضم هذه الفكرة ، وتساعدها على وضعها موضع التطبيق ؟.

اما فيما يتعلق بالسوال الاول ، فنستطيع ان نجزم بان الفئات المثقفة ، المشتغلة في القضيه السياسية ، تميل الى الاخذ باسباب اللاتعاون ، وانها قد فكرت في الامر تفكيراً جدياً ، وان اكثر الراغبين فيه من الجماعات المثقفة ، هم الشباب ، ولا غرو فالشباب كان وما برح ، ولن يبرح ، اكثر الناس اقداما على التضحية ، وليس امر اشد حاجة الى التضحية ، من هذا الامر : اللاتعاون .

واما السوال الاخر ، فيحتمل الدرس الطويل ، والتفكير العميق ، قبل الجزم بالجواب عليه . اننا نرى انفسنا مرغمين ، اذا كنا نريد ان لا نخدع انفسنا ، على الاعتراف باننا لسنا من النضج ، والاستعداد ، عند الحد ، الذي نستطيع معه ، ان نجمع على امر ، في ظاهره ، شيء من الضرر المادي والمعنوي . لواحد ، او لكثير من افرادنا ، ولو كان هذا الذي يبدو ضررا ، ليس من الضرر في شيء بالحقيقة ، او هو ضرر موقت ، قد ينقلب في المستقبل الى نفع كبير .

مثال ذلك ، لو قررت الكتلة الوطنية مثلاً ، في الداخل ، او في الساحل ، عدم التعاون مع السلطة الفرنسية والحكومة البلدية في شيء ، وطلبت الى كل موظف في اية دائرة من دوائر الحكومة ، سواء اكان كبيراً ام صغيرا ، ان يستقيل ،

«١» كتبت قبل هذا مقالات في اللاتعاون لم اعثر على واحدة منها

والى طلاب المدارس الرسمية ان يهجروها ، والى اصحاب الالقاب والاوسمة الفرنسية ان يتنازلوا عنها ، ثم طلبت مقاطعة حفلات السلطة والحكومة على اختلاف انواعها ، ومظاهرها ، ايمكن ان توفق الى تحقيق مثل هذه الامور ؟.

ثم لو اخذنا ناحية اخرى ، من نواحي « اللاتعاون » فانشأنا مجالس اهلية ، تحكمها في الفصل في كل خلاف ، يقع بين افراد المواطنين ، وطلبنا الى هـؤلاء ، ان يُعرضوا عن المحاكم ، وعن غيرها من دوائر السلطة ، ودورها ، والا يعترفوا الا بالهيئات ، التي تؤلفها ، لفض كل خلاف ، والمحافظة على كل حق ، فهل ترانا موفقين في هذا التدبير ؟؟ اليوم لا . وقد يكون التوفيق في امر ، يقتضي لتنفيذه ،التعرض لخطر الموت ، ايسر منالا ، ولكننا نؤمن بامتنا وذكائها الفطري . ونؤمن بقدرتها على التطور والاقتباس . ويقيننا ، انه اذا شرحت لها ، الهيئات المنظمة المؤمنة حقا ، هذه الخطة في وضوح ، وجد ، وكانت قدوة لها عملية في تطبيقها ، ادركت سريعا مبلغ ما فيها من الفائدة لها ، واقبلت باخلاص وتصميم على تطبيقها .

« اللواء » تموز سنة ١٩٣٠ .

من خطة اللاتعاون

ارسلنا في نشرات اللواء السابقة مقالات «١» في «اللاتعاون» درسنا فيها هذه الخطة درسا اجماليا ، انتهينا منه ، الى انها خطة حكيمة نافعة ، وانها ستنتقل بطريق العدوى الى الاقطار العربية ، جميعها ، فهي كما انتقلت من الهند الى مصر ، ستنتقل من مصر الى سورية ، ومن سورية الى العراق ، الى ان تنتظم بلاد العرب كافة . وقد بدت بوادر هذه العدوى في بر الشام فعلا ، ففي داخل البلاد ، وفي ساحلها ، فريق كبير من الوطنيين الخلص ، يفكرون في مسألة اللاتعاون . ولكن الامر لا يقتصر على ان نفكر فيه فحسب ، فالشيء المهم ، هو ان نعمل به ونستطيع تطبيقه . وقد كان من رأينا ، ان البلاد في حالتها الحاضرة ، ليست على استعداد لتطبيق خطة اللاتعاون ، لاسباب بيناها في مقالاتنا الماضية ، ولكننا ، قلنا ونقول ، انه اذا قام من بين ابنائها ، من يشرح لها خطة اللاتعاون ويدربها عليها ، ويوضح لها فوائدها ، وما يرجى لها ، من الخير العميم ، عن طريق العمل بها ، لاتلبث ان تقبل على هذه الخطة ، وان تطبقها في امانة والخلاص . فمن هي الفئة التي ستتولى القيام بهذا العمل ؟ او التي يجدر بها ان تتولى القيام به ؟ سوال يخلق بنا ان نجيب عليه في صراحة واناة :

لقد قام بهذا العمل ، في وادي النيل ، فريق الوفد ، واذا دققنا النظر نجد ـ مع مراعاة الفارق ـ ان الفئة التي يمكن ان تقابل بالوفد المصري ، في بلادنا ، هي الفئة المعروفة ، بالكتلة الوطنية . فالكتلة الوطنية ، هي التي تمثل البلاد ، وتعبر عن ميولها ورغباتها ، والصحيح ان البلاد لم تقصر في معرفة حق الكتلة عليها ، ولم تتردد يوما ، في ان تلبي نداءها ، وتنصرها في احرج مواقفها . فقد رفعت البلاد ، ابناء

«١» لم اعثر من هذه المقالات الا على واحدة ، هي التي قبل هذه

الكتلة الوطنية ، الى مقاعد الجمعية التاسيسية ، في اشد الاوقات حرجا ، واكثرها خطرا ، رفعتهم الى تلك المقاعد ، رغم المال المبذول لها في سخاء ، ورغم البارود والرصاص ، اللذين بذلا ، لتحطيم ارادتها في سخاء ، ايضاً .!

وقد مرت اعوام ، ما نقول الان في حوادثها شيئاً ، لم نجن منها سوى الفشل والخذلان ، فهل يستفيق رجال الكتلة على صوت غاندي، وجواهر لال ، ومصطفى النحاس ، وويصا واصف ، ونفر غيرهم ، ويؤدون ما عليهم لهذه الامة .

هل يهيء رجال الكتلة صفوف الشعب ، ويمشون في نظام وتصميم ، الى خطة اللاتعاون المنتظرة ؟ انهم ، هم وحدهم ، الذين يجب عليهم في الدرجة الاولى ، ان يعالجوا هذا الامر الخطير ، ويضعوا له الاسس والقواعد . وهم وحدهم الذين تقع عليهم تبعة الفوضى والتقصير ، في ميدان النضال . اننا نقترح على رجال الكتلة الوطنية ، في الداخل ، وفي الساحل ان يعقدوا مؤتمراً مستعجلاً ، للبحث في كيفية التمهيد ، لخطة اللاتعاون ، وتقريبها من افهام الناس، وتحبيبها اليهم .

وقد يكون البحث ، في تقرير الاشتراك ، مع القطر العراقي الشقيق ، بدرس خطة اللاتعاون ، والعمل على تطبيقها معاً ، بعد الاتفاق على الطرق المؤدية الى ذلك مبعث خير كثير ، لنا ، وللعراقيين .

«اللواء» تموز سنة ١٩٣٠ .

المعاهدة العراقية الانكليزية

قامت حول المعاهدة العراقية الانكليزية الاخيرة ، ضجة عنيفة في العراق ، وفي سورية. اما في العراق، فلأن الاستقلاليين الاحرار ، يرون في كل معاهدة ، مهما يكن من شأنها ، لا تضمن الاستقلال ، بدون قيد ، قيدا جديداً ، قد يكون من ذهب ، ولكنه قيد على كل حال . والمعاهدة الجديدة ، وان تكن قد الغت البدعة العجيبة ، التي ولدتها سياسة الانتصار ، في الحرب العامة « الانتداب » واعترفت للعراقيين بحقوق ، كثيراً ما شقوا نضالا في سبيل الحصول عليها ، فهي لا تضمن للعراق ، الاستقلال ، كما يفهمه الغربيون ، في بلادهم ، وكما يفهمه احرار العرب الاستقلاليون ، في كل قطر من اقطارهم ، المنبسطة الافق ، المترامية الاطراف ! واما في سورية ، فقد كان سبب الضجة ، ان نفراً من كتابنا الاحرار ، الذين لا يختلفون في شيء عن اخوانهم ، الاستقلاليين ، في العراق ، من حيث النزعة والعقيدة ، رأوا في المعاهدة العراقية الانكليزية ، متنفسا ، يتنفسون منه الصعداء ، وعملا يعدونه شيئا ما ، بالنسبة الى موقف فرنسا ، في سورية ، منذ عشرة اعوام حتى الآن . والحقيقة ، ان الفريقين ، فيما نرى ، على صواب . فالعراقيون الذين يشجبون المعاهدة ، يفعلون ذلك ، باعتبار انها لم تحقق للعراق الاستقلال الذي يفهمونه ، وهم استقلاليون عن عقيدة وايمان . والسوريون الذين استقبلوا المعاهدة العراقية الانكليزية بشيء من الرضى ، لم يفعلوا ذلك ، الا بالنسبة لما في قطرهم ، من الوضع السياسي ، الذي يجعل من سورية شبه مستعمرة ينهذ فيها المستعمرون ، الى كل حقير وجليل ، من شؤون الحياة ، ولم يفعلوا ذلك ، باعتبار ان المعاهدة ، هي غاية العراقيين ، التي ينبغي لهم ، ان يقفوا عندها ، او باعتبار انها غايتهم هم ، في العراق ، او في سورية ، او في اي قطر اخر من الاقطار العربية ، كلا . وانما فعلوا

ذلك في معرض المقابلة ، بين الحالة السياسية في العراق ، وبينها في سورية ، واذا كنا نريد ان نكون منصفين ، فلا يسعنا الا ان نرى ان المعاهدة العراقية الانكليزية ، قد جعلت من العراق ، قطرا ذا كيان دولي معترف بـه ، واقرته على حقوق ، لا تتمتع منها سورية بشيء . فقد غدا العراق مسئولا وحده عن ادارة شئونـه ، يديرها هو بنفسه . وعلى هؤلاء الذين يديرون هذه الشؤون ، ان يقيموا الدليـل عمليا على انهم اهل الحل والربط ...

ونكرر القول ، ان هذه المقابلة ، التي عملها فريق من كتاب سورية الاستقلاليين ـ ونحن منهم ـ بين حالة العراق الحاضرة ، وبين حـالة سورية ، لا تعني انهم راضون ، للعراق ، بان يقف عند الحد ، الذي وصل اليه ، ولا انهم يتمنون الوصول بسورية ، الى هذا ، باعتبار ان لا غاية بعده ، ولكنهم يريدون ان يقارنوا ـ اذا صح هذا التعبير ـ بين المحنة والمحنة ، وبين المصيبة والمصيبة ، ليس غير !!

« اللواء »   آب سنة ١٩٣٠ .

في بلاد العرب قومية واحدة

٢

قلنا كلمتنا امس في موقف الصحافة العربية ، في سورية والعراق ، من المعاهدة الانكليزية العراقية . وفي موقف السوريين من هذه المعاهدة . وبسطنا للقراء راينا في المسألة ، من نواحيها المختلفة في صراحة وجلاء . ونكرر القول ، ان المعاهدة العراقية الانكليزية ، ليست المعاهدة التي نرغب فيها ، ونطمح اليها ، ونحن قوم استقلاليون ، نرى وجود انكلترة ، في العراق ، اغتصاباً لحقوق الامم ، واعتداء صارخا ، على حرياتها ، ما يبررهما مبرر ، لا دعوى التمدين ولا زعم الارشاد . انه وجود ، ما يستند الا الى القوة الغاشمة ، تتمثل في الدرهم ، وفي الحديد، وفي النار. ولكننا على حق ، حينما نقول ، ان المعاهدة العراقية الانكليزية ، رغم ما فيها من القيود ، التي ما نشك في انها ستتساقط ، جميعها يوما ما ، جعلت للعراق ، كيانا دوليا معترفا به ، ووضعا سياسيا ، يرتفع بهعن مصاف المستعمرات ، ويحله مستوى دونه بكثير ، مستوى سورية المفجوعة . ونحن مع الاحرار العراقيين ، في العمل، للظفر بمعاهدة ليس فيها قيود . اما صوت « الوطنية العراقية » وصوت « الوطنية السورية » كما يقول بعض الدساسين ، من العبيد البيض في لبنان ،بغية خلق الخلاف والشقاق ، فصوت واحد ، لانه صوت قومية واحدة ، ولانه صدى « انين » نفس عربيـة واحدة . وصدى « زمجرة » نفس عربية واحدة ، رغم ما قد يقع من تباين في النظر ، وفي التقدير ، ولكن انتم . انتم العبيد البيض ، اتعلمون انتم ، ما تقولون. واي صوت ، هو صوتكم ، يا مطايا الاستعمار ؟ ! !

من هم اهل الوطنية الخالصة ؟ ام اولئك الذين يفنون سجنا وتعذيبا ونفيا،وقتلا

في ساحات الجهاد ، للتخلص من الدخيل الغاصب ، وللاستقلال ببلدانهم ، الاستقلال الكامل . ام من هم ؟ ! !

واهل اي شيء خاص انتم ؟ ! ! ان القوة المسيطرة هنا وهناك ، في الشام وفي العراق ، ـ واهل العبودية الخالصة لها انتم ـ تحاول ان تصرفنا عن اهدافنا ، وهنا وهناك ، موضعان لدائرة واحدة ، واسمان لمسمى واحد : بـــلاد العرب . رغم كل مظهر ، ورغم كل مقال ، وسنفوز بمطالبنا ونبلغ اهدافنا ، هنا وهناك ، شئتم ام ابيتم .

فاذا ما استقل العراق قبلنا ، فلن تنتهي مهمته ، في النضال ، فهو مناضل معنا ، لكي نستقل ، واذا ما استقللنا ، قبله ، فلن تنتهي مهمتنا ، فاننا مناضلون معه ، لكي يستقل ، فنحن ركنا بناء واحد ، مهما تداعى ، لن يتهدم ، والله مصرف الامور كما يشاء .

«اللواء» تموز سنة ١٩٣٠

كلمتنا الاخيرة في المعاهدة العراقية الانكليزية

٣

نحن طلاب استقلال لبلاد العرب كافة ، ومنهـــا ـ طبعاً ـ هذه « الجمهورية » ونفهم باستقلال بلاد العرب ، ما يفهمه ، ابن باريس وابن لندن وابن برلـــين وابن واشنطن ، كل منهم باستقلال بلاده !

اذن فنحن نعلم ونعترف ، بان العراق لم يستقل بهذا المعنى ، مع كل ماورد في المعاهدة العراقية الانكليزية ،من لفظ الاستقلال ، واذن فلسنا من المتحمسين لتلك المعاهدة ، لانها ليست غايتنا ، التي نفنى شيبا وشبانا في سبيلها . ذلك انها لم تحقق للعراق ، الاستقلال ، الذي ننشده‌له ، كما ننشده ، لكل قطر عربي على الاطلاق.

ويستطيع جو العراق ، ان يخلق بين ابنائه ، من يرضى اليوم بتلك المعاهدة ، من رجال السياسة ، الذين لهم صفة رسمية ، ولا يضير هذا العراق في شيء ، اذا كان هؤلاء ايضاً ، لا يرون في المعاهدة العراقية الانكليزية ، الغاية ، التي يحرصون على الوصول اليها ، والهدف ، الذي يطمحون الى بلوغه . وفي سورية ايضاً، فريق من رجال السياسة ، الذين لهم صفة رسمية ، يرضون موقتاً ، بمثل هذه المعاهدة ، بين سورية وفرنسا ، ولا يضير هذا سورية في شيء ، شرط ان يكونوا في عملهم مخلصين ، وان لا يروا في مثل هذه المعاهدات ، تحقيقاً كاملا ، للاماني الوطنية ، او حداً يقفون عنده ، في ميدان النضال للحرية والاستقلال ..

لا بد لكل بلد ، من حكومة ، حتى البلد المستضعف المستعمر ـ الا اذا سرى روح اللاتعاون ، الذي كنا اول من دعا اليه ، في هذه البلاد ، واستطعنا ، مجتمعين ان نطبق هذا المبدأ ، في ميدان الاعمـــال لا الاقوال ـ ولا بد لكل حكومة دستورية من برلمان. ورجال الحكومة و« البرلمـــان » هم الاشخاص الذين لهم صفة رسمية ، وان رجال الحكومة ، هم الذين يتولون المفاوضات عادة ، لعقد الاتفاقات

والمعاهدات ، فاذا كانوا مخلصين ، في عملهم ، اي اذا كانوا غير مسيرين ، بين ايدي السلطات المستعمرة وكانوا يؤمنون بانهم يخدمون بلادهم ، رغم ان البلاد ترى انهم غير موفقين ، الى الخدمة الصحيحة ، فما يحق لنا ، ان نتهمهم ،وعلى البلاد ، عندئذ، ان تسقطهم ، وتعذرهم ، وتأتي بغيرهم . واذا كانوا بالعكس، لا يؤمنون بما يفعلون، ويعرفون انهم مسيرون ، ويرضون ، فعلى البلاد ، ليس ان تسقطهم فحسب ، بل ان تسقطهم ، وتنبذهم ، وتعاقبهم .

وهكذا ، الى ان يقضي الحق ، بيننا وبين المغتصبين ، وعلى هذه القاعدة ، التي تمشي عليها « اللواء » في سياستها ، نقول ان الكتلة الوطنية « المتطرفة » في العراق، على صواب في استنكارها ، المعاهدة العراقية الانكليزية الاخيرة ، وفي مقاطعتها الانتخابات ، لان المعاهدة لم تحقق استقلال العراق .

ولكن هذا كله، لا يمنعنا ان نرى الفرق بين امرين واقعين، وان نجهر ، بان هذا الفرق ، واقع لا ريب فيه . ولذلك قلنا ، ونقول ، بان الوضع السياسي الذي اوجدت فيه العراق، المعاهدة العراقية الانكليزية الاخيرة، يختلف عن الوضع السياسي، الموجودة فيه سورية اليوم . وان ذاك خير من هذا . والفرق بين الوضعين واضح جلي . وان الزعم بان لبنان « الجمهورية » نال وهو مستسلم ، مستكن ، اكثر من العراق ، وغير العراق ، زعم باطل ، يحق لنا ، ان نستنتج منه ، القصد الى اقرار المستسلمين ، المستكنين، الخانعين ، في لبنان ، على استسلامهم واستكانتهم وخنوعهم، والى خديعتهم ، بان وضعية بلادهم ، هي خير وضعية ، واغرائهم بمثل هذه المزاعم لكي يرضوا بهذه الحال ، وهذا « العيش الناعم الهادىء العزيز ... »

اننا نرد هذه المزاعم ونخطيء اصحابها ، ونرجو ان يفهم لبنان ، حقيقة حاله ، فلا يرضى عن الاستقلال بديلا ، ويعمل له ، اسوة بغيره ، من الاقطار العربية كافة .

« اللواء » **آب سنة ١٩٣٠**

ايستبدلون بالدباس حاكما فرنسيا

اذا نحن انكرنا على لبنان وضعه الحاضر ، ورأينا فيه ، مجلبة للضعف والفقر والذل ، فلا يعني ذلك ، اننا من دعاة حكم الغريب . ، فنحن نعلم ان هذا الغريب الاجنبي هو السبب الاول في هذا الوضع ، وهو العامل الاول من جهة ثانية على تهديمه ... فالذين يحملون على شكل الحكم الحاضر في لبنان ، بحجة انه حكم افلس ، بعد شتى التجارب ، ليستبدلوا به ، حكما فرنسيا خالصا ، في الظاهر وفي الباطن ، هؤلاء يقولون كلمة حق ، ما يريدون بها الا الباطل .

اجل لقد افلس شكل الحكم في لبنان ، وفشلت التجارب التي جربوها لاصلاحه وتنظيمه ، ولكن ذلك يعود الى اساس الحكم ، الذي وضعه الغريب نفسه ، وسايره فيه جمهور من اللبنانيين ، الذين كانوا مخدوعين بذلك الغريب ، الاجنبي ...

نحن من خصوم الوضع السياسي في لبنان ، لاسباب سياسية واقتصادية كثيرة بيناها ودرسناها من قبل ، فلا نعالجها الساعة ، ومن خصوم الوضع الاداري فيه ، الذي لم نكن لنعيره اهتمامنا ، بعد خصومتنا الاساسية ، لولا ما نسمعه في هذه الاثناء ! ! يُفلت هؤلاء الفرنج ، اليوم ، اتباعهم بين الناس ، يطلقون السنتهم في عزم اسيادهم ، على قلب النظام ، بحجة ان اللبناني ، غير جدير بالحكم ! وينشرون في الاندية والمجتمعات خبر استعداد السلطة المرشدة ! ! لان تستبدل برئيس الجمهورية الاستاذ شارل دباس ، حاكما فرنسيا ! فيثير هذا الامر ، ما كمن في نفوسنا ، من حفيظة ، ويحملنا على معالجة موضوع ، ما كنا لنعالجه ، ونحن لا نعترف ، بالاساس نفسه الذي بني عليه .

اننا نؤمن بان وضع لبنان السياسي ، سيزول ، ان لم يكن في غد ففي الذي بعده ، وان الذين في مقدمة الدعاة ، لهذا الوضع من اللبنانيين انفسهم ، سيكونون

في مقدمة العاملين على زواله !

واستنادا الى ايماننا هذا، وفي انتظار اليوم الذي سيتحقق فيه ما نؤمن به ،نقول:

ان شكل الحكم الاداري ، في لبنان ، شكل فاسد ، يجب ان يتبدل ، ولكننا ما نرضى ان يصبح هذا الشكل - مع علمنا انه فرنسي في الباطن - فرنسيا في الظاهر ايضا . وحينما نقول للفرنسيين ، انه ليس مما يتفق في شيء ، مع ما عرف عنهم من الصراحة ، ان يحتفظوا بكل ما هو صلاحية في الحكم ، بين ايـــديهم ، ويلقوا بكل ما هو تبعة على اعناق الغير ، وانه ليس من كرم الطبع ، ولا من الشجاعة الادبية في شيء ،ان يستغلوا ضعف اشخاص،قد يجد لهم بعض الناس مبررا لضعفهم ، وهم ، اي هولاء الفرنسيون ، يعملون من وراء « الستار » لتنفيذ اغراضهم وتهديم هولاء الاشخاص - في عنف او في غير عنف - لا يعني ذلك ، اننا نرغب في الحكم المباشر ، واننا نحسد الجزائر ، والداهومي ، والكنغو ، فـنريد ان نستمتع بما تستمتع به تلك المستعمرات ، من عز وكرامة وخيرات !! كلا . وانما نريد بذلك ، ان تنكشف هذه الستائر عن « جوقة » الممثلين ، وان يتضح للبنانيين جميعا ، ان مصالح الامم السياسية والاقتصادية ، من الحكمة ومن عـزة النفس ، ان تُبنى على غير قصائد الغرام ، واناشيد عواطف الحب والصداقـــة المنتحلين ، فيستسلم من يستسلم عن بينة ، ويأنف من يأنف عن بينة .

نقول هذا ، لان كل ما بين ايدينا ، من اقوال واعمال،يخولنا حق الاستنتاج ، بان السلطة الفرنسية ، ماضية في سبيلها ، مع لبنان ، من حيث التدخل في كل كبيرة وصغيرة من شؤونه - غير مقيدة بما تزعمه ، من انها لا شأن لها في البلاد ، الا بما يتعلق بالسياسة الخارجية وبالامن - تعمل من وراء ستار على « احراق » كل رجل لبناني ، له شيء من كرامة النفس واستقلال الارادة ، ولهشيء من المحبة والاحترام في نفوس ابناء بلاده ، حتى يتجلى الامر قوة وبهتانا (ومخرقة) عن ان ليس في لبنان ، رجل عزيز ابي ، يفهم اساليب الحكم ، ويحسن تصريف الامور !

واذا غضبنا مما يُتهامس به ، منذ بضعة ايام ، في الاندية الحكومية وغيرهـا ،

من عزم السلطة على ان تستبدل بالاستاذ الدباس ، حاكما فرنسيا ، فما نغضب للدباس ولا لغيره من الاشخاص ، مهما يكن لهم ، من قيمة ومن وزن ، وانما نغضب لكرامة شعب ، يريدون ان يهينوه ويستغلوه ، ويوهموا الناس انه ، هو الذي يطلب ، هذه الاهانة وهذا الاستغلال !!

وبعد ، فان في لبنان اليوم ، عدا الفئة التي كانت منذ القديم ، موفقة الى الصواب في ما تراه ، من اراء ، بشأن مستقبل لبنان ، سياسيا واقتصاديا ، فئات (كشف التجريب عن عيونها الغشاء) .

وايقظت حادثات الايام ، ما في جوهر نفوسها من اباء وعزة ، بعد ان انامتها المخدرات ، تتساءل عن خير السبل ، للتخلص من هذه الشدائد والملمات .

اللهم اهدنا وهذه الفئات جميعاً سواء السبيل . »

« الايام » دمشق ايار ١٩٣١

امطر ام شيء اخر...

ما اريد ان افاضل بين هذه الحكومة ، الحاضرة في بيروت ، وبين ما سبقها من حكومات ، منذ ان اعلن الحكم « الوطني » ! في لبنان ، وولدت مهازل القدر ، بواسطة صاحب «السلم لمن يريد السلم والحرب لمن يريد الحرب » (١) هذه « الجمهورية السعيدة المنقطعة النظير » ! فقد يكون من المستحيل ، انشاء حكومة افضل من هذه الحاضرة ، وتلك التي مضت ، ما دام هذا الوضع القائم ، اساسا لشكل الحكم ، وما دامت السياسة الفرنسية ، والجماعات المستمسكة بذيولها ، في لبنان ، تستمد روحها وسياستها من وحي « الماضي البعيد » المشحون بالاخطاء وبالدعايات ، ومن رسل دين « وعلم » كانوا وما برحوا ، معمل سموم ، من الناحية السياسية والخلقية ، ينفثونها في النفوس ، باسم التهذيب والتمدين والانقاذ !!

فاذا انا تكلمت في الحكومة الحاضرة ، واخرجت صورتها ، الى الناس ، فما اقصد الى القول ، ان غيرها خير منها ، وانما اريد ان اقول ، ان حكومة ما ، لم تصب ، بما اصيبت به هذه الحكومة ، من التضعضع والخذلان ، وان الصورة ، التي انا مخرجها عنها الى الناس ، هي صورتها الصادقة ، مدللا على ذلك بالواقع والبيانات ، واريد ان اصرح انني لا اتعرض لهذه الحكومات البلدية الا للتدليل على نية الفرنسيين ، وسياستهم الرشيدة العجيبة ... لانهم هم الذين يقيمونها !

بدأت مقاطعة الشعب في بيروت ، لشركة الجر والتنوير ، في ٣٠ اذار الماضي ، محتجاً – وهو على حق – بان اجور الركوب ، في الترام باهظة ، وان ثمن الكيلوات الكهرباء فاحش ، وان الشركة في استغلالها هذا ، تستنزف اموال الشعب ، وتتعمد افقاره ، وليست تتاجر لتربح فحسب ، شأن الشركات في الامم التي يسمونها ، هم ،

(١) المندوب السامي « السيد ده جوفنيل »

متمدنة ، باعتبار اننا نحن غير متمدنين ... وقام من بين البيروتيين ، من اوضح للشركة ، في دقة وجرأة ، وبواسطة الارقام التي لا تقبل الجدال ، ان اسعارها ، ليس لها في العالم كله مثيل ، وان اصرارها على التمادي ، في فرض هذه الاسعار ، يفسره الناس بالسرقة ، ، وان الشعب استيقظ من رقاده ، فلا يستطيع احد ان يسرقه بعد الآن. واقامت اللجنة الفنية البيروتية ، التي درست المسألة،درساً مشبعاً، الحجة القاطعة ، على ان مطالب الشعب ، مطالب حق ، ليس فيها شيء من التعنت او الاحراج ، ما دامت الشركة حتى في تلبيتها هذه المطالب ، تبقى ارباحها طائلة ، تزيد عن خمسين بالماية ، ولكن الشركة وضعت اصابعها، في اذانها، هزؤاً واحتقاراً..

والحكومة التي كان من واجبها ، ان تعنى بالامر ، فتضع حداً لهذه المشادة ، القائمة على الحق من ناحية ، وعلى الباطل من ناحية اخرى ، ليس انها لم تعن بالامر، كما يقضي العدل ، وكما يقضي شرف الحكم الصحيح ، وكما تقضي الكرامة الوطنية ، والكرامة الشخصية ، ايضاً ، بل انها اخذت جانب الباطل ، لانه الجانب الاقوى، في نظرها ، فاتت من الاعمال ، ما نشرته الصحف في حينه، واصدرت من الاوامر، ما لا يستند الى منطق ، ولا الى حق ، ومن البديهي ، ان الاوامر اذا لم تستند الى منطق ، والى حق ، لا يمكن ان تنفذها القوة التنفيذية ، في مثل هذه الاحوال ، ولعله ليس بابله ، ذلك الذي قال « اذا شئت ان تطاع فسل ما يستطاع » ومتى أهملت اوامر الحكومة ، ولم تنفذ ، سقطت ، حقاً ، هيبة الحكومة ، ومتى سقطت هيبة الحكومة ، ركبها التضعضع والخذلان ، وسادت الفوضى !.. وقد كان المجلس « النيابي » شريك الحكومة ، في هذا الموقف، فحبطت مساعيه ، كما حبطت مساعيها، في مسألة حمل الشعب على الاذعان للشركة ..

فقد اصدرت الحكومة واصدر المجلس ، بياناً يخاطبون به الشعب ، يقولون فيه ان قد انتهى الامر ، وحلت مشكلة المقاطعة ، فاركبوا القطـــار ، واستنيروا بالكهرباء ، فتهامس الناس ثم تصارحوا ، ثم قهقهوا هازئين ... واصدرت اللجان الاهلية بيانا ، فقرأه الناس في رغبة ، وفي تعقل وهدوء ، وعملوا بما فيه . وما تزال الحكومة ماشية لم تستقل ، وما يزال المجلس دائراً لم يقف ..

اتدري ماذا كان يحدث في غير لبنان في مثل هذه الحال ؟

احد امرين : استقالة الحكومة ، مـــا دام المجلس لم يسقطها ، او فض المجلس لاستفتاء الشعب . ولكن نحن في ظل حكومة لبنانية ، وتحت سلطان اصدقـــاء تاريخيين !! .

وبعد ، فما ندري انضحك ، من هذه الوزارة العجيبة ، ام نتألم ، فقد قامت عليها قيامة الشعب باجمعه ، ووجهت اليها الصحف ، على اختلاف مناحيها ، والوانهـــا السياسية ، سهام النقد ، وغدت لا حول لها ولا هيبة ، ومع ذلك فهي ما تزال في كراسي الحكم ، تبلغ الضجة من حولها عنان السماء ، وهي تتساءل ما الخبر ؟ كأنما هي قائمة في جبال التيبت ، او في الصين ...

– امطر هذا ؟ ام شيء آخر ؟ !

– كلا ايها السادة ، انه ليس مطرا ، انه شيء آخر ...

الايام ايار سنة ١٩٣١ .

عدوى الروح والفكر

حينما كنا نقول لفئآت معينة ، في لبنان ، بان لبنان ، ليس بحيث يريدون ، ان يضعوه،من العزلة،عن هذا العالم العربي ، المائج الثائر ، المندفع في قوة وايمان، الى عهد جديد ، من الحياة ، سواء في السياسة او الاجتماع ، وان لبنان ، العربي اللغة ، والقومية ، والتاريخ ، والعادات ، والتقاليد ، والنزعات ، لا يمكن الا ان يتأثر ، بما يتأثر به من هم حوله من ابناء بر الشام ، مهما يوضع من الحواجز الخشبية او الحديدية ، بينه وبين هذه البقاع ، العربية الشامية ، حينما كنا نقول ذلك ، لبعض الفئات ، على اختلاف مذاهبها ، كانوا يضحكون منا،ويسموننا خياليين ومتطرفين ، . وما الى ذلك ، بما يدل على انهم يأبون ، الا ان يمضـــوا في اعتقادهم ، بان لبنان ، كوكب منسلخ عن المريخ ، له طابع خاص وتاريخ خاص ونزعات وتقاليد خاصة وبالجملة ، ان له اتجاها خاصا ، يغمض عينيه ، عن كل ما سواه ، وكان يقوي في نفوس هذا الفريق ، من اللبنانيين ، اعتقادهم هذا ، عوامل ، منها : ان نفرا ممن وضعتهم التقاليد ، وسخرية الاقدار ، موضع الوجاهة والنفوذ ، في لبنان ، وفي الساحل ، وخصوصا بين المسلمين ، كانوا لاغراض شخصية ، يتظاهرون بانهم من رأي القائلين ، « بمريخية » لبنان ، والله يعلم ، وهم انفسهم يعلمون ، انهم يراؤن وينافقون .

ومنها ، ان ابناء الصديقة التاريخية ! كانوا ، بمختلف الوسائل ، ينشرون هـذه الروح ويقوونها ، ويبعثونها حية في الصدور ...

هكذا كانت الحالة لسنوات خلت . اما اليوم ، فقد تبدلت الحال ، قليلا ، غير الحال ، والنظريات غير النظريات ، وكيف لا يتبدل ذلك كله ، او بعضـــه ، والتجارب مدرسة يستفيد منها حتى البلهاء فكيف بابنـــاء لبنان وهم ، الاذكيا

المتعلمون ، والاعزة النبهاء .

انه لما يشجع الاحرار الوطنيين فعلا ، ان يبدو في جو لبنان ، مثل هـذه البوارق ، فمتى كان طلاب اليسوعية والفرير ، في بيروت ، ينهدون لمناضلة الفرير واليسوعية ، من اجل شيء ، اسمه حق وطني ، ومن اجل شيء آخر ، اسمه كرامة وطنية ؟!

ومتى كان هؤلاء الطلاب ، يتضامنون مع طلاب المدارس الوطنية ، والمدارس غير الفرنسية ، ويتصلبون في تضامنهم وفي مطالبهم ، لا يعبأون بوعد ، ولا يأبهون لوعيد ؟ !

انها عدوى الفكر ، وعدوى الروح ، وانها لعاطفة العرق ، البعيدة ، الكامنة في اقصى النفوس ، يبني من دونها الغرباء ، السدود ، والحصون ، ويجعلون لها ، قبوراً من « الباتون » فينفخ فيها الزمان ، نفخة واحدة ، فيشتق « الباتون » وتنـدك السدود ، وتثب هذه العاطفة ، هائجة ثائرة جامحة مستكبرة ، تجتاح ما يعترضها ، من خشب ومن حجارة ومن حديد ، ومن سجلات ومن تعاليم ، ومن قارورات سموم ....

ايار سنة ١٩٣١ .

التبعة بين السرايين

اخذ علي صديق ما كتبته في نشرة الاحد الماضي من « الايام » لهجتي العنيفة في مخاطبة الفرنسيين ، ومجاهرتي بانهم هم الذين يعملون كل شيء في هذا البلد ، ولكن من وراء ستار ، وما ادري على اي الامرين يستند عتب هذا الصديق ، اعلى حسن ظنه بالفرنسيين ، واعتقاده بانهم لا يتدخلون في شؤون لبنان الى هذا الحد ، ام على سوء ظنه بالحكومة المحلية ، واعتقاده بسوء تدبيرها وجهلها تصريف الامور ؟ وهي المسئولة « رسميا » عن كل ما يحدث في بلد ، تتولى هي الحكم فيه ، بظلال شيء اسمه « الدستور » . ومهما يكن من امر ، فاني موافق صديقي ذاك ، لا على عتبه ، ولكن على شيء اخر ، يريد ان يقوله ولم يقله.

تعتذر الحكومة المحلية ، حينما تقع في مخالفة الدستور ، او القانون ، او حينما تأتي عملا ، ما يتفق في شيء ، مع مصلحة الشعب ، الذي تحكمه ، (بالضغط الارشادي !!) فتقول هكذا يريدون ...

ومن هم هؤلاء الذين : هكذا يريدون ؟ هم رجال « السراي الكبير » القابضون على حبل المطاط المتين ...

فاذا قال صديقي ، ان هذا لا يصح ، ان يكون عذرا ، فما شأن اولئك الناس وهم ليسوا حكام لبنان ، والمسؤلين تجاه مجلس لبنان ... وان الشعب اللبناني ، لا يعرفهم ، ولا شأن له معهم ، باعتبار انه لايحق له ان يطالبهم استناداً الى الدستور اذا قال لي صديقي ذلك ، كان على صواب ، واذا قال ، لنفرض ان اولئك الجالسين على عروش دار الاعتماد ، يضغطون على رجال الحكم في لبنان ، ويطلبون اليهم ، ان ينفذوا لهم ، ما يريدون من اغراض ، فمن واجب الحاكم الشريف ، في مثل هذه الحال ، ان يصارح اولئك النفر ، بانه يرفض ما يطلبون ، وانه هو المسؤول ، عن كل عمل يعمل باسمه ، فاذا ما الحوا عليه ، وحاولوا ارغامه ، وجب عليه ان

يستقيل ، اذا قال صديقي ذلك ، كنت واياه على وفاق .

وهذا هو الحق . إما ان ترضى بكل ما يعمل باسمك ، من فضائح ، سواء اكنت انت مصدر العمل ، ام سواك ، ولا تعتذر بالباطل اللغو ، وتتقبل ما يوجه اليك من سهام الانتقاد ، وإما ان تستقيل اذا كنت حريصا على كرامتك ، ضنينا برضى ابناء بلادك ، ثم تطلع الشعب على حقيقة الحال .

هذا الذي اقوله ، حينما ابحث في رجال الحكم البلديين ، وانا من جهة اخرى اصر على ما قلته ، من قبل ، بشأن الفرنسيين ، باعتبار انهم كما يزعمون لهم ، ويزعمون هم لانفسهم ، قوم ، يحبون الصراحة ويحبون الحرية ، وبالتالي يحبون لبنان !! ولكن السياسة لا تفهم الصراحة ، ولا تفهم الحب ، ولا الدم الحار ! واذن فان الفرنسيين سيظلون على هذه السنة ، ما داموا يرون ، في هذه السنة ، تحقيقا لاغراضهم . يشتغلون من وراء الستار ، ويظهرون ، بمظهر البريء « المتفرج » ويجدون ناساً مثل صديقي ذاك ، يقولون ما شأن الفرنسيين ، فالشأن شأن الحكام اللبنانيين ، انهم ـ رسمياً ـ هم المسئولون ، ونعود نحن بفكرنا ، الى قصة ، يعرفها معظم الناس ، قصة اكل اللبن ، ومسح الافهام ..

ولكن نحن ما نستطيع ان ننسى المسؤولين عمليا ، آكلي اللبن الحقيقيين !

وتبقى مسألة استقالة رجال الحكم ، في مثل هذه الحال ، فهي وحدها تحل المعضلة ، فهل تستطيع ان تطلب الى وزير في لبنان ان يستقيل ، احتجاجا على محاولة سلطة ما ، تسخيره واستغلاله . وغضباً لكرامته ، ينهشها هذا التسخير وهذا الاستغلال ؟!

ان المسؤولية في لبنان ، ضائعة . أعلى من « فوق » تقع ، ام على من « تحت » ؟ ليس لهذا السؤال ، من جواب ! وستظل ضائعة ، الا في نظرنا ، ونظر فريق قليل ما دام ليس في الحكومة البلدية ، من ينهد الى الاستقالة ، ويشتري بالكرسي ، شرف المصير والمآل .

ايار سنة ١٩٣١

اصلبوه اصلبوه!

مسكين هذا البلد اللبناني . ما رايت بلداً اشقى منه بابنائه ، فهو كلما هزه الزمان هزة ، فايقظ فيه جمهرة من كرام اهليه ، ترى له ما يراه العاقل الكريم ، لنفسه ، وتحتمل في سبيله . ما يحتمله الحر الابي ، في سبيل حريته و كرامته ، سخرت له المقادير ، من جهة اخرى ، جمهرات تأبى الا المسكنة والذل ، وتنفر الا من العبودية = على اختلاف الوانها = والا ، من الفساد والشقاق .

قامت المقاطعة لشركة الجر والتنوير في بيروت ، فمضى فيها الشعب مطالبا بعزيمة ثابتة ، بحقه المهضوم ، وكانت واسطة مباركة لجمع شمله ، وتوحيد صفوفه ، واغتنمها العقلاء المخلصون ، ذوو النفوس العالية ، فرصة لتطهير القلوب ، وتوطيد دعائم الاتحاد ، بين مختلف الملل ، باسم الوطن ، ومصلحة الوطن . وتحدت شركة الجر والتنوير المتغطرسة ، جماعات المقاطعين ، ليس بان انكرت عليهم ما يطلبونه من حق ، بتخفيض اجر الركوب ، وثمن النور ، فحسب ، بل بأن هزأت بهم واحتقرتهم ، وعملت وما تزال تعمل ، على كسر انوفهم ، والنكاية بهم ، فحالت المسألة من السعي لاقتصاد بعض دريهمات ، الى المحافظة على حق معنوي ، في الحرمة وفي الكرامة ، ومن هنا جاء الامعان في المقاطعة بعناد أشد ! فغاظ ذلك هذه الشركة الغربية العاتية . وغاظ معها ، حكومة لبنان ، واناساً ممن يسمونهم ، متمدنين ومثقفين ، حتى وزعماء في لبنان ، هـؤلاء هم « جمهرات المسكنة والذل والعبودية والشقاق » في لبنان ، فاخذوا يبيتون لهذا الشعب الطيب ، ولجمهرة العقل والاخلاص والاباء ، ما يبيتون من الدسائس ، وينشرون على الناس ، ما تشاء الشركة ، وتشاء لهم نفوسهم الصغيرة من الدعايات ، فكأن هذا البلد كتب عليه ، ان يكون جميع من لهم – بهزل القدر – شيء من النفوذ والسلطان ، اعداءه ومبغضيه ، فليس واحد

من هؤلاء الا ويقول كلما « دق الكوز بالجرة ... » : اصلبوه ، انــه يقاوم السلطات ، انه يكره الغرباء المحسنين الممدنين !!

اصلبوه ، انه يوقعنـا في « الزرع الطويل !! » لكم الله ، يا اعـداء الكرامة والحق ، واصدقاء الباطل والمهانة ، و... التمدن !! ما اشدكم على ابناء بــلادكم الضعفاء ، الا بالحق ، وما اخفكم على الغرباء ، الاقوياء بالباطل !

لقد اثار البعض محلاته ، باغراء منكم ، وما ان رمى بعض الفتيان هذه المحلات ، بالحصى ، ومفرقعات الصبيان ، حتى قامت قيامتكم ، ونفختم بابواق الشقاق ، والتفريق ، تحرضون السلطات على الشعب الذي تمادى في طغيانه وفي تعنته على زعمكم ، اصلبوه ! لم يبق واحد منكم الا وقالها بملء شدقيه : اصلبوه ! فيا للفضيحة ويا للعار !

«الايام» حزيران سنة ١٩٣١

لبنان دولة مستقلة!

كان احد الناس الذين لهم صفة رسمية في لبنان ، يظهر بمظهر غريب مضحك ، مليء بالشعوذة والخلط ، يوم بحث المجلس اللبناني ، في القانون الذي هاج لبنان عليه من اقصاه الى اقصاه ، وسلقت الصحف البيروتية واضعيه ، باقلام من نار . ونعني قانون الاجتماعات الذي ما تزال الاكثرية الساحقة في لبنان ، وفي بيروت ، ترى فيـــه قيدا ثقيلا ، ومعرة فاضحة ، رغم ما انزلوه به من تعديل وترقيع .

وكان المستمعون في قاعة المجلس انفسهم ، اكثرهم ان لم يكن كلهم ، يشهدون هذه المهزلة في استغراب واشمئزاز !

ماذا ؟ ايهزأ بنا هذا الرجل الممثل ؟ ايستصغر عقولنا الى هذا الحد ، لمجرد كوننا قلنا : الشيخ ، الشيخ ؟ !!

ذلك ان هذا الرجل الذي يُحتفظ به التوازن الطائفي !! في لبنان ــ وقد عرفته من غير شك ــ كان في اثناء البحث في قانون الاجتماعات ، كلما تكلم نائب مــن الذين يفهمون القوانين فهما صحيحاً ، ودلل بالاستنـــاد الى القوانين الفرنسية او العثمانية او غيرها ، على فساد القانون الذي « أوحي بـــه » لقتل حرية الافراد ، والجماعات في لبنان ، يغضب ويصيح قائلا : ان لبنان دولة مستقلة !!! والحكومة لا تتقيد برأي احد ، حينما تتقدم لهــذا المجلس ، بمشروع قانون ! نحن مستقلون ! فيتلمس الناس موضع التفكير منهم ليعلموا ، اطاحت رؤوسهم عن اكتافهم ، ام هي لا تزال مكانها ! ثم يرفعون ايديهم الى عيونهم ، يفركونها فركاشديدا ، ليتأكدوا ، أفي يقظة هم ، ام انهم نائمون ، ثم يتلفتون يمنة ويسرة ، ليتبينوا أفي قاعة المجلس هم فعلا ، ام انهم في غرف النوم ، ام في دار صور متحركة ، يشهدون فصلا مضحكاً !

ويقول ذلك ، اناس ما استطاعوا ان يستقلوا ، حتى الان ، باشباههم الخاصة ،

التي يملكونها ، كما يملك الانسان يده ورجله وغير ذلك ...

حقا ! لقد ذهب الذين يستحون .

نحن نفهم ان يقوم السيد « دي جوفنل » معتمد فرنسا السابق ، في هذه البلاد ، « فيفقع » البرلمان الفرنسي خطابا طويلا عريضايقول فيه : قد خلقت في ذلك الشرق الجميل ، على سيف البحر الشامي ، في تلك البلاد ، التي ربطها التاريخ بفرنسا ، بروابط صداقة ، غير مفصومة العرى ، جمهورية مستقلة !!!

ونفهم ان ينتصب السيد « روبر ده كاي » في جنيف ، امام ممثلي اربعة وخمسين دولة ، كما يقولون ، (فيفقع) عصبة الامم ، وليس فيها طرابلسي واحد ، فيما نعلم ، ولا لبناني واحد ، خطابا يقول فيه : ان الدولة اللبنانية دولة مستقلة ، ولا شأن لفرنسا بامورها الداخلية ، حتى ولا الخارجية ايضاً ، فالسيد « ده كاي » ليس كثيرا عليه ، ان يزعم ذلك — وان الفرنسيين ليس لهم من عمل في لبنان ، سوى المحافظة على الحدود ! وتعريض جنودهم البواسل ، لمختلف الاخطار ، التي يمكن ان تنزل بتلك البقعة العزيزة من الارض !

نعم ، اننا نفهم هذا كله . اما ان يقوم واحد من لبنان ، وفي لبنان ، وعلى مسمع من لبنانيين ، يزعمون ان لهم عقولا مفكرة ، وان لهم نفوسا شريفة ، وان لم يزعموا انهم اقوياء ، بالجيوش والاساطيل ، فيقول ان لبنان دولة مستقلة ، فهذا امر ، ان لم نقل ان مداركنا ، تعجز عن فهمه ، فاننا ما نستطيع الا ان نصرح بان نفوسنا تأباه ، وتتقزز منه ، وتثور على قائله ، لانه لا يمكن لاحد ان يقوله ، الا ان يكون يهزأ بمصائبنا ، ويضحك في مآتمنا ، ويذر ملحا ساماً قاتلا ، على جراحنا الداميات .

« الايام »   حزيران سنة ١٩٣١

التقاليد والمصلحة – والعدالة — و ... الرحمة بالطير ...

التزاحم سنة من سنن الحياة، والمكاسب الكبيرة تثير روح الحسد في الناس! وقد كان من امر « الشركة الاستثمارية الرسمية » (١) عندنا وارباحها الطائلة، ما عرفه القريب والبعيد. وما ايقظ في نفس شركة اخرى من الشركات القوية غريزة حب المزاحمة، وروح التكالب على الارباح. فاذا صح ما يؤكده بعض المقربين من « الشركتين » من ان السيد اميل قشوع قد استقر رأيه على توشيح نفسه، لرئاسة الجمهورية في لبنان، استنادا الى شركة البنك المعروفة « بنك سورية ولبنان الكبير » والتي انا نعتز « بيبرار » وكتلة بيرار، والسيد قشوع هو مدير هـذا البنك في بيروت، فيكون ذلك معقولاً جداً وطبيعياً جداً، ولا سيما اذا كانت كتلة « بيرار » وشركته على علم كامل بما تجنيه « الشركة الاستثمارية الرسمية » من وافر الكسب من غير ما جهد ولا عناء. وانها لعلى علم بذلك من دون ريب ...

ولكن الظاهر ان « اصحابنا » يفوتهم علم شيء، كان ينبغي ان يكونوا في طليعة العالمين به، وكلهم « سيد العارفين » فليسمحوا لنا ان ندلهم على هذا الشيء، في كثير من التواضع والاخلاص! لقد فاتهم ان من النظريات المقررة عند اركان الدول، من مشترعين وسياسيين، في عصر الحكم الشعبي، ان لا تكون السياسة المسيطرة، في الدولة، سياسة المال، وهذا احد رؤساء المجلس النيابي الفرنسي، قد فشل يوم رشح نفسه، لرئاسة الجمهورية الفرنسية، لغير ما سبب، سوى انه كان مديرا لمصرف من مصارف فرنسا الكبرى، كما يذكر من غير شك، السيد « بيرار » وجماعته من الفرنسيين، « والبلديين » على السواء. ومهما يُقل من ان الفرنسيين،

(١) المقصود « الدولة اللبنانية » وهذا اصبح معلوماً

يطبقون في هذه البلاد ، ما لا يجوزون لنفوسهم تطبيقه ، في فرنسا ، او ما لايجرأون على تطبيقه هناك ، ومن ان النظريات والتدابير والمبادىء ، التي تنطبق على الحق والعقل والمنطق ، ومصلحة الشعب ، بضاعة ، محظور على الفرنسيين ، تصديرها الى خارج فرنسا ، فاننا نميل الى الاعتقاد بان هذه النظرية : « يجب ان لا تكون السياسة المسيطرة في الدولة ، سياسة المال » ستجتاز حدود فرنسا ، هذه المرة ، الى بيروت ولبنان ، بغير واسطة « الكونترابندو » بل بجواز سفر رسمي مضبوط ، ولو كره السيدان قشوع وبيرار .

قضية الطير ..

يا للحرية ويا للعدالة ويا للرحمة !!! تعزم ان تحترمها وتطبق شريعتها ، دار الاعتماد ، في اخر زمان ! لقد سنت دار الاعتماد ، قانونا يتعلق بصيد الطير ، جاء فيه ، انه محظور على اي كان ، اقتناء الطير ، وسجنها في الاقفاص ، حتى الضعيف منها كالبلبل والحسون والكنار ... ولدار الاعتماد « المفوضية » نظرية عالية محترمة ، في هذا الامر ، وهي ذات شقين ، اما الشق الاول فهو : انه لا يجوز ، ان نستعبد حتى الطيور ، فنسجنها في اقفاص ، نمنعها التمتع بما خلقت للتمتع به ، من حرية واستقلال ، وان كل ذي حياة ، حر ، في ان يعد لنفسه ، اي نوع من انواع العيش ، التي يستحبها في هذه الحياة ، فمن اين لنا ان نعلم ان هذا العصفور ، الذي نحدد له سكنه ، وطريقة عيشه ، في اكله وشربه ، ونومه ، يرضى عن هذا التحكم ، في مقدراته ! اليس ان عملنا هذا ، ضرب من ضروب الاستبداد والاستعباد ?!!

ام ان الاقفاص تموه بالذهب ، وتزخرف بمختلف مظاهر الزخرف ، تبطل ان تكون اقفاصاً !! كلا . انها اقفاص على كل حال ! ويزيد رجال دار الاعتماد : اننا ابناء الحرية وحماتها ، فلنحطم هذه الاقفاص ، فنعيد الى الطير حريتها ، ان حرية الطير ، غالية ومقدسة عندنا كحرية الناس !!!

واما الشق الاخر فهو : اننا نعود هذه الطيور ، المقيدة ، الكسل ونحبب اليها

البطالة والفراغ ، بما تقدمه اليها ، من مأكل ومشرب ، وما نوفره لها من اسباب الطمأنية والرفاه ، بينما غيرها من الطير ، يجد ويكدح ،ويتعرض لزمهرير الشتاء ، ونار الصيادين ، في سبيل قوته اليومي ، متنقلا بين السهول والجبال ، والاودية ، والاحراج . وليس هذا من العدالة !! . .

عاشت الحرية ! والرحمة ! والعدالة ! وبصر الله اسياد « الصرح الكبير » في بيروت ، بالمستعبدين من الناس ،والآكلين الشاربين الراكبين ، في مختلف الدوائر ، يتمرغون بالبطالة والكسل والفراغ . !!

الايام تشرين الثاني سنة ١٩٣١ .

الصلح (ليس) سيد الاحكام

من آفات لبنان الكبرى ، ان الناس فيه ـ الا اقلهم ـ يحسبون ، ان الخلاف في مبدأ ، او نظرية ، بين فريق وفريق ، خلاف يقوم على العداء الشخصي ، والنكاية، ويزول « بتبويس اللحى » واخذ الشاي والحلوى ، او شرب العرق والويسكي والشمبانيا ، فهم لا يستطيعون ان يفهموا ان زيداً من الناس يعتنق مذهباً سياسياً او ادارياً او اجتماعياً عن عقيدة واقتناع ، فيخالف في ذلك ، بكراً ، من غير ان يكون بين زيد وبكر ، شيء من العداء الشخصي ، لذلك تراهم ، يندفعون في السعي لعقد الصلح ، بين المختلفين ، في عقائدهم وارائهم ونظرياتهم ، توهما منهم ان « الصلح » يذهب بهذه العقائد والاراء والنظريات !!.

يرى رجل من اصحاب الشخصيات البـــارزة ، في لبنان ، ومن المشتغلين في السياسة اللبنانية ، بشكل ، يدل على شيء من استقلال الارادة ، وطهارة الكف ان الحال تدعو الى انتهاج خطة عملية جديدة ، في السياسة اللبنانية توفر شيئاً ، من ماء الوجوه ، يبذل من غير حساب على ارجل الغرباء ! وشيئاً اخر من قوت العباد ينتزعه من بين ايديهم ، ومن افواههم ، شرذمة من اشخاص ، فقدوا الشعور بكل ما يُسمى تبعة ما ، واقاموا انفسهم ، او اقامهم هوى السياسة ، وهزل القدر ، حيث هم ، جلادين ، في تكالب وصغار ، ويعرف هـــذا عند الناس ، فيركض الذين ما تعودوا ، الا الزحف على وجوههم ، ويصيحون ! لا . لا . لماذا الخلاف « ما بيسوا تختلفو . المسألة ما بتحرز » ! شو في بينكم وبين هالجماعة ! بدنا نصالحكم! يا جماعة الخير ! ليس بين هذا الرجل ، والقائلين بقوله ، وبين اولئك الاشخاص « زعل » ولا عداء لكي تسعوا بينهم ، في عقد الصلح ، بل قد يكون بينهم ، مـــا بين الاصدقاء والأحباب ، وانما هو نهج ، رأى هولاء ان ينهجوه ، لاعتقادهم بما يعود به ، من خير على البلاد ، ام ان عقليتكم ما تستطيع ان تهضم حتى هـــذا ،

وتأبى ، الا الاعتقاد ، بان احدا ما ، لا يعتنق مبدأ ، اورأيا ، الا لغرض خاص ، والا كرها بفلان ، ونكاية بفليتان ! .

هذه كلمة نوطيء بها لما يلي : عرف القراء ان في لبنان هيئة اطلقنا عليها اسم « الشركة الاستثمارية الرسمية » ما ندري ، كيف ان القدر ، وضع بين ايديها مقدرات لبنان ، لا هم لها ، الا العمل على انماء ثروة الشركة ، وتوفير اسباب الكسب ، والجاه الزائف للمساهمين فيها جميعا ، ولا نصارهم ، وانصار انصارهم ، واتباعهم اجمعين .

سواء لديهم أعمرت البلاد ، ام خربت ، وجاع العباد ام شبعوا ، وعزوا ام هانوا . ما يعنيهم من ذلك كله كثير ولا قليل ، والصحيح ان الشعب اللبناني بدأ – رغم كل شي – يستنكر هذه الحال ، ويضج منها ، ويرفع صوته احتجاجا عليها . وان رجلا ، عرف عنه ، انه نزيه وحازم وصريح ، هو الاستاذ اميل اده استقر رأيه مؤخرا مع نفر كريم ، يرى رأيه محليا ... على برنامج سياسي (يكنس) هذه « الشركة الاستثمارية الرسمية » ويستبدل بها ، اناسا يعملون ، ما يستطيع ان يعمل في لبنان . رجل نزيه حازم صريح ، لخير لبنان واهليه .

وفشا الخبر بين الناس في لبنان ، ففزع له الذين يحبون الصلح والسلام ؟ ! ويغارون على ان تبقى روح « الحوش بوش » سائدة ، على الجميع ، فنشأت فكرة الصلح والسلام !

واقلت الغُير ؟ على هذا السلام ، والقائلون بان الصلح « سيد الاحكام » سماسرتهم ، يبذلون المساعي ، لعقد الصلح بين الاستاذ اميل اده ، والاستاذ بشاره الخوري . ونميل الى الاعتقاد بان الاستاذ اده – ونحن نصرح بهذا ، رغم خصومتنا السياسية للرجل – يفهم معنى الخلاف المبدئي ، والخلاف الشخصي ، ويفرق بينهما . ولذلك فهو لن يقع في الفخ . الذي ينصبه له دعاة الصلح والسلام ! .. فان وقع ، قلنا لعل الذنب . والامر لمن له الامر ... افندم ؟ .

الاخلال بالعقد يبطل العقد .

ولهذه المناسبة . نرى من واجبنا الوطني ، ان نذكر الشعب بمقالنا منذ ايام في « العصيان (١) المدني » ، وبان فريقا من المفكرين الاحرار المخلصين — وما اقلهم — في لبنان ، اخذوا يفكرون جديا في هذا الامر ، متوسلين لنشره بهذه النظرية وهي :

ان حياة الشعب ، والحكومة ، حياة مربوطة بعقد صريح ، وان الفريقين المرتبطين بهذا العقد هما : الحكومة من جهة ، والشعب من جهة اخرى ، وبنود هذا العقد ، واضحة ، وهي في ايجاز : ان الفريق الاول يسهر على سلامة الفريق الاخر ، ويوفر له اسباب العمل ، ويحميه من الاعتداآت ، ويفصل في قضاياه بالحق ، ويوزع العدل على افراده جميعا بالسواء الخ ... وان الفريق الاخر ، اي الشعب ، يحترم قوانين الفريق الاول ، اي الحكومة ، ويطبقها ويحافظ على نظمها ، ويؤدي لها ما يترتب عليه من الضرائب ، المعقولة ، لتصرفها في التعمير والانشاء والاصلاح فاذا اخل فريق من الفريقين ببنود العقد ، او ببند واحد من هذه البنود ، سقط عن الفريق الاخر ، واجب التقيد بالعقد ، واصبح حرا ، في ان يتخذ من التدابير ما يحفظ به حقوقه ، ويفضي الى وضع البنود ، موضع التنفيذ ، بطريقة من الطرق الفعالة الشريفة .

ونحن نتسأل في هذه الغمرة ، عن اي الفريقين يا ترى ، يخل بهذا العقد الصريح الصحيح ؟ !

الجواب عند (الشركة الاستثمارية الرسمية ! !)

الايام تشرين الثاني سنة ١٩٣١ .

---

(١) لم اعثر على هذا المقال

السلبية والعمل الانشائي

يذكر القراء حديثي عن السلبية ، واللاتعاون ، في الامم المغلوبة على امرها ، وقولي ان الامة ، اية امة ، من هذه الامم ،مهما يكن من شأنها ، في حب الاستقلال وكره الاستعمار ، ومهما يكن من رغبتها في التحرر ،لا بد ان يوجد في افرادها ، من يعتقد ، واحياناً ، مخلصاً ، بصلاح السياسة الايجابية ، وقد وجد هولاء ، فعلا ، في الامة العربية سواء ، في العراق ، او بر الشام « سورية فلسطين شرق الاردن جبل حوران جبل لبنان بلاد اللاذقية » ولكن هذا لا يمنع الفريق السلبي ، العمل ضمن دائرة معينة ، بالاساليب الناجعة ، للوصول بالامة الى هدفها المنشود ، وبصفة كوني واحدا ، من السلبيين ، ودعاة السلبية ، في بلاد العرب ، المهيضة الجناح ، دعوت اخواني ، ورفاقي ، الى التشبه بالهنود ، في هذه الناحية ، وما ازال ادعوهم الى ذلك ، في عقيدة وايمان ، مطبقاً بنفسي ، على نفسي ، عملياً ، ما ادعو اليه . واريد ان اوضح الان ، لابناء وطني ، في كل مكان ، كيف افهم السلبية في السياسة ، في مثل حالنا الذي نحن فيه .

السلبية ، في ايجاز ، هي ان تتجاهل وجود السلطة الحاكمة ، فلا تقبل منها وظيفة ، ولا تقبل منها لقبا ، ولا وساما ، ولا دعوة الى حفلة ، ولا تدخل معها في مفاوضات ، مهما يكن نوع هذه المفاوضات ، الى ان تعترف هذه السلطة بحقك ، وتحترم هذا الحق ، فيصبح نافذاً ، ثم تمارسه عمليا ، ومرحبا بعدها ، بالمفاوضات والصداقات ...

واذا زعم احد ان في هذا المنهاج ، تطرفاً ، او خيالا ، احلته الى الهند عام ١٩٢٣ وسلطت عليه ، غاندي وجواهر لال .

على ان هذا المنهاج ، ينبغي ان يطبق معه ، منهاج وطني ، للعمل الانشائي ،

والا غدا ليس خيالا فحسب ، بل لغوا وهراء ايضاً ...

والعمل الانشائي المستقل عن السلطات هو هذا ، وما اليه وما يتفرع منه :

١ ـ تدعو الجماعة ، التي تتمثل فيها بحق ، اماني الامة ، ونزعاتها ، ابناء البلاد، الى مؤتمر تتمثل فيه ، عناصر الامة كلها ، وفي هذا المؤتمر ، ينتخب مجلس ، يسمى مجلس الامة ، ومن مجلس الامة ، تؤلف هيئة تنفيذية . فيقوم مجلس الامة ، مقام مجلس نيابي وتقوم الهيئة مقام وزارة ،

٢ ـ تنتخب الهيئـــة التنفيذيـة . لجانا مختلفة ، تعين لكل منها ، العمل الذي يتناسب مع اختصاص رجالها : لجنة « للبروباغندا » الدعايـــة ، ولجنة للمعارف ، ولجنة للعدل ، ولجنة للصحة والاسعاف ، ولجنة للزراعة ، ولجنة للصناعة والتجارة ، وتجوب هذه اللجان ، انحاء البلاد كلها ، مدينة فمدينة ، وقرية فقرية ، في اوقات محددة . فتنشيء في كل مدينة ، وفي كل قرية ، او بمجموعـــة قرى، مركزاً يرتبط بالمركز العام ، الذي يكون فيه مجلس الامة ، واللجنة العليا ، او الهيئة التنفيذية ، التي تقوم مقام وزارة ، ومعلوم ان هذه اللجان ، لا تجوب البلاد للـــنزهة ، وقتل الوقت ... بل للدرس ووضع المناهج بطريقة علمية منظمة ، للتنفيذ .

٣ ـ يرتدي اعضاء مجلس الامة ، واللجان المختلفة ، قبل كل أحـــد ، النسيج الوطني ، ويقسم كل منهم ، اليمين ، المغلظة ، ان لا يستهلك بقرش واحـد ، من المأكل ، والملبس ، والمشرب ، وغير ذلك من الادوات ، مما يأتي من الخارج ، ويكون موجوداً منه في البلاد العربية ، .

٤ ـ لا يقاضي احد احداً من ابناء البلاد ، الا امام مجلس الامة . وهناك امور كثيرة يقررها مجلس الامة ، استنادا الى مقتضيات الحال .

هذا شيء ، مما افهمه ، بالعمل الانشائي ، مع السلبية ، وهو عمل ، يقتضي له ، مال كثير ، طبعا ، وان جمع المال ، في نظام وانصاف ، وفي دقة وامانة ، لعله اصعب ما في هذه التدابير . نظريات بديعة ! واحلام مذهبة ! من يستطيع ان يحققها ؟ هـذا ما احسب انك ستقوله . وانا اقول لك ، انها امور تستطيع ، اية

امة ان تحققها، اذا هي ارادت . انها امور صعبة التحقيق ، ولكنها تحقق .

وانا اعلم علم اليقين ، انه ما يستطيع ان يحققها ، مجموع الامة . اليوم ، ولكنني اعلم ، واؤمن بانه اذا شرعت الامة . بالعمل منذ الان . في قيادة صالحة مصلحة ، فهي تستطيع ان تحقق هذه الامور ، بعد خمس سنوات ، مثلا . او عشر سنوات ، او خمس عشرة سنة . ومهما نكن متفائلين ، فما احسب اننا نستطيع القول ، باننا نستغني ، بعد عشرين سنة ، عن مثل هذه التدابير ...

حزيران سنة ١٩٣١ .

بين الهاشمي وبيني

اجتمعت امس ، باحد رجالات العرب ، الكبار ، السيد ياسين الهاشمي ، وقد وصل من بغداد ، الى بيروت، منذ يومين.

والسيد الهاشمي ، من المعروف ، انه من الاقطاب الذين يفكرون بالوحدة العربية ، ويعملون لها ، ولا غرو ، فهو من اعوان ، العربي الاول ، الملك الاجل المحبوب ، فيصل . فاغتنمت هذه الفرصة ، لاستفيد من اراء الرجل « الشيفرة » وحنكته ، ــ ان امكن ــ فسألته عن الوحدة العربية ، وخير السبل ، والوسائل المؤدية الى تحقيقها . فاجابني قائلا : الوحدة العربية !سأذكر لك الوسائل ، التي يجدر بنا ان نأخذ بها ، لتحقيق الوحدة العربية ، بصفة كوني مؤمناً بهذه الوحدة . اكاد المس بناءها بيدي لمسا « وهنا رفع السيد الهاشمي في تؤدة، ذراعه اليمنى ، مبسوطة الكف ، ثم اطبق اصابعه ، وراح متابعاً كلامه ،

ينبغي لنا قبل كل شيء ، ان ننشر العلم الصحيح ، في الحواضر والبوادي ، ولا اعني انه يجب على كل فرد ، من افراد الامة ، ان يكون حامل شهادة عالية ،فقد يضر هذا ولا ينفع . وانما اعني ان نقتل الامية . وان نعلم العرب رجالا ونساء ، معرفة حقوقهم وواجباتهم ، كعرب قبل كل شيء ،وان نحبّب اليهم العمل ،ونرفع مستواهم فيه ، وخصوصاً ما يتعلق بالزراعة باوسع معانيها ، فنقضي على البداوة، في كل قطر من الاقطار العربية ، ونوزع الاراضي الاميرية ، توزيعا عادلا ، ونفرض استثمارها فرضاً ، . وننشر المعرفة بالامور الميكانيكية ، ونطبق الخدمة العسكرية الاجبارية ، ويجب ان نلتفت الى الصناعة،فهي مهملة ، ولا تظن هذا امراً بعيد المنال ، فانه يكفي ان تفرضه كل حكومة من الحكومات المحلية العربية على « رعيتها » حتى لا يمضي سنوات قليلة الا وقد تحقق .

وينبغي لنا ، ان نكثر من التعاون ،بعضنا مع البعض الآخر فياخذ العراق مثلا ، ما استطاع من المعلمين والمعلمات ، لمدارسه من سورية ، وتأخذ مملكة الحجاز ونجد ، ما استطاعت من المهندسين والمعلمين السوريين ، الى نجد والحجاز ، ويعطي العراق ضباطاً الى هذه وتلك ، ويشترك الضباط السوريون والعراقيون ، في اليمن وفي العراق وفي الحجاز ونجد وبر الشام وهكذا ... وهناك امر خطير ، ينبغي ان يعرفه ابناء هذه الاقطار جميعاً ، معرفة تامة دقيقة ، هو تاريخهم . تاريخهم بجميع اقسامه ، السياسي والحربي والعلمي والادبي والفني ، وبصورة مرتبة واضحة صادقة ، ليستقيم مفهوم القومية ، في اذهانهم ، ويشعروا بجامعتها القوية . وتستطيع كل حكومة ، من الحكومات المحلية العربية ،وهذا امر مهم جداً ،ان تحسب الموظف من «رعيتها» في حكومة غيرها ، مدة خدمته ، في تلك الحكومة ، كانما هو في حكومة قطره نفسها ، حتى اذا ترك وظيفته يوماً ، وعاد يشغل وظيفة ما ، في حكومة القطر الذي ينتسب اليه ، تضيف هذه الحكومة الى مدة خدمته ، المدة التي قضاها في خدمة القطر الشقيق ، لتسهل له الحصول على مرتب التقاعد ، وتحبب اليه خدمة الحكومات العربية كلها ، كانما هو يخدم حكومته الخاصة .

فقاطعت ياسين « باشا » الذي كان يتكلم في تمهل وعزم وقلت : تضع كل شيء على عاتق الحكومات العربية ! والامة العربية، ماذا ينبغي ان تفعل؟ هؤلاء العرب في مختلف الاقطار العربية ، الا يجب ان يفعلوا شيئاً ؟ !

فقال السيد الهاشمي بهدؤ — بلى . بلى . انني لم انس ما يمكن ان يفعله افراد الامة ، بل ما يجب ان يفعلوه . انهم يستطيعون ، ان يفعلوا كثيراً ، يكفي ان اقول لك ، انهم يخطون بالبلاد العربية ، خطوة واسعة نحو الوحدة ، اذا هم الفوا الجمعيات والاحزاب ، يربطها بعضها ببعض برامج موحدة ، واذا هم اوفدوا الوفود، الى الاقطار العربية المختلفة تجوب مدن العرب وقراهم، وبواديهم ايضاً فيتعرف العرب في هذه الاقطار الشاسعة، بعضهم الى بعض. فيذهب على التوالي ،في رحلات ، ابنا سورية الى العراق والحجاز ونجد واليمن وغيرها من بلاد العرب ، كما يجيء ابناء اليمن الى سورية ونجد والحجاز والعراق، وهكذا دواليك ، وانت تعلم ما يكون لهذه الوفود المتبادلة المتتالية، من الاثر في النفوس وما قد تفضي اليه هذه الرحلات ، من محكم

الارتباط ، ليس الروحاني فحسب ، بل المادي ايضاً . وتوقف السيد الهاشمي هنيهة عن الكلام ثم عاد فقال : اليس هذا ما تريد الامة على ان تفعله . قلت بلى ، وشيئاً آخر ايضاً ... قلت هذا ، بشيء من العنف . فردد السيد الهاشمي ، وعلى فمه ابتسامة خفيفة ، ناعمة ، كلمتي . وهو يكاد يأكلني بعينيه ، اجل . وانا اريد الامة على ان تفعل هذا « الشيء الاخر » الذي تعنيه او اظن انك تعنيه ، ...

نعم ، اننا في حاجة الى المال ، وفي العرب جماعات غير قليلة ، بين ايديها ثروات طائلة ، يجب ان تبذل منها بسخاء في سبيل المشاريع القومية ، فتعاون الحكومات ، وتراقبها في الانشاء والتعمير ، وفي حاجة الى تحرر ، من كثير من القيود الاجتماعية ، والى كثير من الشجاعة والجرأة ومن الايمان ، عند الشبان العرب المثقفين ، لايجاد القيادة الصالحة المصلحة ، في الامة ، ومحاسبة الحكومات . ودفعها في سبيل الوحدة ولهذه المناسبة احب ان اقول كلمة الى اخواننا السوريين ، المسلمين منهم والمسيحيين ، وهي ان يذكروا ان المسيحيين عرب ، قاتلوا في صفوف العرب المسلمين ، ذودا عن حمى العروبة . يوم هزم العرب جيوش الفرس والروم والحبشة منذ اكثر من الف سنة . وان المسلمين العرب انتقضوا على المسلمين الاعاجم ، وقاتلوا دولة الخلافة نفسها ، ذودا عن حمى العروبة ، التي ليس لمسلم عربي فيها ، مثقال ذرة ، اكثر مما لمسيحي عربي ، وما كنت لاجيء على ذكر مسيحي ومسلم ، في عرض الكلام ، عن العرب واستقلال العرب ، وقد اصبح حتى غير الخاصة في هذا العصر ، يفهمون معنى القومية ، ويعرفون الاسس التي يشاد عليها بناء الاوطان ، ويفقهون حدود الدين .

اقول ، ما كنت لاجيء على ذكر هذا ، لولا ما بعثتـــه في نفسي ، الصحف الاسبانية ، بما كتبته في هذه الآونة الاخيرة ، من المقالات في شأن العرب ، والدم العربي في الاسبان ، والحنين الى العروبة عندهم ، ولولا ما ابداه الشعب الاسباني « العربي » بعد الانقلاب الخطير ، في اسبانيا ، من العطف على ابنـــاء عمه العرب — على حد تعبير الصحف الاسبانية — ومن المفاخرة بانه ، يمت الى العرب بصلة القرابة ، قرابة الدم والنسب ، وقد مضى على انقطاع صلاتنا بالشعب الاسباني مئات السنين » .

وكانت الحماسة ، رغم رصانة السيد الهاشمي ، وجلاله ، وهدوئه ، ترفع صوتها ، بين لحظة ولحظة في نبراته ، بالرغم منه ، وهو يقول هذا القول الصادق المؤثر المثير.

وبهذه المناسبة احب ان انقل الى القراء بعض كلمات ، لامير الشعراء الاسبانيين ـ ابن عمنا ـ « فيلا اسباسا » في هذا الموضوع ، لعل بقية من الحياء في نفوس هولاء الذين « يتفينقون » ـ وفي انفسهم ، ان الفينيقيين ليسوا من العرب ـ و «يتفرعنون» تحملهم على ان يخجلوا ، فيعودوا الى حظيرة العروبة ، مفاخرين ، مطمئنين .

قال فيلا اسباسا يوما، ما معناه . . « ان كل ثوراتنا الادبية ، وربما الدموية ايضا ، القديمة والحديثة ، لم تكن في الغالب غير اثر للروح العربية ، التي تطفر من اعماقنا ، محتجة ناقمة ، لان ابن الصحراء المتمرد الحر ، الذي تعود الهواء الطلق ، في نور الشمس ، لا يقوى على الحياة خلف القضبان المتراصة ، في الاقفاص المظلمة !!»

وقال « ابن عمنا » اسباسا : « ولو انتزعنا بعض الكلس عن جدران اكثر كنائسنا ، لوجدنا تحته ، بريقا ذهبيا ، لاسم الله الاقدس المنقوش بالحروف العربية الكوفية ! وكذلك لو خدشنا بالاظافر بشرتنا الاوروبية الصفراء، لبرز لنا من تحتها ، لون بشرة العربي السمراء !! »

لا فض الله فاك ، يا فيلا اسباسا ، ، وامتعك من دنياك ، وآخرتك بما امتع به، ايام اجدادنا جميعا ، موطننا الغالي « الاندلس » من العز والمنعة ، وطيب العيش الهانيء الرغيد ، تنزل منه الورود والرياحين ، منزلة الندى من الرياحين والورود.

آب سنة ١٩٣١

اوطان وتبادل سكان؟

يقول راسين الشاعر المعروف : « ليس سر الا ويكشفه الزمان . »
ومسألة « الوطن المسيحي » في لبنان ، وان لم تكن سرا ، بالقياس الى ما نعلمه نحن ، من نيات « بعضهم » فهي سر ، بالقياس الى الكثرة الغالبة من العرب ، في مختلف اقطار الدنيا ، حتى في لبنان .وقد ابى الزمان ،الا ان يكون راسين صادقاً وحكيما ، في ما قاله ، فكشف الزمان ، عن هذا السر الدفين ،في ضمائر هؤلاء الذين يزعمون ، انهم رسل الثقافة والتمدين والعلم ، في بلاد العرب .

ونحن اذا حمدنا الله على « نعمة » من « النعم » التي غمرتنا بها .... هـذا العهد ، الممدود الظلال « للاوصياء والمرشدين ! » من ابنائه « البين » فانا نحمده على هذه النعمة الفريدة ، التي ما كنا لنستطيع التحدث بها ، لولا هذا العهد العجيب ...

اتفق فريق من ابناء بلادنا ! ـ ويا للاسف ـ بارشاد الاوصياء والمرشدين ، طبعا ، على ان يرسلوا رسولا منهم الى باريس ، يطالب عـلى المكشوف ، بانشاء « وطن قومي مسيحي ! » في لبنان . وكان الرسول الاستاذ (أ.أ .) وهو رئيس وزارة سابق ـ ويا ليته كان غيره ـ فقام الرجل بمهمته هذه ، قياما ، لم يبق لمرتاب ، في نيات هؤلاء الناس واغراضهم ونفسيتهم ، محلا للريب . وطالب الاستاذ بانشاء « الوطن المسيحي » وتبادل السكان ، في حماسة وجد ، واذاعت الصحف الامر ، فقابله نفر من الناس ، بكثير من الدهشة والاستغراب !!

ويتلخص المشروع بارجاع المدن والقرى والاراضي ،التي سلخها الجنرال غورو عن سورية الداخلية ، الى الدولة السورية ، فينشأ من ذلك ، ان الكثرة الغالبة ، في لبنان ، تصبح للمسيحيين ،ولا يبقى من الملل الاسلامية ، في لبنان ،الا النزر اليسير فترحلهم «الدولة اللبنانية »الى الداخل !وتأتي بالمسيحيين الذين في داخل البلاد او بعضهم ،الى

لبنان ، حيث يتم اقامة دولة ، مسيحية خالصة ،تبعث بانوار ثقافتها اللاتينية الكاملة، الى انحاء المعمور ، وتنشر افياءها المحسنة على العالمين !! شيء جميل حقا ، والاجمل منه ، ان الاستاذ « وليس جهيزة » هذه المرة ، قطع قول كل خطيب ، وعرف الناس في الشرق والغرب ، من هم الذين يشتغلون لتأسيس الاوطان الدينية !!!

ولكن المسيحيين « الارثوذكس » جماعة عرب ، ويريدون اوطاناً عربية ، وليس دينية ، فماذا ترى تفعلون بهم ؟! ان اعادة ما اغتصبته السياسة الخرقاء ، من سورية الى سورية ، امر ،اقل مايقال فيه ، انه خير وسيلة، لضم لبنان غير المزيف ، الى بقية الاجزاء السورية ، في المستقبل غير البعيد . ، وهو امر نحبذه وندعو اليه ، مع علمنا ، بان تصحيح الحدود ، .. يجعل من اخواننا المسيحيين العرب ، اكثرية غالبة في لبنان ، كما يريد الاستاذ ومريدوه ...

ولكننا قوم ، ما تهمنا مسألة الاكثرية والاقلية ، من ناحية الدين ، واننا لنتمنى للاستاذ وصحبه نجحا تاما في باريس ، وفي بيروت ، ونزيد على ذلك اننا نرضى ، بان نعيش اقلية في لبنان ،ونرفض رفضاً باتاً، فكرة تبادل السكان ، ولعل الاستاذ لا يقسو ، الى حد يابى معه علينا ، الا الرحيل !! ..

على اننا من ناحية اخرى نؤكد للاستاذ أ . أ . ومن وراءه ، وامامه ،وفوقه ونحته ، ان لبنان لن يكون وطناً مسيحياً كما يريده هو ، ويريده رجال الاستعمار وعبيدهم البيض . وانه سيكون وطناً عربياً ، كما نريده نحن ، ورفاقنا ، الاعداء الالداء للاستعمار ، نحن السادة الاحرار من يعرب الميامين ، الذين حصنت اسلافهم فخلصت انسابهم . وبيننا فريق من المسيحيين انفسهم، الذين يريد الاستاذ،ان ينشيء وطنا مسيحياً باسمهم ، وهو يجهل خطر هذا الذي يريده ، وعواقبه السيئة على لبنان واللبنانيين اجمعين ، وربما على اصدقائه ايضا ، اصدقائه الفرنسيين ....

آب سنة ١٩٣١

الكلمة الحق ان الدروز مسلمون .

في الدنيا فئة من المخلوقات ، ماتستطيع ان تنكر عليها ، انها من بني آدم ، ما دامت تحمل وجوه بني آدم ، واجسامهم ، وسائر مظاهرهم ، ومادام المقياس الذي يقاس به الجنس ، لم يتفق علماء الدنيا ، وعلماء النفس منهم بنوع خاص ، على انه العلم ، او العقل ، او المعرفة ، او الاخلاق العالية ، اذن فهذه الفئة ، التي تشبه بظاهرها ، جماعات بني آدم ، هي رغم انها تعيش بعقول وقلوب غير عقول بني آدم وقلوبهم ، محسوبة منهم!! وانت مضطر الى ان تخاطبها كما تخاطب بني آدم. وفي جملة هذه الفئة ، نفر ، ما يزال يتوهم ، انه يعيش في القرون الوسطى ، او قرون الجاهلية الاولى ، وما يهتم من امور هذه الحياة ، الا بما تهتم به الحيات من تراب وغير تراب ...

وبعد فلأنفذ الى ما وطأت له بهذه الكلمة : اثار عزم الحكومة على احصاء النفوس ، رغبات مباركة صادقة بريئة ، في ابناء المذاهب الاسلامية الثلاثة من سنيين وشيعيين « ودروز » لتوحيد صفوفهم اسما وفعلا ، وقرروا ان يسجلوا اسماءهم ، في سجلات النفوس هكذا : مسلم سني ، مسلم شيعي ، مسلم درزي . وانني اجهر في غير جمجمة ، ولا احتياط ، بانني كنت من اشد العاملين لتحقيق هذه الرغبات ، في اقتناع واخلاص ، وساظل الدهر اعمل لذلك ، لانني احترم نفسي ، واحترم الحقيقة ، ولانني احب قومي واحترمهم ، ولانني ادعو واعمل للوحدة ، بين ابناء الاديان المختلفة ، في بلاد العرب ، قاطبة ، فكيف لا اعمل لذلك بين ابناء مذاهب ، تعود في الاصل ، الى دين واحد ؟! وانا اعلم ان النخبة المختارة ، الحرة المفكرة المتأبية ، التي تترفع عن الدس ، وعن الاتجار بمصلحة « الدروز » ، النخبة التي تعنى بالشرف والكرامة ، وبمصلحة الوطن ، وعز الوطن ، وحرية الوطن ، تعمل

الذلك في اقتناع واخلاص .

وهذه النخبة ينبغي ان اعلن الناس من هي ، وليسمع بنو معروف خاصة ، وليحكموا ، ولكن قبل ذلك ، احب ان اذكر الناس بان فكر الذين يسمعون كلمة «الدروز» – وما اكثر ما يسمع الناس هذه الكلمة اليوم – ينصرف غالبا ، ان لم اقل دائما ، الى عشيرة من عشائر العرب ، اكثر مما ينصرف الى اهل مذهب او دين.

هذه النخبة المنوعة الموحدة ، ما يختلف اثنان من المطلعين ، بانها تؤلف اليوم من بيتين من الامراء الارسلانيين – «والدروز» يعرفون هذين البيتين – ومن العماديين الا النفر اليسير ، ومن النكديين جميعهم ، وقلائل من آل جنبلاط ، وآل تلحوق ، وآل عبد الملك ، وغيرهم ومن المثقفين ، ومن ندر «الدروز» وفحولهم ، من غير الذين عرفوا امراء ومشايخ ، وهؤلاء جميعهم ، يعترفون في علانية وفخر ، مثل سائر العشيرة بانهم – دينياً من الاسلام ، والى الاسلام يعودون ، وهؤلاء جميعهم ، سيسجل كل واحد منهم ، اسمه في الاحصاء الجديد ، هكذا : «مسلم درزي».

اما الذين يدعون الغيرة على «الدروز» والدرزية ، ويعطون لنفسهم ، وحدهم ، الحق في الكلام ، على مثل هذه الامور ، استناداً الى شرف اسم ، يحملونه ، لم يكن لهم في تشريفه ، من يد – وكان لهم يد في تلويثه – وهم بكم وانصاف اميين ويعاكسون هذا الاتجاه ، ويحاربونه ، جبنا ونفاقاً فهم نفر ضئيل ، وقد عرفهم الناس ، واصحابهم من قبل ، وعرفوا مبلغ اخلاصهم ، لعشيرتهم ، ومبلغ جرأتهم في الدفاع عنها ، او الانتساب اليها !! يوم كان (الدروز) ثائرين على ارباب السلطان وكانوا هم ، ينكرون هؤلاء (الدروز) ويشتمونهم ، ويتجسسون عليهم ، تزلفاً للحكام ، ورجال السلطات من المستعمرين . وبينما كان (الدروز) المسلمون ، يدوسون على الجماجم ، ويخوضون الدماء الى التحرر ، والاستقلال ، كان المدعون الغيرة على «الدروز» اليوم ، يتمرغون على الاعتاب والاقدام ، وما يزالون يفعلون ...

ان هذه الهياكل الخشبية او العظمية الفارغة ، الا من شيء واحد ... تحمل على ظهورها المقفورة ، بجنبها الذل والاستسلام ، «صناديق» شرف صحيح ، في خاليات السنين ، فتعرض هذه «الصناديق» على عيون «الدروز» تزعم انها تستهويهم بها ،

وتقودهم بواسطتها ! ان هذه الهياكل ، تنسى ان صبيان القرى ، انفسهم ، اصبحوا يهزأون بصاحب صندوق « الفرجي » وبزموره ! وانهم ، احفظ لذكر الابطال ، الذين يضع صورهم ، المشوهة امام اعينهم ، واعرف بحقيقة تلك الصور ، واصحابها الحقيقيين ، منه ، وامثاله ، من حملة تلك الصناديق ، الجهلة الوصوليين الاستغلاليين! وان هذه الهياكل ، تنسى انها تحمل على ظهورها ،ما لا تختلج بهقلوبها - اذا كانت لها قلوب - ولا تفهمه ولا تتأثر به ولا تعيه . وان « الدروز » ولا سيا الشباب المثقف المتحرر الابي ، - على قلته - يعرفون هذا ، واكثر منه ، ويعرفه كذلك ويتألم منه ، افذاذ من بني معروف ما يزالون بحمد الله ، ولحسن حظ « الدروز » امراء ومشايخ ، في اقوالهم واعمالهم واخلاقهم ، ونزعاتهم ،وليس باجدادهم فحسب . وان قلوا . فان الكرام لقليل .

اجل ان هذه الهياكل وولدانها ، تنسى هذا كله ، وتنسى اننا في القرن العشرين ، واننا في عصر العلم ، وعصر الجهاد ، في سبيل الحقيقة ، وسبيل الحق ، فيرضيها ان يضحك منها الجبناء ، والمنافقون ، ولكن سراً وفي زوايا «البارات» ، «والقهوات» والدواوين ، والبيوت ، ولا يرضيها ، بل يغضبها ، ان يبكي لها ويشفق عليها ، ويحاول ردها الى الصراط ، ، الصرحاء والمخلصون من كبار العقول والنفوس ، في بني معروف .

البلاغ كانون الاول سنة ١٩٣١

الكلمة الحق ان الدروز مسلمون

— ٢ —

انبثق نور الاسلام منذ الف وثلاثمائة واثنين وستين عاماً ، ومشى ذلك النور في سرعة الوف الكيلومترات في الساعة ، فكان عربياً خالصاً ، وظل كذلك رغم ما اقتبس منه مختلف الاقوام الاعاجم ، عشرات السنين ، وقامت على اضوائه حضارة ، جررت اذيالها في تيه ورفق ، على ثلاثة ارباع الدنيا المعروفة ، في ذلك الحين ، يحميها سلطان عربي ، وعلم عربي ، ومجد عربي ، وعظمة عربية ، وصبغت مظاهر الحياة ، التي ولدتها حرارة ذلك النور وبركته وقوته ، كلها ، بصبغة عربية.

وما كان الاعاجم يرون ، في ذلك شيئاً ، من الغضاضة عليهم ، لما رأوه من عدل الاسلام فيهم ، ومساواته بين العرب وبينهم ، ولما اخذوا به من روعة الدين، وجلاله ، وهو بعد ، دين الفطرة اسما وفعلا ، ورمز الاخاء والمساواة والحق . وبقي الامر كذلك الى ان ضعفت روعة الدين ، في النفوس ، لاسباب ، ليس هذا المقال يتسع للبحث فيها ، فاستيقظت روح القومية ، في صدر الاعاجم ، ومدت الشعوبية رأسها ، بمثل الشهوات السياسية وحب السلطان .

واقسم الاعاجم من المسلمين ، انهم سينتقمون من العرب ، ولو كلفهم ذلك ضعضعة الاسلام،وقد علموا ان عز الاسلام ، بعز العرب ، فما وقع بعدها خلاف في رأي بين مسلمين اثنين ، ألا ونصر الاعاجم ، من يتوهمون ان في نصرتهم اياه ، امعاناً في الشقاق ...

وما سنحت فرصة ، لانشاء مذاهب جديدة ، في الاسلام ،تباعد بين المسلمين ، كثيرا او قليلا ، الا وانتهزوا تلك الفرصة ، متوسلين للبلوغ الى هدفهم ، بوسائل

يغذيها الحقد القومي . ويبررها لديهم هذا الحقد . وهكذا كانت مغالاة الخوارج ، الذين كانوا الفرقة الاولى المنظمة ، تخالف مجموع المسلمين ، وسيلة بعيدة ، من وسائل الاكثار ، من الفرق الاسلامية وتفريق المسلمين ، الى جماعات ، بعد زمن طويل .

ثم اخذت تظهر النعرات السياسية ، يصبغها اصحابها ،بصبغة الدين . حتى ان الشيعة المعتدلين منا - واعني بـ « منا » مجموع المسلمين ، على اختلاف مذاهبهم - الذين يكاد لا يكون اي فرق ، بينهم وبين السنيين ، ما اظن الا انه كان لشيء ، من السياسة بعض الاثر في اجتماعهم ، فرقة على حدة ، وليس عاقل مفكر مطلع ، الا ويقف قليلا ، عند نصرة الاعاجم ،لابي الحسن علي ، امير البلغاء ،وسيد الاتقياء ، كرم الله وجهه ، ويتساءل ، عما اذا كانت ، خالصة لوجه الله ، وآل البيت الميامين ، دون ان يكون للشهوات الزمنية ، يثيرها حقد الاعجمي ، على العربي ، الذي حطم ملكه وسلطانه ، تاثير فيها قليل او كثير ! واشتدت هذه النعرات ، فاشتدت معها المطامع ، والفرس والترك والعجم والكرد ، يذكون نيرانها كيفما اتفق ، حتى استفحل الامر وكاد العرب ، يعودون سيرتهم الاولى ، قبل الاسلام ، الى عصبية القبيلة ! والاعاجم جادون ، في خلق المذاهب ، وتشتيت الشمل ، فظهرت الاسماعيلية والاباضية ، والزيدية ، وغير ذلك ، وخلق الفاطميون (الدرزية) بين سنة اربعمائة واربعمائة واحدى عشرة للهجرة . ، وكان اكثر القائمين بالدعوة ، الى هذا المذهب الجديد ، في الاسلام ، ان لم نقل كلهم ، من الاعاجم كالعادة ، وكانت الاسباب والاغراض بمعظمها ، سياسية زمنية ، وفي جملة الادلة على ذلك ، مما يستوقف فكر المفكر المدقق ،ما تراه من اجلال المذهب الدرزي ، لعظماء الاسلام واركانه ، من صحابة الرسول العربي الامين ، وغيرهم ، من الاعاجم ، خاصة ، وفي مقدمتهم ، سلمان الفارسي ، مثلا ، وما يزري به ، المذهب الدرزي الاسلامي نفسه ، على اعرق دولة عربية ، بل على الدولة العربية الوحيدة الخالصة ، التي قامت بعد الاسلام وهي دولة الامويين ا . « ليس الغرض الدفاع عن الامويين الان » . وقد تعجب لهذا ،

ولك الحق كله ، في ان تعجب ، اذا كنت تعلم ان « الدروز » عرب اقحاح ، ليس في هذه البلاد ، اصح منهم عروبة ولا اعرق نسبا . فانت ترى بعد هذا كله ، مع انني لم افصل ولم اسهب ، ان الفرق الاسلامية ، المتعددة ، على اختـــلاف اسمائها ، اكثرها ، لم يحدثه الدين ، للدين .

وترى ان الفرقة « الدرزية » انما هي فرقة من الفرق الاسلامية ، قد تكون غالت في تشيعها ، وفي فلسفتها الدينية ، ولكنها في كل حال ، فرقة اسلامية ، وليست بوذية ولا برهمية ولا اسرائيلية ولا مسيحية .

اقول هذا تقريرا لحقيقة ، واقعة ، يجهلها ، ويا للاسف ، كثير ، مـــن الذين يعرضون للبحث ، في مثل هذه الامور ، وليس انتصارا لدين ، ضـــد دين ، ولا تعصبا لدين دون آخر ، ولا تكثيراً لفريق ، او تقليلا لفريق ، اقول هذا ، وانما اعتقد اكثر المسلمين « الدروز » او من اكثرهم عدد اصدقاء ، واخوان ، من غير المسلمين ، ومـا افهم لماذا يعتقد البعض ، او يتظاهر بالاعتقاد ، بان المسلم « الدرزي » معنى كونه مسلما درزيا ، يختلف عن معنى كون فـــلان ، مسلما سنيا ، او مسلما شيعيا ، فيما يتعلق بعلاقته مع غير المسلمين ، وبعبارة اوضح ، ما افهم ، لماذا يكون « الدرزي » صديقا للمسيحيين ، ولفئة منهم بنوع خـــاص ، اذا انكر منشأه الديني ، واصل مذهبه الاسلامي ، ثم يصبح عدوا لاصدقائه ، واخوانه المسيحيين ، اذا هو اعترف بالسر ، وفي العلانية ، بهذا الاصل ، وذلك المنشأ . وهـــل ان الشيعي والسني المسلمين ، اقل صداقة للمسيحي ، من « الدرزي » المسلم ؟ حقا ان هـــذا لغريب عجيب !!!

قد يكون « الدروز » بعدوا ، على مر السنين ، عن اساس الاسلام ، اكثر من بعض الشيع الاسلامية ، التي خلقتها السياسة ، ومن ورائهـــا اعاجم المسلمين ، وذلك لاسباب ، معقولة جدا ، ما يتسع المقام لسردها في مثل هذا المقال ، ولكنني اسرد منها : سكنى « الدروز » في مناطق ، لا يسكنها مسلمون غير « دروز » ويسكنها اكثرية من المسيحيين !! وحكم دولة بني عثمان هذه البـلاد ، مئات

السنين ، كانت تعمل في خلالها ، على تفريق المسلمين العرب ، لاغراض سياسية ، يعرفها الجميع ، وُخلق «الدروز» الحربي ، تجسمه البيئة ، والمناطق الجبلية ، فيتعرض « الدروز » لمغاضبة الدولة الحاكمة ، ومحاربتها ، فتفتك بهم ، ويفتكون بها ، وهي دولة ، دينها الرسمي الاسلام ، ومذهب ملوكها السنة ، فيؤثر هذا كله في نفوس « الدروز » ويقوم « اولاد الحلال » من اجانب ، وبلديين متأجنبين ، فيستغلون هذا التأثير ، ويوهمون « الدروز » ان الدولة وانصارها ، انما يريدون خضدشوكتهم وكسر قناتهم ، واستئصال شافتهم ، لانهم ، « دروز » ولان اولئك مسلمون !!

البلاغ كانون الثاني سنة ١٩٣٢

الكلمة الحق ان الدروز مسلمون

٣

عرفت من مقالاتنا السابقة ان « الدرزية » نشأت تحت حماية الفاطميين ، في مصر ، بين سنة اربعمائة واربعمائة واحدى عشرة للهجرة ، بل ان الفاطميين انفسهم، هم الذين انشأوها ، ولكن تحت راية الاسلام ، ولاسباب واغراض بسطناها لك في ايجاز

وعرفت ان « الدروز » شيعة من الشيع الاسلامية ، في اصلها ومنشئيها ودعاتها وحاملي لوائها ، وهي شيعة من الشيع الاسلامية ، في تقاليدها وعاداتها واحكامها ومعاملاتها وسائر مقومات حياتها ، الاجتماعية والدينية ، ويكفي ان نستوقف فكرك ، على عقد الزواج ، الذي هو اساس العائلة ، ورابطة النسب الصريح ، والوثيقة الدينية والمدنية الناطقة بصحة ، (الاصل والفصل) لتقتنع اقتناعا تاما كاملا ، بما ذهبنا اليه من منشأ « الدروز » الديني . ومذهبهم الاسلامي ، وعلاقتهم بالاسلام ، والمسلمين ، على اننا نريد ان نكون صرحاء ، شأننا في كل ما نقول ونكتب ونفعل ، فما نوارب ولا نداجي ، ولا نبدي للناس غير ما نضمره ، لانفسنا في الصدور . لقد قلنا امس ان « الدروز » قد يكونون بعدوا عن اساس الاسلام، الذي هو القرآن . وعللنا ذلك تعليلا صادقا ، ولكن اتريد ان تقول لي ، اية فرقة من فرق الاسلام ، من الشيعة الى السنة الى غيرهما ، ما يزال ابناؤها مستمسكين بكتاب الله ، وسنة رسول الله ! ولم يبعدوا كثيرا او قليلا ، عن اساس الاسلام ! ثم ما لنا ولهذا ، فلنفرض ان « الدروز » من ابناء الاسلام ، هم وحدهم ، الفرقة التي تراخت العرى بينها وبين الاسلام ، بالنسبة لما كان للاعاجم المسلمين ، من يد قوية ، وحركة منظمة ، في انشاء هذه الفرقة ، فهذا لا ينفي كونها فرقة اسلامية ، على ان لها ما ليس لغيرها ، من المميزات ، والاجتهادات والتفاسير .

يتفق كثيرا ان يختلف ابناء اسرة واحدة فيتفرقوا الى شيع مختلفة ، ولكن شيعة واحدة ، ما تجوز لنفسها ـ اذا كانت تحترم اصلها ونفسها ـ ان تنكر اسرتها مراعاة لقوم ، وتقربا الى اخرين !.! فهي تعترف بتلك الاسرة ، وبانتسابها اليها ، وتحتفظ ـ اذا شاءت ـ بطابعها الذي طبعها به الزمان ، فاما ان يبقى هذا الطابع طويلا ، واما ان الموجات الفكرية ، والسياسية ،التي (نقشته) فيما مضى ، يحدث موجات فكرية وعقلية وسياسية بعدها ، تكون بمثابة رد فعل ، لتلك ، فتمحو ذلك الطابع الجزئي وتلاشيه .

نقول هذا ، مع اننا ما سمعنا منذ ان بدأنا نفهم ما نسمع ، من ابوينا ـ ونحن من ابوين درزيين صميمين ـ ولا من غيرهما من ابناء « الدروز المنمعين » مثلهما ، حقاً وفعلا ، ما يدل على ان « الدروز ») غير صادقين ، كما يقول فيهم بعض الفتيان الذين يدعون الغيرة على « الدروز » ،في صلاتهم على الميت ، وفي كتابة ، عقود الزواج وغير ذلك من الامور الدينية ، واذا صح ان في الرسائل الحكمية التي تجمع المذهب ، « الدرزي » والتي اعتمد كاتبوها الاولون ، في ثلاثة ارباعها ، على القرآن الكريم ، ما يدل على ذلك ـ مما لم نطلع عليه ـ وقد اطلعنا على هذه الرسائل ـ ونحن نستبعد هذا الامر ، ونعتبره مستحيلا ـ فلماذا لا يكون الاعاجم ، وعبدانهم ، الذين عرفت كرههم للعرب ، في ذلك الحين ، وحقدهم عليهم ،ورغبتهم في الانتقام منهم ، هم الذين دسوا ذلك الشيء دسا ، بعد انتشار المذهب ، في رسالة ما ، او في جزء ما . من اجزاء هذه الرسائل ، وهي لا تطبع طبعاً ، وانما يخطها النساخ ، بلا قاعدة ولا ضابط ، اي ان كل من خطر له ان ينسخ رسالة ، او جزءاً ، يفعل ذلك من غير مانع ، وان « الدروز » الحقيقيين المسلمين فطنوا بعد زمن ، لهذا الامر فاهملوه ، ولعنوا فاعليه ، واستمروا في اسلامهم ، على مذهبهم الخاص ، وتفاسيرهم الخاصة للكتاب الكريم . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فنحن ما ندعو الى الى محو طابع « الدروز » وملاشاته ، اي الى ان يترك « الدروز » مذهبهم ، ويندمجوا في السنيين ـ وهم شيعيون في الاصل ـ وما دعا احد الى ذلك ، فيما نعلم ، وهذا امر دقيق ، يتعلق باقتناع المرء ، بينه وبين نفسه ، وبينه وبين عقله

ووجدانه .

وانا نحن نثبت استنادا الى التاريخ والواقع ، الى الماضي والحاضر ، ان « الدروز » مسلمون . ولعل في جملة الاسباب ، التي حملت بعض « الدروز » على الاعتقاد بان المقصود دمجهم في السنيين ، ذلك الخطأ المشهور المكروه ، وهو اطلاق كلمة مسلم ، ، قولا وكتابة ، على السني وحده ، حتى بات من المعروف غلطا ، ان كلمة مسلم ، المراد بها السني فقط ، كأن (الدروز) والشيعيين غير مسلمين ، وحتى غدا الناس ، مسيحيهم ومسلمهم ، يتوهمون ذلك او يقولونه على الاقل ، في قولهم : مسلم ومتوالي ودرزي ، وغفر الله للتارك والمتاركين ! على ان السنيين انفسهم ، ادركوا هذا الخطاء وقبحوه . ، واصبحوا يسمون الشيعيين والدروز والسنيين ، مسلمين .

وانه لما يؤلم ، ويثير النفوس حقاً ، ان يقوم بعض الغلمان « المتعلمين » والغلمان الكبار الاميين ، من المنتسبين الى العشيرة « الدرزية » فيتهموا العشيرة وخصوصاً مشايخها الدينيين ، بالكذب والرياء ، اكراماً لنكرات ، ما يفهمون من الدين ـ والدين مكارم الاخلاق ـ ومن الحياة ـ والحياة حرية وخير وعظمة وسيادة ـ سوى ان يكونوا مستخدمين او موظفين ، وان يملاءوا من « الطبيخ » اجوافهم الواسعة ، ويتيهوا على الضعفاء والساذجين ، كيفما اتفق ، ثم ينكرون اصلهم ، وينكرون التاريخ ، وينكرون الحقائق العلمية . ويكفرون بمصلحة عشيرتهم وامتهم نزولا عند رغبة امثال هذه النكرات ، ونكرات اخرى ، تزعم ان في كتابة كلمة « مسلم درزي » عداء للمسيحيين ، والفرنسيين ، وضياعاً لحقوق الدروز المسلمين !.

اما ان يكون في كتابتنا مسلم درزي ، على وتذكرة النفوس عداء للمسيحيين ، من ابناء بلادنا ، فهذا امر يهمنا كثيراً فعلا ، ولو كان صحيحاً ، ان المسيحيين ، يعتقدون بذلك وكان ذلك حقيقيا ، لافنينا العمر ، تداركا لهذا العداء ، من غير ان ننكر منشأنا الديني ، واساس مذهبنا ، الذي هو الاسلام ، ولكننا نعلم ، ان الذين يقولون هذا القول ، لا يؤمنون به . وهو قول ، له مدلولان ، مختلفان ، باختلاف قائليه ،

فحينما يقوله ، « الدروز » يحقرون المسيحيين دون ان يشعروا ، وحينما يقوله المسيحيون ، يضحكون من هؤلاء « الدروز » دون ان يشعر هؤلاء ! والحقيقة ان احدا من المسيحيين « والدروز » الشرفاء المخلصين ، الذين يحترمون الحقيقة ، ويحترمون نفوسهم ، لا يقوله . واننا نربأ بهذا القلم ، عن التمادي في تبيان فساد هذا القول ، وحقارته ، احتراماً لعقول ذوي العقول ، من المسيحيين وغير المسيحيين .

واما ان يكون في كتابتنا تلك ، عداء للفرنسيين ، فهو قول وان كان وصفنا القول الاول ، ينطبق عليه تماماً ، ولكنه ما يهمنا منه ، من شيء ، وليعتقد الفرنسيون ، وغيرهم ، من القائلين به ، بصدقه ، او كذبه كما يشاءون ...

بقيت مسألة المسائل ، في نظر الكسالى والخاملين من « الدروز » والذين ما يستطيعون ـ وهم انما يعيشون ليأكلوا ولا يأكلون ليعيشوا ـ ان يخلقوا لنفوسهم شخصية محترمة ، باعتمادهم على انفسهم ، لما في هذه الانفس من الاسترخاء ومن الفراغ الا من اشياء ... وهي مسألة الوظائف ! وهؤلاء ، يقولون ، ان كتابة : مسلم درزي ، على « تذكرة النفوس » تضيع حقوق الدروز !!!

وكيف يكون ذلك يا جماعة الحقوق ، والمحافظين على الحقوق ؟! ان الانتساب الى الاسلام ، اساس مذهبكم ، لا يعني زوال هذا المذهب ، ما دام اسم المذهب ، موجودا ، على تذكرة النفوس فمثلكم مثل الشيعي ، والسني ، كلاهما مسلم ، ولكل منهما مذهب ، ولكل مذهب نوابه ووظائفه ... بفضل اصحاب الفضل المخلصين ؟؟ ومثلكم مثل الماروني والارثوذكسي والبروتستنتي والكاثوليكي ، كلهم مسيحيون ، ولكل منهم مذهب ، ولكل مذهب وظائفه ونوابه ... « لا يشلح احد احدا شيئاً !... »

وهذا دستور « الجمهورية السعيدة » السليم ، قد وزع الوظائف ، والنيابات ؟ وعبر « النيابات » على المذاهب الدينية ، وليس على الاديان ، يعني انه لم يكتف بالقول ، ان حق المسيحيين هو كذا وكذا ، وحق المحمديين كذا وكذا . لا . بل خصص وقال : حق الموارنة والروم والكاثوليك « والدروز » والشيعيين والسنيين ، اذن ، فلا خوف على ضياع حقوق « الدروز » فماذا يقولون ؟!

ماذا يقولون ؟ انهم لا يقولون شيئاً يقال ! وماذا تريد ان يقولوا ، فليس لهم من

حجة ! ولا يدرون ماذا يقولون ! بلى انهم يقولون : « ما بدناش نزعل النصارى والفرنساوية » ويقولون : « ما منقبلش ، بحيث* ما بدنا نمشي ورا زيد ، وعمرو ، وليش ما شاورونا ! »

أرأيت ، لماذا لا يقبل هؤلاء الذين يزعمون ، انهم يحافظون على حقوق الدروز ؟ ان يسجل الواحد منهم نفسه « مسلم درزي » في سجل الاحصاء !

أرأيت ، لماذا لا يقبل ، هؤلاء الابطال الفحول ، الذين يموتون في سبيل وظيفة او نيابة ، تقرير حقيقة دينية تاريخية واقعة ثم يتكلمون عن مصلحة الدروز ! ! !

الا فاحترموا نفوسكم ، واحترموا النصارى ، واحترموا قومكم ، ايها الصرحاء الجريئون ... المخلصون ...

وبعد هذا وذاك ، فسنحاسبكم - وقد تمت عملية الاحصاء الآن - على دفاعكم عن حقوق « الدروز » وعلى خدماتكم « للدروز » نوابا كنتم ام موظفين ، ولا نقول على خدماتكم للوطن ، فهذا شيء ما تأتونه ، ولا تعرفونه ، ومن الغريب ان لا تدعوه . وسنصرح بالذي جبنتم عن التصريح به ، من غير ما نظر للكثرة ، او للقلة ، فيما يتعلق بكتابة « مسلم درزي » ، او انكم تسكتون .

كانون الثاني سنة ١٩٣٢

الكلمة الحق ان الدروز مسلمون

٤

كنت اعد مقالي الرابع في موضوع الاحصاء والطوائف الاسلامية ، حينما دخل علي زائراً ، في مكتبي ، الشيخ فريد بك العماد ، صاحب المقالة المنشورة في جريدة « العهد الجديد » منذ ايام ، والموقعة بامضائه الصريح ، مضافاً اليه « المسلم الدرزي » هكذا : فريد العماد « المسلم الدرزي » فرحبت بالسيد الكريم ، واستقبلته بما هو اهل له ، من التجلة والتكريم . وكان طبيعياً ان يحدثني ، فريد بك ، في الموضوع الذي كان له الفضل الاول . في الكتابة فيه ، وان يبدي غضبه من جهة ، وأشفاقه من جهة اخرى ، على اولئك الذين خالفوا مجموع بني معروف ، وركبوا رؤوسهم ، او بالحري لم يركبوا شيئاً ، لانهم ما يستطيعون حتى ركب رؤوسهم ... ،وراحوا ينشرون في الضعفاء والساذجين ، اشاعات ودعايات هازلة ، حقيرة ، وكاذبة ، ليحملوهم على النزول عند ارادة دعاة التفرقة ، وجماعات النفعيين .

وافضى الي الشيخ فريد بك العماد ، وهو صادق ، بامور لو استباح لنفسه ، او استبحت لنفسي نشرها ، لوضع قوم اصابعهم في آذانهم ، ومعاطفهم ، على رؤوسهم وحنوا ظهورهم . وركضوا ، ما يلوون على شيء ، اختفاء عن اعين الناس ،واظنهم سوف يفعلون .

ثم تناول الشيخ فريد بك العماد ، ورقة من جيبه بسطها امامي وقال ، هذه كلمة في موضوعنا انشرها حيث تشاء . والسيد العمادي، رجل عدا انه ، من اعرق اسر بني معروف ، واكرمها واشجعها ، فهو منشيء ، من بلغاء المنشئين . ورأيت ان الادب يقضي بتقديم مقاله ، فقدمته . على ان ينشر مقالي الرابع في عدد غد (١)

وهذا مقال لم اعثر عليه

مقال فريد بك

قل من لم يقرأ ، ما كتبته قديما ، في جريدة الصفاء الغراء ، بشأن احصاء النفوس الذي مضى ، وعرضي على المفكرين الالباء ، من بني معروف ، قضية قيد اسمائنا ، على تذاكرنا (مسلم دوزي) وما كتبته منذ عشرة ايام تقريباً ، في جريدة العهد الجديد الغراء ، بهذا الصدد ايضاً ، فاحسبني اول من خاض في هذا الموضوع ، اذا لم اكن اول المفكرين فيه ، على انه سواء لدي ، كنت السابق او المسبوق ، والتابع او المتبوع ، لانني لم اعرض للانظار ، والافكار ، امراً غريباً . او مبدأ جديداً ، ولم ارشد بني قومي الى شأن كانوا يجهلونه ، او يضلون السبيل اليه ، فيكون لي فيه فخر السابق ، او فضل الهادي ، فالفكرة قديمة العهد ، طويلة العمر ، تعتلج في نفس كل درزي ، يؤمن بالوحدانية ، ويصدق بالرسالة المحمدية ، ويعرف حقيقة دينه ، واصل مذهبه ، ومرجع عقيدته . اريد ان اقول ، انه لم يكن لي بتلك الفكرة ، اجـر العامل ، ولا وزر الاثم ، فاتوخى ثوابا ، او اخشى عقـابا ، ولكنني كنت ثلج الصدر ، ساكن النفس ، لجهادي في شان ، اعتقد ان فيه خيراً لي ، ولقومي ، وليس بكاذب قومه ، ولا بغاش نفسه ، ولا مارق من دينه من يكتب للناس عقـائده الصادقة ، التي تتصاعد من اعماق نفسه ، خالصة ممحصة ، غير مشوبه ولا مريبـة . ولكنما الكاذب المنافق من يكتب خلاف ما يعتقد ، ويظهر غير ما يضمر ، ويسير بالناس ، في مزلق منحدر ، لا تثبت فيه الاقدام ، ولا يؤمن الزلل ، ليشقيهم في سبيل سعادته ، ويميتهم في حفظ حياته . هذه توطئة لمكالمة ، دارت بيني وبين احد النبلاء ، ضمني واياه مجلس يوما ، فقال لي . قيل انك تقاضيت بعض الناس ، خمسين ليرة عثمانية ، ثمنا لما كتبته في الجرائد ، فيما يتعلق باحصاء نفوس « الدروز » وقيد اسمائهم على تذاكرهم . وقال هذا غير آبه ، لما تركه في نفسي من الاثر ، والالم الوقع ، فقلت وقد برزت سورة النفس ، من مكمنها ، اني لاسف ، وقد ، نيفت عـلى الخمسين ، من عمر قضيته نزيه النفس ، طاهر اليد ، ذهابا بكرامتي عن مظان الشبه ،

والريب ، عازفاً بها عن مواطن التدني والتسفل ، ثم لا ارى لي في النفوس – مهما تمادت اغراضها واهواءها – من حسن الظن ، ما يحول بينهم وبين انزالي ، منزلة الادنياء ، الذين يبيعون عقائدهم وضمائرهم ، بدريهمات لا تسمن ولا تغني من جوع واني لا ادري بمن استحق هذا البدل ، وفيم استحقه ، امن السنيين ، وهم لا يرون بينهم وبين الدروز ، فروقا مستعصية ملتوية ، عـلى جهود المصلحين المرشدين ، فيمنحوني اجرا على ازالتها ، والاتيان عليها ، ام من الدروز ، الذين يتـلون في غدواتهم وروحاتهم ، آيات القرآن الحكيم ، مؤمنين مصدقين ، ويرددون قولهم في الصلاة على جنائزهم (معكم شهادة مسلم مؤمن من اهل الشهادة والايمان) خالصاً من شوائب التزلف ، الذي يبعد عن خلق الدرزي القح ، بعد الارض عن السماء ، بدون ان يسالهم ذلك سائل او يريدهم عليه مريد ، .

فاذا كان ذلك كله ، غير كاف ، لازالة تلك الفروق الضئيلة ، وكان لا بد لها من مزيل ، يشحذ قريحته ، ويرهف يراعه ، مأجور فذلك الانسان ، غيرنا ، نحن الذين نكتب ، مقتنعين مؤمنين ، وتلك الاقلام غير اقلامنا ، التي لا تصر الا في سبيل الشرف والحقيقة .

وبعد ، فاني اعلم ، انهم يعلمون من امري ، خلاف ما يقولون ، ولكنما شاءت سياستهم (المقومة) ان يفندوا راينا ، ويصرفوا عنـه ، ذوي النفوس الضعيفة ، والعقول الساذجة ، فقالوا ما قالوا ، بما لم يتقوا فيه ربهم ، ولم يرحموا ضمائرهم ، وكان الاجدر بهم ، ان ينقضوه بالحجج الدامغة ، والبراهين الناصعة ، لو كانوا يستطيعون فها انا ذا قائل لهم ولاشياعهم ، اني اربأ بنفسي وفضائلها ، وقلمي ونزاهته ، عن ان اقابلهم على شائعاتهم ، بمثلها ، ولكني اذكرهم بقول القائل (ان الليالي من الزمن حبالى ...) فمن لهم بألا تفاجئنا الاقدار ، او تداهمنا الخطوب ، بما يوقفنا جميعا ، موقف الدفاع والنضال ، عن حق او ذمار ، يتجلى فيها ذلك الغيور النبيل ، الذي يذود عن حياضه ، ذياد الكريم عن عرضـه ، والاسد عن خيسه ، وذاك الجبان المنافق ، الذي يضن بدرهم من ماله ، او ساعة من ساعات لهـوه ، وغزله ان تنفق

في سبيل المجد ، والشرف ، والامة والوطن ، وقائـــل لنفسي ، لا يحزنك ولا يزعجك ، ان ترى بعض الناس ، يحاولون النيل من فضائلك او الغض من سجاياك ، فالشرف الراسخ ، كالطود الشامخ ، لا تؤثر فيه الشائعات ، ولا تبلغ منه النكايات ، ونحن في السراء والضراء مسلمون دروز .

كفرنبرخ الشوف　　**فريد عماد**

شباط سنة ١٩٣٢ .

خير ان شاء الله

ما ابحنا لنفسنا ان نعلن اقل شك ، بالحركة التي كان جبل لبنان ، والساحل ، مسرحا لها منذ ايام ، حركة « بندرول ومونوبول » . ولم نجوز لقلمنا ان يكتب كلمة واحدة ، يستطيع ان يستغلها استغلالي ما ، للتفريق بين ملة وملة او لتضليل فئة من الفئات . وقد شجعنا غبطة بطريرك الموارنة الجليل ، على المضي في عمله ، اعتقادا منا ، بان فيه شيئا من الخير ، ويعلم القريب والبعيد اننا دعاة شيء غير (البندرول والمونوبول) ، هو التحرر ، والوحدة ، والاستقلال . ومع ذلك فقد قلنا ، ان برقية البطريرك ، عن طريق حيفا ، الى الوزارة الخارجية الفرنسية ، عمل حسن ، ونكرر هذا القول . ونذكر ويذكر معنا القراء ، اننا حينما روينا خبر حركة البطريرك الجليل ، وما اتصل بها من حوادث ، تمنينا ان يدوم هذا الشعور ، بالحيف الواقع على البلاد ، فيفضي الى عمل منظم مستمر ، يتناول ما هو ابعد ، واوسع مما يشتغلون فيه اليوم ، وقد تمنينا ذلك ونحن ابعد الناس عن الرضى ، بزعامة مقام ديني ، مهما يكن من لونه وشانه ، في الميدان السياسي ، فاذا خطر لناس ، ان يستغلوا موقفنا ، الدال على الرغبة في الخير ، للبلاد ، فانهم مخطئون ، وحالمون ، فنحن نعتبر قضية المونوبول ، وما شابهها ، على خطرها ، قضايا ثانوية جداً ، بالنسبة الى القضية الاساسية العامة . ولكننا ما نستطيع ان نقول لواحد من ابناء بلادنا ، اياً كان ، يشتغل لينفع بلاده من ناحية ما : دع هذا العمل ، فهو لاقيمة له ، واننا نقاومك في عملك هذا الطيب ، لانك لست معنا ، في اساس قضية البلاد ، او لان النفع الذي يرجى للبلاد ، من هذا العمل نفع ضئيل . كلا ، اننا لا نفعل هذا ، ذلك بكل صراحة ، لكي نعطي مثلا على حسن نيتنا ، من جهة ، ولكن لا يستغل الاستغلاليون ، من الذين لا يهمهم امر سيادة البلاد ووحدتها ،

معاكستنا للعمل الطيب ، لانه ضئيل ، من جهة اخرى ، فالعمل الطيب ، اياً من كان الذي يعمله ، ومهما يكن شأنه ، ومقداره ، فنحن نسميه باسمه ، ونحبذه ونشجعه .

وبعد فهذه اجتماعات تعقد ، ومقابلات تقع ، المقصود منها ، كما يقول الخبيرون « ازالة سوء التفاهم ، الذي حصل في الاونة الاخيرة ، بين البطريركية المارونية ورجال السلطة » !! فاذا كانت كل حركة من جانب المقامات الاكليريكية ،صغيرة كانت ام كبيرة ، يكون فيها شيء من الرغبة ، في المحافظة على حق من حقوق البلاد، يكون سببها « سوء تفاهم » شخصي ، يزول بزيارة او اجتماع ، سواء أحصلت البلاد على هذا الحق ، ام لم تحصل عليه ، فما يكون الداعي ، الى مثل هذه الضجات ، وما يكون معنى التطبيل والتزمير في مثل هذه الحال ؟ !!

شباط سنة ١٩٣٥

شركات الاستثمار ؟

قامت في هذا البلد ، ضجة حول نظام « المونوبول » لم تبق مجهولة من احد ، والذي نحسبه ان هذه الضجة ، لم يقم بها زيد ، وعمرو ، ومن شايعهما من الاهلين ، رغبة في التسلي ، او قتل الضجر ، المستولي على العاطلين من العمال ، ولا حبا بالظهور ، وبعد الصيت ، يقومان على طبل فارغ ، استغلالاً للاشياء والاشخاص ، وانما قامت الضجة ، رغبة في دفع حيف ينزل باهل البلاد ، من العمل بنظام احتكار الدخان . لان هذا الاحتكار ، كما يقول الاختصاصيون يضر بزراع الدخان ، وصناعه وتجاره ، ويحرمهم موردا من موارد العيش ، قد يكون هو موردهم الوحيد ! هذا حسن . ولكن ما قول هؤلاء الذين ملأوا البلاد ، ضجيجاً واحتجاجاً ، على المونوبول ، في الاحتكار الجديد ، غير المباشر ، الذي تفرضه « شركات الاستثمار » ، بواسطة السلطة الفرنسية ، عن طريق الضريبة الجديدة على سيارات النقل لمصلحة شركة السكة الحديدية ، وسيارة النقل مورد رزق وحيد لفريق كبير من ابناء البلاد ؟ اتكون شركة السكة الحديدية ، خيرا من شركة الدخان ؟ !

نشرنا امس خبرا جاءنا به مندوب الجريدة بعنوان « حسن نية ... » هذا ملخصه : (وضعت المفوضية ضريبة جديدة ، قدرها اربعمائة ليرة سورية ، على كل سيارة نقل ، تسير على الطرق المحاذية « للسكك الحديدية » كطرق بيروت دمشق ، وطرابلس — حمص — حماه — حلب الخ ...) !! فما معنى هذه الضريبة ؟ وما هو الغرض من اثقال كواهل اصحاب سيارات النقل ، بهذا الحمل الثقيل الجديد ؟ اومن هو صاحب السيارة ، الذي يستطيع ان يدفع هذا المبلغ ٤٠٠ ليرة ، ضريبة تنعم بها السلطات ثم تتوفر له ، بعد ذلك اسباب العيش ، ايجوز ان يفسر هذا كله برغبة السلطات القائمة ، في حماية الشركات الاستثمارية الاجنبية ، على اختلافها ، وتسهيل سبل

الاثراء لها، على ظهر هذا الشعب الصبور ، المسكين ، المحكوم عليه بالموت ، ماديا ومعنويا ، ليس لذنب سوى انه صبور ومسكين ؟!

والا ، فليفسروه لنا تفسيرا اخر ، نأخذ به ، لئلا يكون تفسيرنا نحن ، سببا من اسباب تعطيل الجريدة ، التي نكتب فيها ، والتي يرغبون كثيرا ، كما يقول طوال الالسنة وسيئو الظن ... في تعطيلها !

قد يقولون ، ان المسألة راحت في حسن نية ... لان بازاء جماعة المسرفين في سوء الظن ، جماعة اخرى ، قد تكون اكثر عـــددا ، تعتقد بحسن النية ... او تتظاهر ، لامر ما ، بهذا الاعتقاد ، فاذا صح ذلك ، ونريد ان نخطيء ، ويصح ، فليتفضل جماعة حسن النية ، بمراجعة السلطات ، في امر هذه الضريبة الجديدة ، حتى اذا وفقوا الى حملهم على الغائها ، دفعوا غائلة الجوع عن مئات العائلات ، من ابناء البلاد ، وكسبوا انصارا غير قليل عددهم ، لهم ولمن يماشيهم ، في الاعتقاد بحسن النية ! وفقأوا حصرما ، في عيون جماعة سوء الظن ، المسرفـــين ، والمشاغبين ، امثالنا ...

شباط سنة ١٩٣٥

النواب ورجال الوطنية !

طلعت جريدة « الايام » الغراء ، على القارئين ، بنشرة ممتازة ، او كما يقولون ، بعدد ممتاز ، كان ممتازا فعلا ، بما فيه من آثار بينة ، لجهود كبيرة ، تستحق كثيرا من الاعجاب والاحترام ، ولا سيما من الناحية الفنية ، ...

وقد استوقف نظرنا ، وفكرنا ، بنوع خاص ، في نشرة « الايام » الممتازة ، صفحات اربع : الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة . اتعلم ما في هذه الصفحات؟ ان فيها اراء نواب البلاد ، « ورجال الوطنية» فيها ، في حل القضية السورية ! !

وقبل ان نقول كلمة واحدة في هذه الاراء ، التي لولا معرفتنا بما يربط صاحب « الايام » باكثر اصحابها ، من روابط حسنة . واعتقادنا ، بحسن نيته وطيب قلبه ، وباخلاصه في فكرته بنشر هذه الاراء ، لجزمنا في غير شيء من التردد ، بانه انما قصد الى تزييف اناس والسخرية من آخرين !! ...

قبل ان نقول كلمة واحدة ، في هذه الاراء ، نريد ان نلاحظ ، ان عرضها في هذا الشكل ، سيكون سلاحا ، بين عقلاء الساسة ، وخبثائهم ، من الفرنسيين ، وغير الفرنسيين ، يحاربوننا به ، في غير جهد ولا عناء ، وفي كثير من الاغتباط الصامت ، والشكر والامتنان .. ذلك ان الرجال ، الذين تضع المقادير على اكتافهم عبئا سياسيا ما ، في شعب من الشعوب ، ولا سيما المغلوبة على امرها ، ويكونون حزبا معينا ، او كتلة معينة ، وتدرج السلطات على اعتبارهم ، ممثلين للكثرة الغالبة ، من هذا الشعب ، ويشعرون انهم مسئولون ، عما يقولون ويفعلون ، يصح ان يبدي كل منهم رايا ، قد يخالف رأي رفيقه ، في غرفة كثيفة الجدران ، مغلقة الابواب ، وليس على صفحات جريدة ، يقرأها الوف الناس ، حتى اذا اختلفت الاراء ، تقوم المناقشة العاقلة من جهة ، والحكمة في التوحيد والحزم ، من جهة

اخرى ، تسوقان هذه الاراء ، الى دائرة واحدة ، وتقربانها بعضها من بعض ، فاذا هي في النهاية ، ما تنكشف الا عن رأي موحد ، صحيح سليم ، تجهر به الجماعة السياسية المسئولة ، فيصدع صدعا . ولعل دولة الرئيس الجليل السيد الاتاسي ، اراد ان يشير الى هذا ، في جوابه الحكيم ، المملوء بالتذكير والتبكيت ... والذي يمتد فيه رنين الجرس ... يدعو الى النظام ، والجد ، والعمل الصحيح ، والى الانصراف عن الفوضى ، وعن التطبيل والتزمير ...

اما الاراء نفسها ، مع احترامنا الشخصي الجزيل ، لاصحابها الاجلاء ، فنحسب ان ليس في واحد منها ، ما يصح ان يكون جوابا عن سوأل «الايام» الغراء ، نستثني من ذلك اراء السادة : الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، وعبد الحميد كرامي ، وزكي الخطيب . وراي السيد سعد الله الجابري ، اذا كان قصد فعلا ، الى ما فهمناه من عبارته الاولى ، منه ، وهي : « ارى ان هذه الجملة ، قد اصبحت مبتذلة ، لانها ترددت كثيرا ، منذ خمسة عشر عاما ، دون ان يكون لها اثر فعال » ...

ايريد السيد الجابرى ، اصلب رجل بوطنيته ، عرفناه في الداخل ، ان كثرة القول ، في القضية السورية وفي حلها ، لم تكن بنفسها قوة ، او انها لم تخلق قوة ، تصلح ان تكون عاملا فعالا ، لحل هذه القضية ، وان القضية ، قضية قوة وضعف نسبيين . اذا كان هذا الذي قصد اليه ، فنكون قد اصبنا ، بوضع رأيه ، مع الاراء الثلاثة التي ذكرنا .

اما ان بقية الاراء ، ما يصح ان يكون واحد منها ، جوابا على سؤال «الايام» فالتدليل عليه هين . تسال « الايام » عن الرأي ، في حل القضية السورية ، وليس عن شيء آخر ... فهي لا تسأل الناس وخصوصا النواب « ورجال الوطنية » عما فعلوا ، وقالوا . وعما حل بهم من سجن ونفي وفقر وافلاس وغير ذلك ...

وانما « الايام » تسال عن افعل الاعمال ، او التدابير ، والمناهج ، التي يجب ان ان يأخذ بها ، العرب السوريون ، لحمل الفرنسيين ، على النزول عند ارادة العرب السوريين ، العادلة الحق ، في الوحدة والاستقلال . لان الوحدة والاستقلال ، لسورية ، ضمن نطاق المجموع العربي ، هو الامر الوحيد ، الذي يعتبره غير العبيد

وغير الاستغلاليين والمشعوذين ، والجبناء ، والضالين ، حلا للقضية السورية .

هذا ما نفهمه من سؤال « الايام » الغراء ، وهذا ما شاءت ، على ما نظن ، ان يفهمه ، من سوآلها ، النواب (ورجال الوطنية) . نقول هذا ، لاننا نحترم عقل « الايام » ، ونحترم عقلنا ، ولاننا نأبى الالتجاء الى اللف والدوران ، والتضليل والمداجاة .

وما نشك ، في ان فريقاً من الذين ابدوا اراءهم ، في ما سألت عنه « الايام » تألموا ، بعد ان قرأوا مجموعة الآراء ، المنشورة في « الايام » كما نتألم ، وشعروا بالحاجة القصوى ، الى التنظيم كما نشعر ، اصلحنا الله جميعاً ، وبعث في نفوسنا حب الخير والجد والنظام والكبرياء القومية ، وبصرنا بعواقب الامور .

الرائد ايار سنة ١٩٣٥

وهذا رأي جديد فيه قوة

قلنا في الآراء التي ابداها نواب و « رجال وطنية » في البلاد ، ونشرتها جريدة « الايام » الغراء ، في نشرتها الممتازة الصادرة في ١١ — ١٢ من شهر الناس هذا ، والتي اطلقت عليها « نشرة الربيع » او عدد الربيع ، كلمة نشرتها هذه الجريدة المحترمة « الرائد » .

وما نتردد في القول ، باننا كنا نود ان تنشر « الايام » كلمتنا تلك او « الجزيرة » باعتبار انها اوسع انتشاراً واكثر قراء . وانها تقعان بين ايدي الذين ابدوا تلك الآراء ، اكثر من غيرهما من الصحف ، ونحن ، انما كتبناها لهؤلاء السادة ، قبل غيرهم من القراء ، على اننا ، لا نجوز لنفسنا ، لوم الجريدتين الكبيرتين المحترمتين فقد يكون لهما ، عذر لا نعرفه ... او نعرفه ...

بيد ان من تلك الآراء ، رأياً ، يجدر بنا ، ان نتولى شرحه للناس ، فقد جاء مقتضباً مبهماً ، على ما فيه من قوة ومن ايمان ظاهر وانه في الواقع لرأي خطير ، من حقه ان يرتفع فوق الآراء التي ذكرنا اصحابها في نشرة « الرائد » الماضية ، وقلنا انها وحدها كانت جواباً عن سؤال « الايام » الغراء .

والى القراء هذا الرأي الذي ادلى به صاحبه في تردد واناة — كما يفهم من كلام « الايام » :

« ان حل القضية لا يكون بالاراء ... ان الحل الحقيقي لقضية سورية ، بعد الذي شاهدناه ، حتى الآن من الاعمال والدعايات ... هو ان يعلن السوريون استقلال بلادهم التام ووحدتها الشاملة » .

وهذا رأي ! فكيف لا يكون حل القضية بالآراء ؟ ! على انه في الحقيقة ، رأي ليس كبقية الآراء ، والذي نفهمه ، من هذا الرأي ، ونريد ان نشرحه للناس ،

ونحن نرجو الله ،ان لا نكون ، مخطئين ، فتصدمنا الخيبة، هو هذا :

ليجتمع ارباب الحل والعقد ، من العرب السوريين في مؤتمر سري ، او علني .. ويقرروا وحدة بلادهم ، واستقلالها ، في تصميم وحزم . ثم ليمشوا الى مراكز السلطات جميعها ، فيتسلموا مقاليد الاحكام ، ويرفعوا على المباني الرسمية ، كلها ، الاعلام السورية ، العربية ،التي اقترحتها الجمعية التأسيسيةعام القوة والاتحادوالوطنية الصادقة . ، ويعلنوا الدنيا ، تأليف حكومة عربية سوريةمستقلة ، فاذا الدنيا كلها ، تجاه امر واقع ، يبرره الحق ، وتحميه القوة الصالحة ، العاقلة العاملة ، واذا الشعب السوري – باسره – الذي تكون هذه الحكومة ، قد تأسست على اكتافه – يملأ الدنيا ، بعواصف الهتاف الحماسية الجنونية ،في صدق وايمان واخلاص ، للذين قرروا فنفذوا،فحكموا

هذا الذي يفهمه الناس ، في بلدان الناس ، من هذا الرأي الخطير . فهل هذا هو الذي قصد اليه صاحب هذا الرأي ؟ !! فان كان هذا ،فنكون قد ساوينا الناس في بلاد الناس ... والا فنكون نحن ، نحن وحدنا ،الذين لا نفهم اسرار الحكمة ، في مثل هذه الآراء ... ويكون اعتراضنا عليها ، من قبيل الجهل والفضول .... وليذكر اخواننا اهل الوطنية والحرية والاستقلال ، – ذكرهم الله بالخير – اننا لم نبد في الامر رأياً ، لان القضية لا تحل بالآراء ... ولان المضطرب،الذي تضطرب فيه احلامنا واماننا ، وتفنى فيه جسومنا ونفوسنا ، فيه خيال،وفيه جنون ... على رأي بعض العقلاء !! والقضية تحتاج الى حقيقة والى عقل ، فيوم المجانين لم يأت بعد...

الرائد ايار سنة ١٩٣٥

شباب !!!

اذكر انني كتبت في مجلة « الفجر » التي كانت تنشرها في بيروت ، الآنسة الاميرة نجلا ابو اللمع سنة - ١٩٢٢ - مقالا بعنوان « التضحية والشباب » قال فيه الناس يومئذ انه مقال عنيف ، وانه مقال خيالي ، تثور فيه روح كاتبه ، فاذا هو يتوهم ، انه يمزق حجب الغيب تمزيقاً ، ليضع تحت انظار بني قومه ، وبين ايديهم المستقبل الذي ينتظرهم ،واقعاً سامياً عظيما عزيزا محمي الجنبات. واذكر مما قلته في مقالي ذاك ما معناه : ان الشباب المؤمن حقاً ، تمشي الرغبة في التضحية لاجل المثل العليا ، في دمه ولحمه وعظمه ، يستحيل ان يثنيه عن التضحية ، ايغاله في السنين ، او ايغال السنين فيه ، ذلك ان هذا الطراز من الشباب ، انما تتدفق قوى الشباب فيه ، من قرارة نفسه ، فتغمره غمرا ، وان نفسه لمتصلة بمعين لا ينضب ، انها لمتصلة بالامة جمعاء ، بل بالانسانية جمعاء . والفرق بين هذا الشباب ، والشباب السادر ، الطاعم ، الكاسي ، المخنث المائع ، الذي لا يعرف ماضيه ، فيقطع ما بينه ، وبينه ، من صلة ، ولا يعنى بمستقبله ، فلا يعد له عدة ، كالفرق بين الدوحة الضخمة الجبارة والغصن المقطوع ، تتدفق عصارة الحياة في الدوحة من قرارة قلبها ، تستمدها من الارض الواسعةالغنية بمختلفعناصرالحياة، فتزينها بالرواء والشموخ ، والجبروت ، ويستمد الغصن المقطوع ، عناصر الحياة من آنية ، فيصير الى الاسترخاء والذبول .

وها انذا اجهر ، في غير حيطةولا تردد ، بعد اربع عشرةسنة من نضال مستمر وتجارب قاسية ، مرة وجيعة ، بان هذه الشعرات البيض ، بيضتها الخطوب والمنافي والسجون « والمفاجئات » والاعوام ، تتحطم دون القضاء على شباب صاحبها ، الاعوام ، والسجون والمنافي والخطوب ، « والمفاجئات !! » فيا شبان العرب ، في كل بقعة من بقاع الارض ، وتحت كل كوكب من كواكب السماء ، اذا كنتم

تريدون فعلا ، ان تبقوا شبابا ، على الدهر ، فآمنوا بحقكم في الحياة . وآمنوا بحق امتكم في الحياة . واعرفوا ماضيكم ، ماضي ابائكم واجدادكم ،فاتحي الدنيا ، وممدني الامم ، وناشري الوية الحضارة والهدى ، واعتبروا به ، ومدوا بابصاركم الى افاق المستقبل القريب ، والبعيد ، واعملوا ، اعملوا ، اعملوا بشيء من روح السماء ،تعدلون به ، ما يطغي عليكم من مادة الارض ومن الشهوات .

يا شبان العرب في كل بقعة من بقاع الارض ، وتحت كل كوكب من كواكب السماء ،عودوا الى قرارات نفوسكم ، فحاسبوها على ماتفكرون وتقولون وتعملون ! ليستسلم كل منكم الى جرس ضميره ، ساعة يلقي برأسه المثقل ، على وسادته الناعمة ، او الخشنة ، دقائق معدودات ، وليستعرض على همس هـذا الضمير ، وعلى ضوء عينيه المغمضتين ،مختلف اعماله ، في البيت والمكتب والشارع والمقهى والنادي وموضع العمل ، وفي كل مكان ، لعلكم بعد ، تشعرون بالحاجة ، الى غير املاء البطون واشباع الشهوات ومؤنق اللباس .لعلكم تشعرون بما لهذه الروح ، من قيمة وبما لها ، من حقوق ، ومن اماني وامال ، تتضائل بازائها ، قيمة الاجسام ، وحقوق الاجسام ، وآمال الاجسام ، واوقن انكم ان فعلتم ستشعرون .

الرائد ايار سنه ١٩٣٥

لبنان كيان لوطن عربي مستقل !

الاستاذ علي ناصر الدين في نظرنا وفي نظر الكثيرين من الناس الكاتب العربي الجريء، ذي العقيدة الثابتة النزيه في مقاصده ، النظيف في جهاده .

وللاستاذ ناصر الدين رأي محترم ليس هنـــا فقط ، بل في جميع الاقطار العربية ، التي تعتز بجهاده الخاص في سبيل القضية العربية الكبرى ، فاذا تحدث عن اتجاه فان لهذا الاتجاه قيمته وانصاره .

ولاول مرة ، فيما نعتقد ، يكتب الاستاذ ناصر الدين مقالا عن كيان لبنان ، في نطاق القومية العربية ، وهو كما قلنا اتجاه جديد له وزنه وله اهميته « اليوم »

قال الاستاذ ناصر الدين حفظه الله :

وردت هذه العبارة التي اتوج بها مقالي هذا ، في مقال رئيسي لجريدة « الحديث » الغراء . وهي عبارة ترد منذ شهور على السنة فريق من مفكري اللبنانيين واقلامهم ، فتفتح نوافذ صغيرة ، بوجه لبنان ، تنفذ اليه منها ، اشعة من نور الامل ? في حياة جديدة خيرة ، لانها تدل على اتجاه جديد صحيح . ومن المفروض ان يطمح لبنان ، مثل غيره ، من الاقطار العربية ، الى هدف ، تتيسر له معه ، حياة العز والكرامة والاستقرار والراحة والاطمئنان ، ولكي يصل فرد ، او مجموع ، الى هدفه ، ينبغي له ، قبل كل شيء ان يهتدي السبيـــل اليه ، والا فلن يصل الى هدفه ، مهما يقل ويكتب ويعمل ويضج ويصخب ! وكيف تريد ان يصل من في « السراي الصغيرة » مثلا ، الى المنارة ، وهو يتجه نحو جسر بيروت ? !

ان عبارة « الحديث » تعين الاتجاه الصحيح للبنـــان ، اذا كان راغبا حقا ، في الوصول الى الهدف ، الذي من المفروض ، ان يكون هدفه : حياة العز والكرامة والمنعة والاستقرار ، والراحة والاطمئنان .

وهناك فريق من اللبنانيين ، الذين كانوا ينفرون من العرب والعروبة - وربما كانوا معذورين !! - يردد كما قدمت ، فكرة « الحديث » وعبارته منذ شهور ، يقول صاحب « الحديث » الاغر ، انه فريق كبير ، واقول انه مايزال قليلا عديده . وانا غير مستغرب هذه القلة ولا مغتاظ منها . فقد يكون لهذا اسباب ، وعوامل ، مهما يكن من زيفها ، تحمل بعض العذر . ولكنها اسباب وعوامل ، بدأ يزول شيء منها ، فلماذا لا تزول كلها ، يوما ما ، بفضل الزمن وفضل اهل العقل والحرية والكرامة والطموح القومي الحديث ؟ !

كنت حتى الامس القريب ، عاجزا عن هضم فكرة تقسيم بلاد الشام ، الى قسمين : سورية ولبنان ، ولا افهم لهذا التقسيم مبررا ، وكنت احاول في اقتناع وشرف قصد ، تحقيق فكرة الوحدة السورية مستثنيا منها لبنان ، في عهد الحكم العثماني ، او الاستعمار التركي ، اذا شئت ، واسمي « لبناني » هذا ، لبنان الصحيح ، شاعراً بان الذين ضُموا اليه ، من الشرق والجنوب والشمال ، بعد الاحتلال ، على حق في عدم شعورهم بانهم لبنانيون ، لاسباب قد اعرض لها في مقال آخر ، وكنت في الوقت نفسه ، احاول جاهدا مع نفر من الاحرار المخلصين ، محو الصبغة الطائفية التي يشاء فريق ان يصبغ بها هذه الاصقاع - وعند الاستاذ الاحدب - رئيس الوزارة نفسه اليوم الخبر اليقين ، نعم ، فلا نلاقي جهودنا نصرة ولا استحسانا كبيرا .

ولعل من الانصاف ، القول : ان هذا المجهود ، وهذا الاعراض ، كانا اثرا لما يسمونه ردفعل لامور سابقة . ودعايات اجنبية ، ترجع الى ما بعد تزعزع الحكم العربي منذ مئات السنين وانهياره . ولا يقوى الجمهور على تحليلها ، او تعليلها تعليلا صحيحاً ، يضعها حيث ينبغي لها ان توضع ، فلا يبقى لها هذا المفعول السحري ، السام ، الممزق في جسم الوطن العربي الواحد ، ولم يقم من بين الخاصة من يحلل هذه الامور تحليلا علميا تاريخيا ، او يعللها تعليلا اجتماعيا سياسياً صادقاً ، وبرغبة ملحة في خير المجموع وكرامته . وارجو ان اكون على صواب في اعتقادي ، ان نفراً صالحاً بدأ يفعل ، هذا ، اليوم ، يفعله بشيء من التردد والفتور ، نعم ، ولكن التردد قد يتحول الى حزم ، وقد يتحول الفتور ، الى حرارة وايمان . فيتضح كل امر من امور ماضينا ، وضوحاً تاماً - ان

لم نكن في غنى عن هذا ـ وتجتمع بين ايدينا ، اذا عقلنا واتفقنا واخلصنا ، اسباب التوحيد القومي ، وتتوفر وسائله ، بما يتفق مع مقتضيات عصرنا هذا : عصر القومية وعصر القوة ، الذي نحن ، وحدنا العرب ، مجتمعي الشمل ، نستطيع ان نجعل منه ـ بعد ان يتم لنا ما تم لغيرنا ـ مقدمة لعصر الانسانية الحق .

لقد استطردت ، وكان لزاما علي ان افعل ، فلأعد الى ماأريد تبيينه ، من وحدة ووحدة ورأيي فيهما ، وفي لبنان . قلت انني الى الامس القريب ، كنت من اشد انصار الوحدة السورية ، مستثنياً « لبنـــان الصحيح » الى ان يبسط هو نفسه يده اليها . وكنت من اعنف الكاتبين ، في هذه الوحدة ، افعل ذلك ، مخلصاً مقتنعاً ، بان ما افعله هو الصواب ، وانه هو الخير كله ، لسورية ولبنان والعرب اجمعين .

وجاءت الحوادث تتالى في الداخل وفي الخارج ، في لبنان وسورية ، وبقية الاقطار العربية ، وفي الشرق ، القريب منا والبعيد ، وفي اوروبا . وفي كل حادثة للمتتبع المخلص العاقل ، تجربة ، وفي كل تجربة ، موضع للتبصرة والعبرة ، يتسع معها افق التفكير ، وينضج بها الرأي ، فاذا هذه التجارب مجتمعة ، تفضي بي الى التساؤل عن مرماي البعيد ، في الواقع ، ومثلي الاعلى من نضالي ـ اذا صح ان يكون في حياتي نضال ـ ما هو ؟ فاسمع جوابا ، من اعماق نفسي وروحي وعقلي وايماني ، معناه : ان مرماي البعيد هو الوحدة العربية ، وان مثلي الاعلى هو الحياة والموت في سبيل انشاء الدولة الكبرى ، لهذه الامة العربية ، التي اريدها عظيمة في مختلف نواحي الحياة عظيمة في متانة الاخلاق ، وتقدم العلوم وبسطة الجاه والعيش ، ومنعة السلطان ، عظيمة في مدنيتها المحسنة : المدنية الروحية ، المادية ، تطبع بطابعهـا ، الدنيا كلها ، فتحسن الى الدنيا كلها ، احساناً صادقاً ، لا شائبة فيه ، ولا غرض ولا نفاق . واذا مرماي هذا ، بعد هذه التجارب ، ما يختلف عنه في شيء ، قبلها ، كثيراً او قليلا ، واذا مثلي الاعلى ما يزال كما كان ، وهنا سألت نفسي : ترى أيكون في تعديل نظريتي في خطط النضال لتحقيق مثلي الاعلى ، تعديلا تقتضيه نتيجة هـذه التجارب من جهة ، وتطورات في التفكير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي من جهة اخرى ، واقتنع انا بصوابه ، ايكون في هذا التعديل ، مطعن في عقيدتي ، ومبدأي واخلاقي

او ضرر بمصلحة وطني الكبير ، او نزول عن شيء من حقه في عنقي ؟ فاجابتني نفسي في حزم ان : كلا . فاطمأننت .ورحت ابرهن لاصحاب الرأي والمكانة والكرامة من اخواني ، ورفاقي، على صواب رأيي، في تعديل خطة النضال فكان لي ما اردت. ولكن مع المخلصين الاقوياء ، فعلا ، الذين يعملون اذا عملوا في اخلاص واقتناع ، ولا يترددون في الجهر ، بما يعتقدون ، دون ادعاء العصمة ـ طبعاً ـ خشية من ان يقال فيهم كيت وكيت ... او ان يخسروا كذا وكذا ... هؤلاء الذين يعملون لمصلحة الامة ، اينما كانت هذه المصلحة، لا يرجون ثواباً ولا يخشون عقاباً . نعم كان لي مع هؤلاء ما اردت ، واقر هؤلاء : « العمل القومي الجدي المنظم على اساس الكيان الجغرافي الحاضر للبنان ، على انه وحدة مثل بقية الوحدات العربية التي تؤلف مجتمعة الامة العربية المخلدة »

واني اصرح الساعة كتابة ، بما سبق وصرحت به خطابة منذ ما يقرب من سنة او اقل او اكثر قليلا ، اصرح باننا ما يهمنا ان نجعل من اللبناني سورياً ، ولكن عربياً . فالسوري نفسه ،لا قومية له سورية، وهذا ثابت ، بالتاريخ والعلم والارادة وانما هو عربي ، يعتز ويقوى ويفاخر بقوميته العربية ، قومية اللبناني نفسه ، التي يعتز ، ويقوى ، ويفاخر بها ، اللبناني الكريم ! .

ايها اللبنانيون ! اننا في نطاق القومية العربية ، نفنى كلنا في سبيل لبنان .

«اليوم» كانون الاول سنة ١٩٣٧

لبنان حلقة في سلسلة

حينما اعلن ممثل فرنسا ، القائد غورو ، انشاء « لبنان الكبير » طغت على فريق من اللبنانيين ، موجة من شعور ، يختلف اختلافاً تاماً ، عما كان ينبغي ان يشعروا به ، لو كان للقومية خطر في نفوسهم ، وللحرية والسيادة قيمة عندهم ، فنتج عن ذلك موجة من شعور مقابل عند « اللبنانيين الجدد » يختلف كذلك جد الاختلاف ، او الاختلاف كله ، عما كان ينبغي ان يشعروا به ، لو كان للتنظيم السياسي ، والصبر السياسي ، والنضج السياسي ، اثر فعال في نفوسهم . ولعل الفريقين كانا كما يلوح لي اليوم - بالنسبة لوضعهما طبعا - على حق وعلى باطل ، او على صواب وعلى خطأ ، في آن واحد ! !

ثم اعلن ممثل فرنسا ، السيد دهجوفنيل ، انشاء الجمهورية اللبنانية ، وموجتا الشعور اللتان اشرت اليهما ، ما تزالان تضطربان في مضطربهما المعروف ، والمراجع ذات السلطان ، كلها او اكثريتها ، تشجع روح المشادة والنفور ، و « تتفرج » على مظاهرهما ، مغتبطة حيناً ، وحائرة مضطربة حيناً آخر ! ولماذا لا افصح ، فاقول ان اللبنانيين ، او فريقاً منهم ، بكلمة ادق ، اعتبروا ان « لبنان الكبير » انما هو وطن منسلخ عن المريخ ، وانه لطائفة من اللبنانيين ، دون غيرها ، واخذ اصحاب النفوذ من هذا الفريق ، يصبغون هذا الوطن ، بصبغة هذه الطائفة ، باقوالهم واعمالهم ولا سيما رجال الثوب الديني منهم ، فارتاع « اللبنانيون الجدد » وانصرفوا عن لبنان هذا ناقمين ، وانكروه ، وراحوا يقولون فيه شتى الاقوال ، وينسبون للبنانيين ما يصح ، وما لا يصح نسبته اليهم ، جميعاً ، ولعلهم كانوا معذورين ، لانهم لم يستطيعوا ان يشعروا كما قلت ، في مقال سابق ، بانهم لبنانيون ، وكان العامل الاول

في هذا - بعد الاحتلال - موقف ذلك الفريق الذي اندفع في غير ترو ، في صبغ لبنان بصبغته المذهبية ، حتى غدت كلمة لبناني ، بمفعول هذا الاندفاع ، وتشجيع القائمين بالامر عليه ، من وراء ستار ، مرادفة لكلمة موراني ! ، ومن هنا ، ومن هذا الخطأ القومي ، والسياسي الفظيع ، نشأت الاخطاء الفظيعة كلها في لبنان ، في ميدان القومية والسياسة والادارة والاجتماع والعمران! ان هذا القول الصحيح الصريح ، يقال لاول مرة ، على صفحات جريدة ، فيما اعتقد . وانا ادرك ادراكا تاما مبلغ ما قد يكون فيه ،من مدعاة للاندهاش ، ومن ايلام ! !

ولكنني منذ بدأت اعتقد ، ان في اعتبارنا لبنان الجغرافي الحاضر ، يشكل بحد ذاته ، حلقة من حلقات السلسلة العربية ، امراً من مصلحة قضية العرب العامة ، بدأت اشعر شعورا قويا صادقا ، بحاجة ملحاحة ، الى هذا الافصاح ، اعتقاداً مني بانه على ما فيه من حقيقة قاسية مؤلمة ، افصاح قد يؤدي الى غسل القلوب ، وتنبيه العقول ، وايقاظ النفوس ، والى وضع منهج جديد حكيم ، للعمل لقضية العرب ، على اساس القومية العربية ، في لبنان ، فيكون اللبنانيون جغرافيا ، لبنانيين جميعاً ويكون لبنان هذا ، لكل لبناني من هولاء على الاطلاق ، ولن يبقى في الواقع ولا العرف ولا الوهم ولا الحقيقة ، من مرادف لكلمة لبناني الا لبناني ، يسمعها من يسمعها ، فينصرف ذهنه وعقله ، بالبداهة الى انسان عربي كريم أبي ، من اهل لبنان. وانه لمن العار ، ان يكون حالنا غير هذا الحال في القرن العشرين . وليذكر اللبنانيون جميعا ، ان لكل واحد منهم ، محلا للمفاخرة بلبنان ، ولعل الذين كانوا ينكرون لبنانيتهم ، في غير استخفاف ولا سوء قصد ، مجالا اوسع للمفاخرة بلبنان ، وامراء لبنان ، وحكام لبنان ، وتاريخ لبنان ، يتصل باسباب مفاخرتهم ، بامجادهم العربية الضخمة ، فهل في الكون شيء اسمه لبنان ، باق حتى الان غير لبنان العربي ؟ ! .

ايها اللبنانيون ! عفى الله عما مضى . فطوائف اللبنانيين جميعا ، تحمل كل طائفة منها ، قسطا من المسؤولية ، في ما آلت اليه حال لبنان ، وانه لمن الرجولة الحق ،

ان يغلب المرء عقله على هواه . وان مصلحتنا جميعا ، لو عقلنا ، في ان نصبغ لبنان بالصبغة العربية القومية الصرف . وانه لمن واجب الذين تتألف منهم الاكثرية في هذا الشرق العربي ، ان يعملوا لهذا ، قبل غيرهم ، وان يضحوا في سبيله ، من اموالهم ، وانفسهم ، وعواطفهم ، قبل غيرهم ، وان يعاهدوا الله على هذا ، ونفوسهم ومواطنيهم جميعا ، فيصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ان كانوا بالعروبة ، مؤمنين .

«اليوم» كانون الاول سنة ١٩٣٧

ليس هناك امة لبنانية ولا امة سورية

نشرت لي جريدة «اليوم» الغراء ، منذ ايام ، مقالا ، في وضع لبنان ، والاتجاه الذي يبدو في تفكير فريقين ، من ابنائه ، وفي رغباتهم . وملخص مقالي هو : ان المشادة التي قامت بين اهل لبنان « الصحيح » او فريق منهم ، بعد الاحتلال وبين اهل المقاطعات ، التي ضمت الى لبنان ، انما قامت على نظرية سياسية ، كان اهل هذه المقاطعات ، معذورين بالتمسك بها ، لعجزهم عن الشعور بانهم لبنانيون . فقد كانوا يعملون للوحدة السورية ، على اعتقاد انها وحدها ، تكفل لهم الوصول الى هدفهم القومي : الاتحاد العربي فالوحدة العربية . باعتبار انهم عرب ، من واجبهم ، ومن حقهم ان يسعوا لتحرير وطنهم العربي الكبير ، وتعزيزه ، ففي ذلك تحرير لهم وتعزيز لنفوسهم . وان اللبنانيين لا يفكرون من هذا ، في شيء ...

وبهذا الاعتبار كنت من اعنف العاملين للوحدة السورية ، وكان يزيد في هذه المشادة ، ان فريقا من اللبنانيين « عودوه » ان ينفر من العرب والعروبة ، فتعود هذا النفور ، واسرف في اعلانه ، مسوقا بعوامل ، خارجية كلها ، في الاصل ! على ان شيئاً من هذه العوامل بدأ يزول ، وانها ستزول بفضل الزمن ، وفضل التطور في عقول الجميع ، ونفوسهم ، ونزعاتهم !! !!

واني بعد تجارب كثيرة متنوعة ، رايت ان الهدف القومي ، الوحدة العربية ، الذي يعمل له ، هولاء الاخوان ، واعمل له ، لا يتنافى مع اعتبار لبنان الحاضر كيانا جغرافيا ، قائما بنفسه ، ما دام هذا الكيان الجغرافي ، عربيا ، لا غنى له ، عن ان يكون جزءاً من الوطن العربي الكبير . ، واني صممت على المضي في عملي مع فريق من العرب المخلصين ، الجريئين ، لوحدة الوطن العربي الكبير ، واستقلاله

وعظمته وسعادته ، معتبرا لبنان الحاضر بعد الذي اخـذ يبدو من تطور فيه ، حلقة ، من حلقات السلسلة العربية ، واهله جميعا ، شعبا عربيا لبنانيا ، من الشعوب التي تؤلف مجتمعة ،الامة العربية المخلدة .

هذا ملخص مقالي في « جريدة اليوم » الغراء منذ ايام . واني اعلم مبلغ ما في السبيل التي اسلكها من عقبات . وقد ضمني منذ يومين ، مجلس ، فيه نفر صالح ، من الشباب المثقف بينهم البيروتي ، وغير البيروتي ، وكلهم من طلاب الوحـدة السورية ، فيما اعلم ، فجرى في الموضوع حديث ، تحول الى مناقشة هادئـة ، قلت خلالها اننا لا يهمنا ،ان نجعل من اللبناني سوريا ،ونحن من لبنانيين وسوريين ، لاقومية لنا،الا القومية العربية ، فنحن عرب ، نعمل ونجاهد في ايمـان واخلاص للوحدة العربية . ونريد ان نقنع اللبنانيين كافة بهذا ، ولا يتيسر لنا ذلك ، ما لم نوقظ في نفوس الذين ـ من اللبنانيين ـ ربتهم الارساليات السيارة ... والمعاهد الاجنبية الثابتة،تربيةغربية،واشربتهم روح النفور من العرب والعروبة ، لا يتيسر لنا ذلك ، ما لم نوقظ في نفوس هولاء جميعا ، الشعور بالقومية العربية ، المرتكزة على التاريخ واللغة والادب والتقاليد والسلالة الغالبة ، والمصلحة المشتركة ، وليس شيء من هذا كله ، يصح ان يكون سوريا او لبنانيا ، ولكنه كله عربي . فقال احد شبان الحلقة ، وهو شاب مثقف خيّر : « ولكننا لا نريد ان نعمل السوري لبنانيا ، ثم اننا نطلب الوحدة السورية لاننا حريصون على الحرية والاستقـلال ، والسوريون يجاهدون في سبيل الحرية والاستقلال ، ولا يفعل اللبنانيون ذلك . »

قول وجيه ، توجيه مرارة الالم ، ومـذلة فريق من اللبنانيين ! ولو كان السوريون يؤلفون منفردين امة كاملة ، وكان اللبنانيون من جهتهم يؤلفون كذلك امة كاملة ، فيكون هناك قومية سورية ، وقومية لبنانية ، كما هو الشان في الالمان، والطليان مثلا ، او في الفرنسيين والانكليز ،لكان قول الاستاذ ع . قولا فصلاً ، ولأقررناه على رأيه ، ولمسنا وجه الحق في قوله ، انه لا يريد ان يجعل السوري ، لبنانيا ، مقابل قولنا ، اننا لا يهمنا ان نجعل اللبناني سوريا ، ويهمنا كثيرا ، ان

نجعله عربيا ، ولكن من حسن الحظ ، ان اللبنانيين والسوريين جميعا ، انما هم جزء من مجموع كبير عظيم ، هو الامة العربية » .

ولهذه المناسبة اذكر ، وكنت طالبا يومئذ ، امرا وقع ايام الحكم العثماني سنة ١٩٠٩ وكان الدستور العثماني ، قد فك من عقاله ، واستبشر به الناس جميعاً ، في المملكة العثمانية ، فقام كتاب من الاتراك ، بينهم ، حسين جاهد ، فيما اذكر ، يدعون الى تتريك العرب ، بحجة الحرص على سلامة المملكة وتعزيز مكانتها ، من طريق توحيد العناصر ، وقد انبرى لهؤلاء الكتاب ، فريق من كتاب العرب ، كان اشدهم ايمانا ، واندفاعاً ، الاستاذ داود مجاعص يدعون الى تعريب الاتراك ، ويدللون على ان هذا ايسر وانفع ، لا سيما و الترك قلة ، بالنسبة الى العرب ، وقد تقبل نفر من الترك هذه النظرية ، فيما اذكر ، وكان ذلك من اجل المصلحة العامة العليا للمملكة .

وما ابعد الفرق واعظمه ، بين هذا ، وبين ان نجعل من السوري لبنانيا من اجل مصلحة الامة العربية والوطن العربي !!!! واللبناني والسوري عربيان ، فرقت بينهما اهواء السياسة الشعوبية ، الاستعمارية ، ومهازل الدهر ، ونريد ان نقضي على الآفتين ، بايماننا ، واخلاصنا ، وحكمة التصرف في الخطط ، وحسن التدبير .

اما الحرص على الحرية والاستقلال وهو العلامة الفارقة ، في نظري ، بين السيد والعبد ، فلعله يكون حجة لي ، على صواب نظريتي ، اذ انه اذا صح ان اللبنانيين لا يجاهدون بمجموعهم ، في سبيل الحرية ، والاستقلال ، فما اجدر هذه العناصر ، التي تطلب الوحدة السورية ، حبا بالحرية والاستقلال ، ان تجاهد في سبيل ذلك وهي لبنانية ، وفي لبنان . لا سيما وهي مع فريق طلاب الحرية والاستقلال من اللبنانيين الجبليين ، تؤلف الاكثرية في لبنان ، وبكلمة أوضح ، يصبح من المعروف والواقع ، ان اللبنانيين يطالبون ، بصفتهم لبنانيين ، بالحرية والاستقلال ، ويسقط قول القائلين ، ان لبنان يرتمي في حضن فرنسا ، ويغني للاستعمار ... لا سيما وان الحرية والاستقلال ، لا يكون لهما معنى ، يتصل بالثبات والدوام ، اذا لم يكن

طلابها في لبنـــان ، وفي سورية ، يفهمون ان اللبنانيين والسوريين ، عرب ، تتوقف مقدراتهم ، على مقدرات بقية العرب ، اخوانهم وابناء عمومتهم ، في مختلف الاقطار العربية .

ان العناصر التي تزعم انها ترغب اكثر من غـيرها ، في الحرية والاستقــلال في لبنان الحاضر ، مكلفة اكثر من غيرها اثبات ان لبنان بكيانه هـذا ، عربي ، ويطلب الحرية والاستقلال والوحـدة ، ليستغل احرار العرب (لبنانيتها) للخير العربي العام ، شرط ان تعمل بايمان وجد واخلاص ، وتصبغ لبنان كـــله بصبغتها القومية ، . وانا اعترف ان العمل شاق جدا ، ولذلك قلت انه ينبغي ان تعمل هذه العناصر بايمان ، فبالايمان وحده ، يتغلب العاملون على المشاق ويذللون العقبات .

« اليوم » كانون الاول ١٩٣٧ .

فقدان الشعور القومي — التدني في الاخلاق

لقد كان من نتيجة الحوادث المتتالية في لبنان ، من داخلية وخارجية ، والتي صرحت ببعضها ، واشرت الى البعض الاخر منها ، في مقالاتي السابقة ، في جريدتي « اليوم » و « لسان الحال » ، ان اضطربت نفوس اللبنانيين، على اختلاف نزعاتهم، وعميت عليهم سبل العمل الصالح المثمر ، فحاروا في امرهم ، وراحوا يتخبطون في ظلمات من الاقوال والاراء والمساعي ، لانقاذ لبنان من الفوضى العامة ، المتحكمة في مدنه وقراه ، وفي سهوله ، وجباله ، وكانوا جميعا على اختلاف آرائهم ونظرياتهم ، وفي صوابهم وخطأهم ، مخلصين -فيما اعتقد- عدا اولئك الذين لا فرق عندهم ، بين ان يعيش لبنان في احضان الكرامة والقوة ، وبين ان يرتمي في هوة الذل والخنوع ، ما داموا يأكلون طيبا ويشربون لذيذا ويلبسون زينة ، وتتوفر لهم اشياء اخرى ... وهولاء سيان عندهم ، اكان لبنان مستعمرة فرنسية او إيطالية او تركية او غير ذلك ، واحسب انهم قلة من ناحية القيمة، لا يؤبه لها كثيرا ، وليس الى هولاء نسوق الكلام .

ان الفوضى العامة ، التي تلعب بلبنان فتهز عظامه ، حتى لنكاد نسمع صريف هذه العظام ، والتي يرغب المخلصون ذوو الكرامة في انقاذه منها ، ذات مظاهر مختلفة ، منها في الاخلاق،ومنها في السياسة ، ومنها في الادارة وغير ذلك ، ونستطيع ان نرد هذا كله ، الى فقدان الشعور القومي !

ونرجو من القارىء الكريم ان يفهم من قولنا لبنان ، منذ الان وصاعدا ، لبنان بكيانه الجغرافي الحاضر ، فاذا اقتضى سياق الكلام ، تخصيص منطقة دون اخرى ، خصصنا بذكرنا المنطقة ونرجو ان يفهم من قولنا « اللبنانيين » هذا الشعب العربي القاطن لبنان بمسيحييه: الماروني والارثوذكسي والكاثوليكي والبروتستانتي ،

وبمسلميه : السني والشيعي والمعروفي كما بيّنا امس . ونرجو من القارىء الكريم ، ان لا يطالبنا فيما بعد بذكر هذه الملل والمذاهب فنحن نفهم ، ومرجونا ان يفهم ، هو ايضاً ، ان في لبنان ، لبنانيين عرباً ، فحسب . واننا نميز ونفاضل بينهم استناداً الى الشعور العربي القومي ، والى الصالح الشريف من الاعمال ، في سبيل المجتمع العربي !

قلنا اننا نستطيع ، ان نرد الفوضى الاثمة ، في لبنان ، بمختلف مظاهرها ، التي ذكرناها ، الى مرد واحد ، هو فقدان الشعور القومي . والى القارىء الكريم بيان ذلك في ايجاز : بعد ان افسدت الشعوبية امر الدولة العربية ، بزعامة الفرس ، تفرقت الدولة العربية القائمة ، يومذاك ، في الاسرة العباسية ، الى دول متعددة ، فضعف بعد زمن ، بحكم هذا التفرق ، سلطان العرب ، ووقع من جسيم الحوادث الشيء الكثير ، مما لا يتسع المجال الساعة ، لتعداده وتحليله ، وكان لبنان ، بصورة اجمالية في خلال ذلك كله ، بسكنه ، ولا سيما في الجنوب عشائر عربية كثيرة ، وحكمه كله ، بشكل اقطاعي ، امراء عرب اقحاح . ثم جاء الفتح التركي -١٥١٦- او الاستعمار التركي ، كما نفهمه اليوم ، فغير الاوضاع وقلب سير الامور ولم يبق بعده سلطان عربي بشكل دولة ذات تأثير ، وفطن الترك الى ما في مهمة الحكم ، في بلاد عربية من صعوبة ، لا سيما وقد كانوا يعلمون ان العرب ، كانوا ما يزالون يذكرون ، خذلان الترك ، في القسطنطينية ، لامبراطورية العرب الغربية ، فتوسلوا لتسهيل مهمتهم في الحكم ، بالدين ، واستخدموه لقتل الشعور القومي . واذا كانوا ، لم يقتلوا ذلك الشعور قتلاً ، فانهم استطاعوا تخديره ، فتخدر ، وراح نائماً مئات السنين .

واختلفت سيطرة الترك على لبنان ، عنها على سورية ، فقد كانت على هذه اقوى وأتم . ووقفت هذه السيطرة على لبنان ، عند حد تكليف امرائه الحاكمين اقطاعياً دفع مبالغ معينة « مقطوعة » الى خزينة الدولة . وكان الامراء الحاكمون ، يدفعونها في رضى ، حيناً ، ويماطلون بدفعها حيناً آخر ، وكان هؤلاء الامراء الحاكمون في لبنان جميعاً عرباً اقحاحاً . وكانت رقعة حكمهم تتسع وتضيق ، تبعاً لضعف ولاية دمشق ، والولايات المجاورة ، وقوتها ، ولاطماع « باشواتها » المالية وضيقها ، وسعتها .

وحينما رجحت نهائياً ، كفة الضعف في الدولة العثمانية ، اخذت الدول الاوربية ، وفي مقدمتها ايطاليا وفرنسا وانكلترا وروسيا ، تمد اصابعها الى هذا الجسم الضعيف المهدد بالانهيار ، فتنال من الدولة العثمانية ، ولا سيما في لبنان ، ما تشاء من مطالب وامتيازات ، اقتصادية وتجارية ، وحقوقية وادبية وسياسية ، فتستخدمها كلها في نشر لغاتها وآدابها وعاداتها وتقاليدها . وهي ترمي من وراء هذا كله ، مرمى بعيداً جداً وصلت فئة منها اليه سنة ١٩١٨ .

كانت هذه الدول تفعل ذلك ، واللبنانيون لا استقلال لهم ، بالمعنى المعروف من استقلال . ولا يؤلفون دولة ، بالمعنى المعروف من كلمة دولة ، وليس في البلدان العربية كلها دولة عربية قوية يعودون اليها . والدولة التي كانوا يتبعونها اسمياً دولة ليست منهم ، ولا هم منها ، انها دولة اجنبية غاصبة ، وان تكن ضعيفة ، وكانوا مثل غيرهم من العرب غـــير اللبنانيين ، قد تخدر ، الشعور القومي في صدورهم ، فلقيت دعايات الاجانب ، في صفوفهم ، اقبالا شديداً ، وفعلت في نفوسهم فعـلا سحرياً هداماً عجيباً . وجعلت منهم الارساليات . . . والمفاوضات السرية والمؤامرات والحركات المختلفة خليطاً مبعثراً متفسخاً : فئات مختلفة متنافرة ، في بلد واحد . فئـة تشعر شعوراً روسيا ، وليست بروسية ، وفئة تشعر شعوراً انكليزياً وليست بانكليزية ، وفئة تشعر شعوراً تركيا ، وليست بتركية ، وفئة تشعر شعوراً فرنسيا ، وليست بفرنسية . يشعرون كلهم ، بكل شيء من هذا ، وهو شعور ، كما يجب ان لا ننسى ، متصل بالدين والمذهب الى حد بعيد . وشيء واحد ، لا تشعر فئة واحدة منهم به ، هو وحده الشعور ، الذي كان ينبغي ان يشعروا به جميعاً ! !

فماذا نطلب من شعب هذه حالهُ ! وفي الداخل والخارج ناس عيونهم مفتحة عليه ، لاستغلاله ، لاستغلال شعور كل فئة ، من فئاته هذه ، استغلالاً يكتسح كل ما هو دين وحق وشرف وذمة ووجدان !

اللهم رحماك ! ان المرء يكاد يدوخ فيضل ، اذا هو لم يكن مؤمناً ثابتاً قويا ، وهو يعدد هـذه الامور تعداداً ، فكيف بمن تنزل هذه الامور ، من نفسه ، في الصميم ؟ !

ان هذه الامور ،التي عددتها مجتمعة ،افقدت اللبنانيين الشعور القومي ،وهيأتهم بعد فقدان هذا الشعور بما تنطوي عليه حكما، من السموم .الى التدني في الاخلاق فالفوضى العامة . ذلك بان التدني في الاخـــلاق ، اول مظاهره ، عدم الشعور بالمسؤولية مطلقاً ، المسئولية القومية والمسئولية الادبيـــة الشخصية ، والمسئولية الوجدانية ، واي شعب في الدنيا ، يعيش عيش النظام والاتحاد والقوة والكرامة والاستقرار والاطمئنان ، وهو فاقد الشعور بالمسئوليات ؟ !

اعلم ان هذا الحكم حكم قاس مؤلم ، اتألم وانا احـكم به ، ولكنه حكم صحيح ، يؤيده الواقع . هذا مع اعتقادي بان هناك من لا يسري عليه ، ولكنهم افراد ! ! فايقظوا ايها المصلحون المخلصون الاباة في نفوس اللبنانيين شعورهم العربي القومي ، تنقذوا لبنان من الفوضى والذل والفقر . ويغدو لبنان الحلقة الذهبية في السلسلة العربية التي من اجلها نحيا ، ونستعذب في سبيلها الموت .

«اليوم» كانون الثاني ١٩٤٨

اهم اتراك هؤلاء الذين يتكلمون

ام فرنجة ام فينيقيون ام صهيونيون ؟!

قرأت امس مقال الاستاذ صاحب «اليوم» تعليقاً على مقال البشير : «انتم العرب سبعون مليوناً . فما هي حاجتكم الى هذا المليون في لبنان ؟» فرغبت في الاطلاع على مقال البشير نفسه ، فاذا هو في الواقع مقال مشبع بالمغالطة والتحريض محشو باشياء كثيرة من هاهنا وهاهنا، مقصود منه اثارة نعرات ليس في مصلحة احد اثارتها ، وهي عن مصلحة الكاتبين والدافعين الى الكتابة ، ابعد منها ، عن مصلحة اي فريق من ابناء لبنان جميعاً !

ما هي جريدة البشير ؟ أهي جريده لبنانية ، أم جريدة فرنسية ايطالية ، تصدر بلغتنا وبياننا ! فاذا كانت جريدة لبنانية ، فمعنى ذلك ، انها جريدة عربية . واذا اضطرونا الى التسليم بان في لبنان عرباً ، نسوا عروبتهم ، بتأثير عوامل كثيرة، ليس الآن موضع سردها ، وفقدوا الشعور القومي ، فأصبحوا وهم لا شيء من الناحية القومية ، وكان اصحاب البشير ، وكتابه ، من هؤلاء ، فمن العقل ، والمنطق ، والانصاف ، وسلامة الذوق ، ان يذكر هؤلاء الناسون المحترمون ، ان الاكثرية الغالبة في لبنان ، لم تنس ، ولن تنسى انها عربية ، وانهم لا يجوز لهم ان ينزلوا انفسهم منزلة الممثلين للبنان ، واللبنانيين، او منزلة من لا يرى في لبنان، غير نفسه، فيخاطب بقية العرب ، في مختلف الاقطار العربية بقوله : «انتم العرب سبعون مليوناً فما حاجتكم الى هذا المليون في لبنان» فيتوهم القارىء ، ان هذا المليون في لبنان غير عرب ، وانهم اتراك او فرنجة او غير ذلك ، يريد العرب تعريبهم ، وان البشير يمثلهم ، بقوله ، هذا ، بينما اهل لبنان — غير الدخلاء عليه — عرب كلهم . حتى الذين يجهلون او ينكرون لاسباب ... انهم عرب ، وجريدة «البشير» تعلم هذا علم اليقين ، وتتجاهله لاغراض لم تبق خافية ، على احد ! ثم هي قد مضى عهدها،

وانقضي « على ذمة المفكرين اللبنانيين » الذين سايروهم في الرضى بكيان لبنان !!!
واذا كانت جريدة البشير الغراء جريدة ايطالية فاشستية - ونحن نعلم انها تتقاضى ١٢٥٠٠ ليرة سورية من الفاتيكان - فيكون تعرضها لهـذا الامر ، ادعى الى الاستغراب واقرب الى السخرية ، اذ ما شأن الطليان وغيرهم في قوميتنا ؟

ثم ما العلاقة ، بين ما ترمي اليه البشير ، وبين ما قد يكون حدث من حملات افراد ، من العرب غير اللبنانيين ، على لبنان ؟! ان هذه الحملات ان تكن وقعت ، فان الغالب فيها ، يعود الى الرغبة الخالصة في خير لبنان ، قومياً وسياسياً واقتصادياً ، لان في هذا خير غيره من الاقطار العربية ايضاً . وان في اللبنانيين فريقاً غير قليل من المفكرين ، وحملة الاقلام المتزنين ، المخلصين ، يثيرون مثل هذه الحملات على لبنان وعلى غيره من الاقطار العربية ، لا بغضاً وتشفياً وانتقاماً ، كما قد يخطر للبشير ، كلا ، - ومن ذا الذي يأكل لحمه بيديه ويلوث عرضه بنفسه - بل رغبة في ايقاظ النفوس وبعث الشعور بالعزة القومية واذكاء نار الطموح ، الى حياة السيادة والاستقلال ، والعز والعظمة والجلال ، التي يتمتع بها امم ، تستطيع الامة العربية ، يوم تتمتع هي بها ، ان تكون اقوى منها ، واخلص في خدمة الحضارة العالمية ، العامة ، والفكرة الانسانية الشاملة ، والسلام الحقيقي المنشود .

ثم الا يمكن ان نفهم ان في عبارة جريدة البشير : « فما هي حاجتكم الى هـذا المليون في لبنان ! » اعترافاً بعروبة اللبنانيين ، بينما هي تريد ان توهم الغرباء ان هؤلاء اللبنانيين غير عرب !

ومهما يكن من امر ، فاننا نريد ان يعلم « البشير » واسياده ، وغيرهم ، اننا في الواقع ، لفي حاجة شديدة الى هذا المليون من العرب في لبنان ، او الى هذه الآلاف الثمانية - على تصحيح صاحب « اليوم » وهو الصحيح - او بالحري اننا لفي حاجة شديدة جداً ، الى لبنان ، فاننا نعتبر هذا البحر المنبسط على اقدام لبناننـا ، بحراً عربياً . وقد تفوق حاجتنا اليه ، حاجة المانيـا الى النمسا ... وحاجة بولونيـا الى دانزيغ ... فهذه حاجة مصطنعة وحاجتنا حاجة حقيقية حيوية ، ثابتة .

« اليوم » كانون الثاني ١٩٣٨

غضب . و ... غضب !

الغضب لحق ، او لمصلحة عامة ، او لكرامة شخصية او قومية ، خلق ، ان لم اقل ، انه اشرف الاخلاق ، فهو من اشرفها واعلاها وادلها على الرجولة الحق ، من غير ما نزاع . وغضب العاقل الكريم المخلص ، مظهر ، من اجلّ المظاهر ، لعظمة النفس البشرية ، التي بليت في معظم بني آدم ، ويا للأسف ، بالصعلكة والصغار .

وفي الدنيا طائفة من الاحياء ... ما تستطيع ان تنكر عليها انها من فئــة بني آدم ، فأبناؤها يمشي كل منهم على اثنتين ، ولكل منهم ، فم ولسان ، وعينان اثنتان ، واذنان ايضــاً اثنتان ... فقط لا غير ، ذلك كله في رأس تشبه رأس ابن آدم . مع شيء من الزيادة في تلك الرأس ...

وهذه الطائفة وجدت في عهد « المعلم الاول » ووجدت في عهد « المعلم الثاني » وتوجد في عهد ، لم يقم فيه المعلم الثالث بعد.وما ادري فقد تظل هــذه الطائفة تتوارث العيش ، الى ان يورث الله الارض ، الصالحين والصالحات . وهـذه الطائفة من الاحياء تغضب ! او انها تتظاهر بالغضب ! ولكن ، لامر يريده الله ، فيما اظن، لم يكن الغضب ، علماً ، كعلم الحساب مثلا ، ولا فناً كفن التمثيل ، ولا كان متاعاً ولا سلعة ، ليضعه الانسان في جيبه ، او تحت ابطه ، او على كتفه ، فيطل به على الناس ، او يخرج لهم رأسه ، حين يشاء وكيف يشاء . لذلك ترى هــذه الطائفة ممثلة باردة سمجة،حتى في الغضب ، مخدوعة وهي تخادع، مخذولة ، وهي تدعو الى الخذلان ، وكم كنت اود - وفي بلادي بلاد العرب جمعاء ،،مثل هذه الطائفة ، كثرت ام قلت - ان يكون الغضب للحق وللكرامة وللمصلحة العامة علماً، كالذي ذكرت ، اذن لتطوعت النخبة المختارة النادرة، من جنود الحق والكرامة والمصلحة العامة ، من العرب الاقحاح ، لتعليم هذا الغضب، لهذه الطائفة، بالارقام والخطوط،

في عشرات الايام ، ولترم بعدها بغضبهـــا « الصحيح » اذا استطاعت ، كبار النفوس والاحلام .

دعتني حكومة العراق ، في من دعت الى مشاهدة اول معرض يقيمه العراق ، وكان من الكياسة ومن الادب ، ان البي الدعوة فلبيت ، ولي من المشاغل ، ما كان من المفروض ان يحول بيني وبين التلبية ، لولا دوافع ، في هذه النفس يفهمها اخواني العرب الخلص المثقفون الاحرار .

ودخلت بغداد ، مثقلاً بالذكريات ، فاذا انا في اهلي وعشيرتي وقومي ، واذا انا ، من نفوس هذا القوم الكريم ، في مكان ، يحتويه النبل والعطف والكياسة ومكارم الاخلاق ، ما اخصص ولا استثني . فحضرت حفلة افتتاح المعرض الزراعي الصناعي ، ثم طفت باقسام المعرض ، وانثنيت بعقيدة ان اقامة المعرض ، عملية جميلة مفيدة ، بدون ان انسى ، ان في العراق مجالا واسعاً جداً ، للجميل المفيد من الاعمال وان عيوباً او اخطاء ، قد تكون رافقت تنظيم المعرض ، يمكن ان يتجنبها الرجال المسؤولون ، بعد تجربة واختبار .

وكان من البديهي ــ وانا بحمد الله ، وفضل التجاريب ، لم انعم بنصيب كثير او قليل من البلاهة من جهة ، وقد نعمت بقسط كبير من الجنـــون « على لغة المستعمرين وولدانهم » بحب العرب ووحدة العرب من جهة اخرى ــ ان لا اقتصر من زيارتي العراق ، على الاهتمام بشؤون المعرض الزراعي الصناعي ، على خطرها ، فأعنى بالليمون والنارنج ، والتمر ، والحبوب ، ومنسوجات معمل فتاح باشا الجميلة ، وغير ذلك ، من منتوج العراق ، الزراعي والصناعي ، دون اي شيء آخر !

لقد كان من البديهي ، ان أعنى بالاحوال السياسية والاجتماعية والروحية العامة ، في بلاد العباسيين ، وان اتكلم على الوحدة العربية ، وادعو اليها ، واعمل لهـــا في العراق ، كما في بر الشام ، وكان من البديهي ، ان ادرس وابحث واستقرىء ، وان ادون واستنتج ، ليس لاشتم هذا الفريق واسبه ، او لامجد ذلك الفريق واقدسه ، فقد يكون هذا شأن غيري من الناس ، اما شأني فغير ذلك . انا اعلم ان في كل

ناحية ، محاسن ومساوىء ، واريد ان تتغلب المحاسن على المساوىء ، فاسمي الحسنة حسنة ، واستزيد منها ، واسمي السيئة سيئة واحاربها . فلا انصار هـذا الفريق يضعون في حضني النجوم ، يستطيعون حملي على تسمية السيئة حسنة . ولا انصار ذلك الفريق بحرمونني الضياء والهواء والغذاء ،يستطيعون حملي ، على تسمية الحسنة، سيئة . وفي الحالين ما اسب ، ولا اقدس ، فتربيتي ، وادب نفسي ، يأبيان علي الشتم والسباب ، وعقلي الطليق وفكري الحر ، يحولان بيني وبين تقديس بشر مثلي ، يصيبون من الخطأ والصواب . وسيجيء بني قومي في العراق ، صدق ما ازعم ، فلينتظروا غير مأمورين ، ولترحب لي مواضع الصبر منهم ، فلأكونن عند ثقة المخلصين منهم ، العقلاء ، اقول هذا غير متبجح ولا منان ، وفي غير مفاخرة ولا مباهاة . وانما اقوله تقريراً للحقيقة ، وتذكيراً للمنصفين ، من اولي الاخلاص والايمان . وادلل على هذه الحقيقة بما اكتب واقول واعمل في السراء والضراء ، وفي الجهر والخفاء .

فاذا شاءت المقادير ، ان يكون بين جمهور رجال الفكر ، وارباب القلم ، من صحفيين ، وغير صحفيين ، ممن يزورون بغداد ، من يعتصم بغير هـذا الحبل ، ويتمسك بغير هذا الدين ، افلا يجمل بنا ان نذكر : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » وهلا ينبغي ما دمنا ، نزعم اننا احرار مخلصون ، وقوميون قبل كل شيء ، ان نضيف الى ذلك ، الجرأة بالحق ، والاطمئنان الى الصدق ، فنسمي الحسنة حسنة ، من حيث اتت . والسيئة سيئة انى كانت ! !

وكلمة بعد :

ايها العراقيون ، يا اخوان الشقاء وشركاء المحنة ، ان ثلاثة عشر قرناً تناديكم وتنادينا ، في دفقات دجلة والفرات ، كما نادتنا ونادتكم من قبل ، في دفقات بردى ، منذ سنوات ، فخان الزمان دمشق ، وعثرت دون تلبية النداء ، افلا تعينون بغداد ، وقد جاء دورها ، على تلبية هـذا النداء ! في غبطة وامل ، وفي

صلابة واطمئنان ، وفي طموح واخلاص ، مرفوعة رؤوسكم متراصة صفوفكم ، عاملين في جميع نواحي الحيـــاة ؟! فما اكثر ما في العراق من النواحي العطشى للاعمال ، والحياة ...

نيسان سنة ١٩٣٢

بغداد «جريدة العالم العربي»

النهضة في طريقها الى الهدف

فليطمئن العالم الجليل احمد لطفي السيد

قرأت في مجلة « الرسالة » المصرية الغراء ، رأياً للعالم الجليل ، احمد لطفي السيد في الجامعة العربيـة ، أثار في نفسي استغراباً شديداً ، وانقبض له صدري انقباضاً يقرب من الحزن ، او ما هو في هذا المعنى ، بما لا استطيع ان اصفه ، وصفاً يقربه من فهم القارىء ، كما فهمته عن طريق الاحساس .

وخلاصة هذا الرأي ، ان الاقطار العربية لا يمكن ان تجتمع ،او ان تتحد ،الا في الثقافة . اما في السياسة فهذا شيء غير مستطاع ! وان الجامعة العربية ، انما هي حلم ، اخترعته مخيلة رجل انكليزي ، لا يذكر السيد الجليل ، احمد لطفي السيد ، اسمه ، ويذكر انهم يقولون انه كان مكاتباً لجريدة « التيمس » الانكليزية ! ! .

هذه خلاصة رأي عالم جليل ، من العلماء المصريين « العرب »على ان صاحب هذا الرأي ، لم يقل لنا ما هي الاسباب ،التي تحول دون اجتماع الاقطار العربية واتحادها مع تسليمه ، بامكان توحيد الثقافة العربية فيها . حقاً ، انه لرأي في حد ذاته ،غريب جداً ، ويزيد في غرابته ، انه رأي رجل ، وعى صدره علما غزيراً . فيما نعلم ، وسبر غور النهضات القومية ، فعرف عواملها واغراضها وعناصرها واهدافها .

ومن المفروض ان يكون قادراً قدر رأيه ، وما له من وزن وما قد يترك من اثر .

ايكون حضرة العالم السيد ، اكثر معرفة بالامم الغربية ، وطباعهـا ، وتاريخ نهضاتها ، وعواملها ، منه بهذه الامة العربية . التي هو في الواقع احد ابنائها ، بل احد علمائها ، ام انه غمرته عاصفة من عواصف السياسة ، سياسة الشهوات الانية الموضعية فاذهلته عن حقائق تاريخية وعلمية . تحمل في طياتها ، عكس ما ذهب اليه من رأي بغير دليل !

ان محمد علي الكبير ، مؤسس الدولة المصرية ، هو نفسه قد فكر بالجامعة العربية ، على طريقته ، منذ مائة سنة وتزيد ، وما اقول ان « التيمس » كانت ماتزال جنينا في بطن الزمان ، او في بطن انكلترا ، فانا اعلم ان التيمس ولدت قبل ذلك التاريخ فهي قد ولدت سنة ١٧٨٨ . ولكنني اؤكد ، ان واحداً من مراسلي التيمس ، لم يخطر له هذا الخاطر في بال ، قبل الرجل العظيم ، محمد علي ، واذكر ان انكلترا ، سنة ١٨٤٠ ، هي التي حالت بين محمد علي ، وبين ما كان يفكر فيه ، ويسعى اليه ، من سلخ « الولايات العربية العثمانية ومنها مصر » يومذاك ، ونظمها في دولة عربية واحدة ، واذا كان هذا ليس تفكيراً في الجامعة العربية ، فما ادري التفكير في الجامعة العربية كيف يكون !

وماذا يمنع تكوين هذه الجامعة اليوم ، وهي كادت تتكون منذ مائة سنة ، والمفروض ان يكون الشعور بالحاجة اليها ، ينمو ويتسع ويشتد .

ثم لا ادري ، لماذا تكونت ، وكيف تكونت ، هذه الجامعة ، ايام كان يفصل الاجزاء التي تكونت منها ، بعضها عن البعض الآخر ، مسيرة اسابيع وشهور ، وايام كانت وسائل النقل ، والمواصلات ، فيها ، الجمال والبغال والخيل ، ووسائل التبادل الفكري ، الرواة والرسل ، ولا تتكون اليوم ، وابعد قطر ، من الاقطار العربية عن الآخر ، ليس بينهما اكثر من مسيرة ساعات ! وقد اصبحت فيها وسائل النقل ، والمواصلات ، القطارات والسيارات والطائرات ، ووسائل التبادل الفكرى ، والتفاعل الادبي والعلمي والاجتماعي ، الصحف السيارة ودور السينما واذاعات الراديو ، هذا عدا الشعور القومي ، الذي ينمو ويقوى ويتسلطن ، بمفعول الحوادث والاختراعات ، وصوت الحاجة والرغبة ، في البقاء !

انني اعتقد ، ان كل ما هنالك من عوامل ، للتجمع ، والاتحاد ، متوفر للاقطار العربية ، والحكومات العربية ، اكثر من توفره لغيرها ، في الاقطار ، والحكومات التي تجمعت واتحدت . فان عناصر النهضة العربية القومية نفسها ، تتصل بالمصلحة والحاجة وسنة تنازع البقاء ، التي هي من الغرائز الطبيعية ، اتصالها بالعاطفة والعنعنات النفسانية ، وهذا لا يخفى على احد ، من العارفين بالاقطار العربية ، وجغرافيتها ،

وتنوع مناخها ، ومختلف انتاجها ، والشعور الكامن في شعوبها ، ولعل مما يوحي الى بعض الناس ، بمثل رأي العالم الفاضل ، السيد احمد لطفي السيد ، عدا سياسة الشهوات الآنية ، الموضعية ، كما قدمت ، غفلة بعض العاملين ، في ميدان القضية العربية ، عن التنظيم ، وذهابهم مع العاطفة ، من غير ما اتزان ، وانصرافهم عن العمل الانشائي المستند الى القواعد العلمية ، في شتى نواحي النهضة ، من اقتصادية واجتماعية وتثقيفية وتاريخية قومية ، مما ينبغي ان يكون سبيلنا ، الى التحرر والاستقلال والانتظام في سلسلة الاتحاد العام ، او الجامعة العربية المبتغاة .

على ان هذا العمل ، قد نهد له ، من يضطلع به ، ويؤمن بقدرته عليه : شبان من مختلف الاقطار العربية ، فيهم الطبيب والمحامي والاديب والصحفي والمهندس والعامل والفلاح والتاجر ، ويغلب فيهم المثقفون الرصناء ، الذين صقلتهم الخطوب وحنكتهم التجارب ، ووعظتهم ، فاتعظوا ، مفاجئات السياسة واسرار النهضات ، مؤمنون بحق امتهم ، وبمستقبلها ، وبقابليتها وعبقريتها ، غير مستعجلين ، موطدو العزيمة ، موحدو الارادة ، صلاب العود ، اتقياء النفوس ، من المنتظرين غير المبدلين ، يعرفون ان يعملوا ، من غير ما ضجة وان يصبروا من غير ملل ، يموت من يموت منهم ، ويولد من يولد ، والنهضة في طريقها ، الى الهدف الاعلى ، كأنما هي عالم ، من عوالم هذا الكون ، الخاضع ، لنظام طبيعي ، اراده الله ، يتم عمله ، لا يعنيه من صغار الحوادث ، او جسيمها ، قليل ولا كثير .

« اليوم » او « المساء » نيسان سنة ١٩٣٨

مؤامرة هائلة يجب ان يعرفها كل عربي!

قلنا في مقالنا منذ يومين اننا نريد، ان نجعل من لبنان، الحلقة الذهبية، بين حلقات السلسلة العربية، ولم نقل ذلك اعتباطاً، ولا ذهاباً مع نزوات العاطفة، كلا. وانما قلنا ذلك، لعلمنا علم اليقين، ان هذا التدبير وحده، يمكن ان يحول بين لبنان، وما يحاك له من شباك استعمارية، وما يراد به من سوء وذل وفناء. وان هذا التدبير وحده، يمكن ان يحول كذلك، بين بقية الاقطار العربية، في الشرق والجنوب، وما يعد لها، من عوامل التضييق، فالافقار، فالمحق. والى القارىء الكريم تفصيل ذلك بجلاء:

ان الحوادث السياسية العالمية، ولا سيما ما يتصل منها بالامبراطورية البريطانية و«الامبراطورية الفرنسية ما وراء البحار» اوحت الى فريق من رجال السياسة الجهنميين، بمشروع، من افظع المشاريع السياسية، من وجهة النظر العربية القومية ان لم يكن افظعها، على الاطلاق!

وقد بحث هؤلاء الرجال، منذ زمن، مع نفر من اللبنانيين، على رأسهم رجل من اعلى رجال الدين مقاماً، في الشرق العربي، هذا المشروع، فاتفقت كلمتهم، على تطبيقه. واجلوا درس تفاصيله، الى فرصة اوفر مناسبة، من الفرصة، التي اتفقوا فيها، عليه، مبدئياً.

والمعلومات التي لدينا من جديد، تدل على ان شيئاً من التعديل، طرأ على المشروع ولكنه تعديل، اوسع نطاق شر، وابعد في الفظاعة اثراً.

اما المشروع، وليعفنا القارىء الآن، من ذكر اسماء الاشخاص والدول فهو: تتفق دولتان من الدول الاستعمارية الكبرى، ويرضى بهذا الاتفاق، نفر من اللبنانيين البارزين على:

اولا – تهجير عناصر معينة في لبنان الى داخلية البلاد الشامية .

ثانياً – تهجير عناصر معينة في داخلية البلاد الشامية الى لبنان .

ثالثاً – فتح ابواب لبنان للصهيونيين ، بشروط يتفق على دقائقها فيما بعد .

رابعاً – اننا نرجىء ذكر البند الرابع الى فرصة اخرى .

ويستنتج من هذا ان المؤامرة ، يشترك فيها ، ويا للاسف ، نفر من ابناء البلاد ، انفسهم ، وترمي الى سلخ لبنان ، سلخاً نهائياً ، عن الوطن العربي ، وجعله مستعمرة ابدية ، وسداً قوياً بين بقية الاقطار العربية ، وهذا البحر العربي – البحر المتوسط – فيصيب المتآمرون هدفين بسهم واحد ، اما التعديل ، الذي يتضح من معلوماتنا الخاصة الجديدة ، انه طرأ على المشروع فنترك الكلام عليه ، الى فرصة اخرى ! هذا هو المشروع « الجليل » الذي يجهل العرب اللبنانيون ، امره ، والذي ما اشك ، في ان فريقاً قليلا ، من العرب غير اللبنانيين ، يعرفه ويعتقد انه جد .

انهم يريدون ان يضربوا نطاقاً من حديد ونار ، حول الوطن العربي ، في آسيا فيحصروا العرب ، حصاراً ضاغطاً شديداً ، ويمنعوهم الاتصال باخوانهم ، وابناء عمومتهم ، من عرب افريقيا .

وغني عن الوصف ، ما في هذا الحصر من عوامل التضييق ، والاضعاف ، والافقار ، والاذلال ، وما الى ذلك ... ويريدون ، لكي يصلوا الى غرضهم هذا ، ان يتقووا بفريق من العرب انفسهم ، هؤلاء العرب الذين يقطنون على هذا الساحل العربي ، من خليج الاسكندرونة ، الى خليج العقبة . فما السبيل الى ذلك ؟ ! السبيل الى ذلك ، هو ما قدمنا من تهجير وتهجير ... وفرنجة اهل هذا الساحل ، وصهينتهم ، واستعمارهم استعماراً جديداً مشبعاً ! ! باعتبار ان فريقاً كبيراً منهم ، بلبلت حوادث تاريخ طويل ، قوميتهم ، وسممت نفوسهم ، واعدتهم للانفعال بسهولة كما « يتوهمون » بمثل هذه الوسائل والتدابير ! افلا يرضي هذا المشروع ، العناصر التي ما تزال تعتقد او تتظاهر بالاعتقاد ان الخير كله في الانسلاخ عن لبنان ؟ ! ولم لا يرضيها ؟ وهي ستنتقل الى قلب الاراضي السورية فتمحى كلمة لبناني

عن «تذكرة نفوس» كل واحد من ابنائها !!

ثم الا يرضي هذا المشروع، العناصر التي «عودوها» النفور من العرب والعروبة، فنفرت، واسرفت في اعلان هذا النفور! ولم لا يرضيها ؟! وهم سيأتونها بعناصر «خليط» جديدة، من هنا وهناك، ويسلخون لبنان، سلخاً ابدياً ليس فقط عن سورية، بل عن العرب والعروبة، وينفخون في هذه العناصر، للعرب والعروبة، من جديد، روح البغض والحقد، وليس النفور فحسب، ويجعلون لبنان، مزدرعاً «للحديد والنار»، وحصناً منيعاً يعجز كل جبار ؟!

ايها اللبنانيون! رحمة بانفسكم وسمعتكم، وبالاجيال المقبلة من اصلابكم وارحامكم.

ايها اللبنانيون! قليلاً من حسن النية، وعزمة الرجال، واتحاد العقلاء، وصبر الشجعان، وانتم الاسعدون مآلا.

ايها العرب! في اقطار الدنيا كافة، امنعوا هذه الكارثة، حاولوا منعها في جد، وحزم، واخلاص واندفاع. اننا في لبنان عرب مثلكم.. كلنا، على اختلاف مللنا، ومذاهبنا، عرب، من لا يؤمن منا بهذا اليوم، سيؤمن به غداً.

«اليوم» كانون الثاني ١٩٣٨

لعبة خطرة مجرمة من وراء الستار

نشرت جريدة « المساء » امس ، مقالا رئيسيا لصاحبها توجته بهذه العبارة « نحن عرب ولكن بالكلام فقط ... » اوردت فيه تصريحاً لرئيس الكتلة الدستوريه ، في المجلس النيابي ، الشيخ بشاره الخوري كان قد ادلى به الى الصحفيين في شهر آب من السنة الماضية قبيل سفره الى باريس ، قال : ان لبنـان يجب ان يظل دولة عربية مستقلة ، له ما للبلاد العربية المجاورة ، وعليه ما عليها الخ ...

وقد استند حضرة الزميل الاستاذ الغريب ، الى هذا التصريح الجذاب ، ليقابل بين اقوال الدستوريين ، في المجلس النيابي ، واعمالهم ، بالنظر الى المحنة التي تجتازها اليوم ، احدى بقاع البلاد العربية الغالية « فلسطين » ويدلل على بعد ما بين الاقوال والاعمال ، عند هؤلاء الناس في لبنان ! وقد وفق الاستاذ صاحب « المساء » الى ما يريد توفيقاً عجيباً ، فاصاب بحجر واحد ، عصافير عدة ، وليس عصفورين فحسب ، ونرجو ان يترك ذلك المقال الاثر المرجو في نفوس الدستوريين ، وغيرهم من النواب ولا سيما الشباب منهم ، الذين ينتظر ، ان يكونوا عقبان المجلس ، وقادته الشجعان الميامين .

اما انا ، فقد دعا تصريح معالي الاستاذ الخوري ، الى خاطري ، امراً لعله اشد خطراً وابعد في النكاية اثراً ، وادعى الى التفكير العميق ، بما قد يكون من مصير لبنان وبنيه ، لتقاعسه وجبن نوابه ، عن نصرة فلسطين ، بينـا عشرات الملايين من العرب ، في مختلف الاقطار العربية ، يضحون من اجـل فلسطين ، ويضحون اما بالاموال ، واما بالانفس ، واما بها جميعاً ، في سبيل فلسطين .

هذا الامر هو اللعبة الخطرة الفظيعة ، فعلا ، التي كان يلعبها من وراء ستار ، في الوقت نفسه ، الذي كان يدلي فيه ، معالي الاستاذ الخوري ، بتصريحه الجذاب ، الى

الصحفيين ، رجال رسميون ، من اكبر رجال الدولة ، في لبنان ، هذه اللعبة التي ترمي الى بعث فتنة حمراء في لبنان، واقول ذلك لانها تشبه، من بعض وجوهها ،لعبة انكلترا في فلسطين ، الرامية الى اجلاء العرب ، عن موطنهم وارض آبائهم واجدادهم هذه الارض ، التي قد يكون فيها ، من دماء الآباء والاجداد وعظامهم ، اكثر مما فيها من مادة التراب والطين ! !

اجل ان رجالا رسميين ، من اكبر رجال الدولة في لبنان ، كانوا وما يزالون يلعبون هذه اللعبة الخطرة ، التي نرجو ان لا تتم ، والا يتعرض لبنان ، لما تتعرض له اليوم فلسطين، فان عرب لبنان، يوم تصل الرغبة الهدامة ، والعاطفة المجرمة في البعض ، الى هذا الحد ، من التنكر لوطنهم ، والدس لسلخه عن حضن الوطن الام ، لن يكونوا نعاجاً ، وان ارض لبنان كارض فلسطين ، ليس فيهما من مادة التراب اكثر مما فيها من دماء ابائنا واجدادنا وعظامهم ! !

وليعلم الذين يلعبون هذه اللعبة من وراء ستار ، انهم مخدوعون ، بتقدير نيابتهم ، عن الذين يعتقدون ، انهم ينوبون عنهم ، في الخطة التي يرسمون ، وانهم واهمون جداً ، حينما يتصورون ان من ورائهم الوفاً من اللبنانيين ، يتبعونهم مغمضي العيون ، الى الهاوية السحيقة ، التي يحفرون . ان في اعالي صرود كسروان والجبة نفسها ، عشرات الالوف من اللبنانيين ، الذين تثور نفوسهم ، عندما يتعرض احد ، اياً كان للطعن في نسبهم ، واتهامهم ، في اصلهم ، وتحريضهم على اخوانهم ، اللبنانيين العرب ، مثلهم !

ترى عن عواطف اي « لبنان » ورغباته ونياته وميوله ، يعبر هؤلاء الذين يرسمون ، خطة لفرنجة لبنان ، وتضليل ابنائه وصبيتهم ، وايهامهم انهم سلالة « شعوب منقرضة ! » ويقولون اذا ما نبههم عاقل الى الصواب : من لا يعجبه هذا ، فليرحل ! فليغادر الحدود بدون جواز سفر ! ! عن اي « لبنان » يتكلم هؤلاء ؟ ومتى كان للشعوب المنقرضة سلالة ؟ !!

اننا باسم مئات الالوف من اللبنانيين ، نجهر عالياً جداً ، ان هذا لا يعجبنا ،

اجل نحن لا يعجبنا هذا ، ايها السادة المحترمون ، ولن نغادر لبنان بجواز سفر ، ولا بغير جواز سفر ، على الشكل الذي تريدون ، ذلك اننا نحن اهل لبنان وسادته وحماته . ونعني بنحن ، كل لبناني عربي ، على الاطلاق ، اياً كان مذهبه الديني ؛ فنحن اننا ندين بدين القومية وحده ، دون سواه . وليغادر لبنان من لا يعجبه ان يكون لبنان عربياً . من يشاء . اننا نعمل في سبيل اللبنانيين جميعاً ، وفي سبيل مستقبل مجيد ، لهم جميعاً ، وليس حاضر لبنان بمخيفنا ، ولا بمثبط عزائمنا ، ولا بمدخل اليأس على نفوسنا ، وسنضحي ، حتى في سبيل الذين يقاوموننا ، ويحفرون لنا الحفر والعاقبة للعاملين المخلصين الصابرين ، من الذين اوتوا النظر البعيـــد ، وكانوا على هدى وصواب .

« اليوم » كانون الثاني ١٩٣٨

تعديل المؤامرة شر من المؤامرة!

جائني نفر ، من كرام العرب ، وكبارهم ، في هذا البلد ، يقولون ، ان هناك جريدة ، تتعرض لما تكتبه في « اليوم » وتطعن بما تكتب وتحرض عليك ، فقلت لهم ما اقوله الساعة لمواطني العرب ، جميعاً : انني من فريق عربي ، يحمل الى العرب كافة ، رسالة مقدسة ، يؤمن بها ايماناً ، ما يدانيه الشك ولا يوهن منه الباطل ، وانا اؤدي هذه الرسالة بامانة وصبر واخلاص . انني منذ خطوت الخطوة الاولى ، في ميدان الحياة العامة ، من نواحيها المختلفة ، امشي وانفي في السماء ، طاهر الكف طاهر النفس ، عف الضمير والقلم واللسان ، ما اقول الا الصدق ، ولا اعمل الا للحق ، ولا اخاف الا الله . ، اقول حينما اقتنع بصواب قولي ، ما اشاء ، حينما اشاء ، واعمل حينما اقتنع بسداد عملي ، ما اشاء ساعة اشاء . احسب ذاتي فوق الوعد والوعيد ، وفوق الاغراء والتهديد . ، حر العقل ، حر النفس مستقل الارادة . اذا استطعت ان ارفع من يحتاج من بني قومي ، العرب ، الى المستوى الاعلى ، فذاك ، والا مشيت مع العديد القليل المترفع ، من هؤلاء ، حتى انني ما ابالي ، ان امشي منفرداً وحدي . على انني الى جانب هذا ، اعترف بانني اشقى ... اشقى بقلة الاصدقاء ! واشقى بجبن البعض ، ممن اعتقدهم اصدقاء . وانه - لو علم الناس لشقاء ممض شديد - ثم اشقى الشقاء العادي ... وتقال فيّ اقوال ساخرة ، سخيفة مسكينة ! - في غيبتي طبعا - ولكنني استمر في سيري وسراي . اقول الحق وامشي . وساظل الدهر ، اقول الحق وامشي . يعنيني امران : رضى نفسي وضميري ورضى العقلاء الكرام الاباة ، من قومي وعشيرتي ... والله مع الصابرين .

واني لأرجو بعد هذه المقدمة ، ان لا يطالبني احد ، بان أعنى بما يقال ،

ويكتب ، في ما اقوال واكتب ،الا ان يكون هذا الذي يُكتب ويقال ،يصدر عن عقلاء كرام اباة ، والا ان يكون مع هذا ، يحتمل الاخذ والرد ، والشك واليقين ، او الملاحظة والنقاش !

سيقول ناس بعد قرائتهم هذه المقدمة :

انه لأعتداد !! وانه لكذا وكذا .. نعم ، اعرف ، ان ناساً سيقولون هذا ، فليقولوه ، انني ماض في اداء واجبي .

ان التعديل ، الذي اشرت اليه ، في مقالي الاخير ، في جريدة « اليوم » الغراء على المؤامرة الهائلة ، التي فضحت امرها ، في ذلـــك المقال ، شغل بال القراء ، واضاف الى اضطرابهم ، من تلك المؤامرة اضطرابا جديداً ، يشبه الخوف من الخطر المجهول ، فراحوا يتسألون عما عسى ان يكون هذا التعديل ، الذي هو شر من المؤامرة .وقد سالني فريق كبير منهم ، هذا السوال ! وهذا هو الجواب: يظهر ان قضية تهجير العناصر من والى .. بدت قضية شديدة الخطر ، مستحيلة التطبيق ، اذ ان رجـال السياسة والدين ، الذين اشرت اليهم ، في مقالي السابق ، علموا بعد كل حساب ، ان لهذا التهجير طريقتين ، اثنتين لا غير :

الطريقة الاولى . ــ دفع الاموال الطائلة ، لهذه العناصر ، ثمنا لما تملك كله ، لتنتقل راضية ، من مكان الى مكان ، وهذا ان تيسر من الناحية المالية ،فهو غير متيسر من الناحية النفسية لان هذه العناصر ، كلها او كثرتها ، في لبنان وسورية ، تأبى لها نفوسها القبول ،بمثل هذا ، لما فيه من معنى الهزيمة والانكسار ، عدا التعب والخسار !

الطريقة الثانية . ــ استعمال الضغط الشديد ، على هذه العناصر ، والجائها بالقوة ــ والقوة مظاهر مختلفة خارجية وداخلية ــ الى الرحيل ، وهذا يخلق عندنا «فلسطينا» ثانية وهم تنؤ اكتافهم بفلسطين واحدة !! فما الحيلة اذن ؟ ما الحيـلة لقتل الشعور العربي القومي ، في هذا الساحل ، قتلا تاما ، وفرنجته وصهينته ، فيغدو صالحا ،ليقوم سدا منيعا ، بين هولاء العرب ، في الداخل ، القريبين منهم والبعيدين ، وبين هذا البحر العربي ، البحر المتوسط ؟ ! ما الحيلة في اقامة حصن من حديد ونار وحقد . ! بوجه هولاء العرب وخنقهم ! هولاء العرب الذين يهددون ، بتيار عروبتهم ،سلطان

دول استعمارية في افريقيا الشمالية وغيرها ، قال قائل منهم : الخطب ايسر مما تظنون ، فان عندي تعديلا ندخله على « المشروع » : نبقي هذه العناصر حيث هي، ولكننا ندخل عليها ، عناصر جديدة نفرقها فيها . واستقر الرأي على ما يلي :

١ تلحق المنطقة ، التي ما تزال سورية الداخلية ، في عرس لانها اصبحت جزءاً منها ، « منطقة العلويين » كلها، بلبنان ، فان الكثرة الغالبة من سكانها ، في نفوسهم استعداد قوي للتفرنج ، او ليسوا كما اوهموهم ، احفاد الصليبيين من الفرنجة !!

٢ – يؤتى بالعناصر غير العربية ، من داخلية سورية ، من ارمن وكلدان وسريان ، وهولاء الذين سمتهم انكلترا « اشوريين » وغيرهم ، الى لبنان فيوزعون هنا وهناك .

٣ – تباح البلاد «لبنان» لمن يشاء ، من الصهيونيين ، ولا سيما اوباب الرساميل الضخمة منهم ، فيزدهر لبنان ازدهارا ، عمرانيا وماديا ، « ولذائذيا » او اباحيا ، معه كما تشاء ، يغري حتى المتعبدين للقومية العربية ، فكيف بالحائرين المترددين فيها والكارهين المبغضين لها !! .

٤ – يبدأ بحمل زعماء العلويين ، على تقديم عرائض ، الى عصبة الامم وغيرها ، بطلب الانضمام الى لبنان ، طلبا معللا .

٥ – يعلن ، أو يسر الى اللبنانيين ، او فريق منهم ، ان انضمام العلويين الى لبنان ، انما هو تدبير ، في مصلحة لبنان اذ يصبح دولة لا باس بها !

هذا هو التعديل ، الذي ادخله المتآمرون على العرب ، وفي مقدمتهم عرب لبنان ، على المشروع الذي فضحت امره ، في مقالي الاخير ، .

وانه في الواقع لامر جد خطير ، يجدر باهل الكرامة القومية ، والنظر البعيد ، من العرب ، في مختلف الاقطار ان يابهوا له ويعنوا به .

ولعل اهل الكرامة القومية ، واهل الحرية والسيادة والنظر البعيد ، في لبنان، اجدر من غيرهم بهذا ، واحق .

«اليوم» كانون الثاني ١٩٣٨ .

اتكون بداية المرحلة العملية

« .. واول هذه الغايات المشتركة ، الدفاع بعزم لا يتزعزع عن سلامة العالم العربي ، والذود عنه ضد كل خطر يمكن ان ينشأ عن اضطراب الحالة الدولية الحاضرة . »

ـ من خطاب توفيق السويدي وزير خارجية المملكة العراقية في عصبة الامم في جنيف ـ

اللهم ! انك تعلم انني كنت اؤمن بهذا ، منذ سنين . ومن اوتي الايمان فقد اوتي خيراً كثيراً .

الا وان الخير الكثير ، في ايماني هنا ، هو ان هذا الايمان ، عصمني من النكوص على عقبي ، في وجه جيوش اللأواء والشقاء . وفي وجه زبانية التغرير والاغراء . وفي وجه اهل الصفاقة والحقارة والاستهتار ، يتهمونني ورفاقي « بالجنون » ، ويحكمون علي وعلى قومي ، ان كتب علينا ذل الابد . قولة جهل وضعف وافتراء وصغار !

لقد درست تاريخ امتي فعلمت ، وما غويت فآمنت . ومن اوتي الايمان فقد اوتي خيرا كثيراً .

آمنت ، عن عقل وعلم ومقابلة وقياس . ان امة تضع اول شريعة في الكون : « شريعة حمورابي » ثم تنشيء مدنية العربية السعيدة ، اجيالا طوالا ، ثم تعود ، بعد ان تغرق في جاهلية مظلمة ، فتنكر على الدنيا تمحق ما فيها من ضلال وظلم وظلام ، وتتدفق بين ايديها انوار الهدى والعدل والحضارة والعلم ، فتغمر الدنيا هذه الانوار ، وتخوض البحار ، بحار الرمال ، وبحار المياه ، راضية مختارة ، مطمئنة ، طامحة في غير غرور ، مؤمنة بمثلها الاعلى ، في غير زيغ ، فتحطم امبراطوريات ، وتقيم على انقاضها امبراطورية عجيبة ، ما عرفت الا في ظلها

وحدها المدنية العدل : المدنية الجامعة محاسن المدنيتين ، المادية والروحية ، منذ ان عرف تاريخ البشر حتى هذه الساعة ، ان امة عملت هذا كله ، وهي بعد ، منبثقة من قلب البداوة ، لخليق بالرجل ذي العقل ، والمروءة والعلم ، ان يرى فيها سرا من اسرار العبقرية ، هو باعثها يوما حتى من القبر . ومانعها - مهما يظهر من انحطاط فيها ، جره الزمن ، ومن تضعضع وضعف - ذل الابد « كما يزعمون » وعبودية الدهر !

اجل لقد بدا هذا الذي امنـــا به ، وسعينا له ، وعملنا في سبيله ، متواضعين صابرين ، يظهر للناس جميعاً ، كما ظهر لنا نحن ، انه حق ، وانه واقع يوما ، حتما ، كما بشرنا به منذ سنين .

لقد كانت ظلمات السياسة ، وبقايا من ظلمات عصـــور الانحطاط ، تغرق في بحرها الواسع ، هذ الذي نعدبه العرب ، فلا يراه ، الا اولو الصبر والعزم ، من اهل القلوب التي لا تعمى في الصدور .

وكنا نعلم ان المحنة لا تنكشف عن العرب ، الا بعد ان تمعن في العرب ، امعانا يستوي معه ، الموت ، في نظرهم والبقاء . وكنا نعلم ان هذا الامر ، الذي امنا به ، ودعونا اليه ، ينبغي له دولة من الدول العربية ، تؤمن به وتـدعو اليه ، فرضا عليها مقدسا ، بل حقا لها طبيعياً ، فتكون في بلاد العرب ، كما كانت بروسيا في بلاد الجرمان .

كنا نعلم ذلك ، ونعمل له ، وكنا حفنة من الشباب من هذا القطر ، وهـذا القطر ، لا يؤذينا ان تكون هذه الدولة العربية ، في اسيا ، او في افريقيا ،فتكون الدولة اللبنانية ، مثلا ، او الدولة المصرية او غيرها ، فانما نحن عرب ،ودول الاقطار العربية ، عربية كلها ، ودولتنا كلها !

ولكننا في الوقت نفسه، كنا نلمح رسول هذه الدعوة ، في سهول قطر المشترع الاول ، من ابناء الدنيا كلها ، المشترع العربي « حمورابي » ، مقر المملكة العربية البناءة الثانية : العراق .

واختار الله فلسطين ، للمحنة التي ستكشف محنة الاستعمار ، والذل ، عـــن

العرب ، كما اختارها منذ الفي سنة ، لمحنة السيد المسيح ، التي انكشفت بواسطتها ، محنة الوثنية عن الدنيا ، فارسل العراق بشخص وزير الخارجية في المملكة العراقية صوته المجلجل ، من على منبر عصبة الامم يدوي في آفاق المعمور :

« ... واول هذه الغايات المشتركة بين دول عربية ثلاث ، تؤلف حلفا عربياً وهي اليمن والمملكة السعودية والعراق « الدفاع بعزم ، عن سلامة العالم العربي ، والذود عنه ، ضد كل خطر ، يمكن ان ينشأ عن اضطراب الحالة الدولية الحاضرة »

وفتح العالم عينيه يوم تشرين الاول من عام ١٩٣٨ على شيء جديد . ماذا ؟ ؟ اتكون ولدت حقا في هذا اليوم « بروسيا » البلاد العربية ! !

بلى ، والا فما معنى خطاب وزير المملكة العراقية وممثلها في عصبـــة الامم ، يُلقيه على مسمع من الدهر ، وهو يعرف بما فيه من تبعات !

اننا ما نستطيع مهما يكن من امر ، الا ان نرى في خطاب الوزير العربي ، اعلانا رسميا ، صريحا حازما ، لمنهاج سياسي قومي محض ، وسياسة قومية واسعة عليا ، يتمخض بها « العالم العربي » منذ عشرات السنين ، ويطالب بها احرار العرب ، المصلحون القوميون البعيدو النظر ، منذ زمن غير قصير .

سعداً لحكومة صاحب الجلالة ، من ابناء هاشم المساعير ، ان هي كانت جادة ، وسقيا لابناء يعرب ، في العراق ، ينشدون ، مع ابناء عمومتهم في فلسطين :

ليس للذل حيلة في نفوس   يستوي الموت عندها والبقاء .

« اليوم »   تشرين الثاني ١٩٣٨ .

لقد سكرت الامبراطورية كلها

سكر الساسة وسكر الجيش وسكر القضاة

لسنا نطمع في رحمة . فالطمع في الرحمة شأن الضعيف والجبان والمجرم والذليل ونحن بحمد الله ، وفضل الامهات والاباء ، وعبقرية الاجداد العظماء الانقياء ، المتخلقين باخلاق الرسل والانبياء ، لسنا ضعفاء ، ولا جبناء ، ولا مجرمين ولا اذلاء .

ولكننا نطمع - ونقولها كلمة جد وصدق ، من غيرما « دبلوماسية » ولا احتياط ، في وحي ضمائر الرجال ، غير الوحوش ، ونعتقد ان في الناس فعلا اناسا ، يقدرون على خنق الوحوش الكامنة في زوايا النفوس البشرية ، تمد رأسها بين يدي ، كل شهوة ، مجنونة ، من شهوات اللحم ، او الدم ، او السيطرة ، او المال .

اجل ، اننا نطمع في وحي الضمائر ، من هذا الطراز ، ونعتقد ان في بلاد الانكليز ، بقية من مثل هذه الضمائر ! رغم ما عرفه الثقلان ، من ان الانكليز في فلسطين ، يقتلون ويغدرون ويعذبون ويجلدون ويسجنون ويشردون ، ويهدمون المنازل ، ويكشفون العورات ، ويهتكون الحرمات ، وينتهكون المقدسات وانهم ، ان هم عجزوا عن هذا ، لجأوا الى ما يلجأ اليه الصبيان ، الذين فقدوا والديهم ، فلم يقم احد على تربيتهم ، وتهذيبهم ، او كان والدوهم ، هم انفسهم ، لا تربية ولاتهذيب فنشأوهم ، على غرارهم ، تصل ايديهم الى انواع المؤن ، مثلا ، في منزل ما ، من ضروريات وكماليات ، فيخلطون القمح بالشعير ، بالبرغل ، بالرز ، بالحمص ، بالعدس بالفول ، بالزيت ، بالتراب ، بالسمن ، بالبن ، بالسكر ، باللبن ، بالزبدة ، بالكاز ، بالصابون ، بالدبس ، بالبوطاس ، بالزفت ، باشياء اخرى ... ثم يروح هؤلاء

الصبيان ، واصابعهم في انوفهم القذرة ، وافواههم النتنة ، ومواضع اخرى ، يضحكون ويلعبون ويتشاتمون ، ثم ينصرفون كل واحد الى مأواه ، فينامون ملء عيونهم ، وقد يحلمون ، في غطيطهم ، احلام ابناء الناس ، واهل الفضل والكياسة ، من الناس .

لقد سكرت الامبراطورية كلها ، سكر الساسة ، وسكر الجيش ، وسكر حتى القضاة . ورغم هذا الذي يفعله الانكليز ، كله ، في فلسطين ، من اعمال السكارى ، والصبيان والجلادين ، نعتقد ان في بلاد الانكليز ، ناسا ، يقدرون على خنق الوحوش الكامنة في نفوسهم ، ونطمع في وحي ضمائر هذا الناس ! ذلك اننا نشعر بضمائر لنا ، يُطمع في وحيها ، وتُحنى الرؤوس لحكمها . والى هؤلاء نسوق الكلام .

قلنا ، اننا لسنا ضعفاء ولا جبناء ، ولا مجرمين ، ولا اذلاء ، وهذه دماء شبابنا ، نجود بها على تربة وطننا المقدس ، فتسقيها كل يوم ، مرة ومرتين ، وثلاث — تشهد .

وهؤلاء هم ، حتى الشيوخ والاطفال ، منا ، من ذكور واناث ، يتلقون رصاص بنادقكم وقنابل طياراتكم ، فتشوي لحومهم ، وتطحن عظامهم ، وهم مقدمون لا ينثنون — يشهدون .

وهؤلاء هم ، ضباطكم وجنودكم ونساؤكم ، يقعون بين ايدي ثوارنا ، فيلينون ويتمسكنون ، فتتعرض بينهم وبينهم ، اطياف النبل ، والمروءة ، والحلم ، وجلال التقاليد ، عند كرام الناس ، فيدعهم الثوار ، وشأنهم ، ويغضون ابصارهم : عن مسكنتهم ، سلوهم ، انهم — يشهدون .

وهؤلاء ممثلوكم في فلسطين ، من عظماء ابنائكم ، من مندوبين وحكام ، يحاولون اغراء قادة الفكر ، واهل الرأي منا ، من شيوخ وشبان ، باعلى المناصب واضخم الثروات ، ليلينوا ويهدأوا ويستخذوا ، فتعصف في رؤوس الشيوخ ، قبل الشبان منا ، عواصف العزة العربية ، ويختار الشيوخ ، قبل الشبان ، على وسائل الاغراء ، السجون ، والمنافي ، ورؤوس الجبال ! سلوا مندوبيكم وحكامكم —

انهم – يشهدون .

آامنتم اننا غير ضعفاء ، ولا جبناء ، ولا مجرمين ، ولا اذلاء ، آامنتم ، اننا لمن نضحي بمغرز ابرة ، من فلسطين ، للانكليز ، والصهيونيين ، ونضحي في سبيلها ، ارواح الملايين ، من العرب الخيرين ، اننا حقا لمجانين !!

آامنتم اننا لا نطمع في رحمة ، ام انتم غير مؤمنين ؟!

بلى ، لقد آمنتم ، فانتم الفئة المختارة ، في بلاد الانكليز ، التي تفاخر بعدل الانكليز ، وشرف الانكليز ، وجلال التقاليد ، والشرائع المتوارثة ، عن الانكليز ، وسمو المبادىء التي تزعم احزاب الانكليز ، ان شعبا ، لا يصونها ، مثل الانكليز ، وانتم الفئة ، التي خنقت في نفوسها ، الوحوش الكامنة ، من بين الانكليز .

فالى متى ايها الانكليز ؟!

الى متى ، يتمادى بكم السكر ، ويركبكم الوحش ، ليس الا لتقهروا العرب في فلسطين ، وتهدموا منازلهم ، وكنائسهم ، وجوامعهم ، وتقتلوا اطفالهم ونسائهم وشيوخهم ، وتخطفوا رجالهم ، فلا يعلم احد ، مقرهم ! الى متى ؟!

لقد خطفتم اخر مرة ، ثلاثين عربياً ، نسمي لكم فريقاً منهم . ذياب الفاهوم من الناصرة ، وراجح العبوشي من جنين ، ومحمد ابو جعب من قباطية ، وامين صفوري ، من صفورية ، وهربتم بهم ، الى حيث لا يدري احد ، وقد ضاعت الحيل ، في البحث عن مقرهم ، فلم يهتد اهلهم ، ولا احد غيرهم ، الى مقرهم ، ولا تبوحون انتم بهذا المقر ، انكم حقا ، ابق واجرأ من « زمرة » شيكاغو ، واهدأ بالا واربط جاشا من « الجماعة » التي عقدتم من اجلهم مؤتمر « نيون » .

فالى متى ؟؟؟

الى ان تزول الارض عن نهج سيرها .

وتصبح هذي الكائنات خرابا ؟؟

أالى الفناء والافناء ؟

حنانيكم ، ان الذين يفنون منا ، يخلدون في هالات من البطولة والمجد ، وفي

ضمير الانسانية ، وضمير الحق ،الذي لا يفنى ولا يموت .

والذين يفنون منكم ، حتى والذين يبقون منكم ، عـــلى وجه الارض ، يبقون كالارقام على ورقة صفراء متعرئة ، يكاد الناظر اليها لا يتبينها لكثرة ما تراكم عليها من شحوم ، ومن زيوت ومن ... اقذار

بيروت

«اليوم» سنة ١٩٣٨

العروبة في مصر

من مؤتمر الشباب الجامعيين ، وشباب المعاهد العليا في مصر ، الى زملائهم من الشبان العرب في كل مكان :

ايها الزملاء الاحرار

ينبعث اليوم صوت الشباب المصري العربي عالياً لنصرة العروبة في مختلف ربوعها واقطارها ولنصرة فلسطين الجبارة المجاهدة وهو صوت داو انبعث بعد تفكير وصدر بعد روية وتدبير ، ويريد شباب الكنانة من هذه النهضة المباركة ان يساهم في النصيب الاكبر في بعث مجد الاباء والاجداد لذلك كانت غضبتهم مضرية لفلسطين وموقفهم صريحاً من الوحدة العربية حين اعلنوا قرارات مؤتمرهم العتيد الذي تم انعقاده يوم السبت الموافق ١٣ رمضان ١٣٥٦هـ و٥ نوفمبر سنة ١٩٣٨ تلك المقررات التي كان لها صداها البعيد في جميع ربوع الشرق .

وقد حرص المؤتمر ان يكون واسطة تآلف واتحاد بين ابناء الاقطار العربية ابتغاء توحيد الجهود وتقويم روح التعاون والتناصر لاعانة فلسطين ولبعث الوحدة العربية فكان بين قراراته ما نصه :

يكلف المؤتمر لجنته التنفيذية ان تتصل بالجامعات والمدارس العليا في الاقطار الشقيقة : العراق ، سوريا ، فلسطين ، لبنان ، شرق الاردن ، اليمن ، المملكة العربية السعودية ، شمال افريقيا ، وبقية الاقطار العربية الاخرى لتوحيد الجهود والعمل على معاونة المجاهدين في فلسطين بكل الوسائل على ان تكون لجنة مصر هي اللجنة المركزية .

اننا نقدم هذا دليلاً ملموساً لمن يماري ويكابر ويصر على ان يقول ان الشباب العربي لم تدركه نهضة بعد ولما تظهر في صفوفه روح التآلف والتضامن .

ان الشباب المصري العربي ليدرك اليوم جيداً ما عليه من مسؤولية قومية مقدسة تجاه العروبة ومجد العروبة وانه يعلن للملأ على رؤوس الاشهاد ان مصر جزء خطير من الامبراطورية العربية ستسير في المقدمة في ميدان الجهاد القومي وستتولى بنفسها ومن ورائها الاقطار العربية الشقيقة تحقيق غايتنا العليا وادراك هدفنا المشترك الاسمى الا وهو اعادة بناء الوحدة العربية مهوى افئدة العرب وملتقى آمالهم ومجال مجدهم ، ونهضتهم ، ذلك كي يتهيأ للعروبة ان تعود لتبليغ رسالة النور والمدنية والسلام التي هيأ الله العرب لتبليغها لبني الانسان كافة ولتساهم في السياسة العالمية مساهمة تتفق ومكانتهم السامية بين دول العالم المتمدنين .

لذلك يتقدم شباب مصر الى زملائهم واخوانهم الابرار في الاقطار العربية الشقيقة ليبلغوهم ما عزموا عليه ويدعوهم الى المشاطرة فيما قاموا فيه لنصرة فلسطين وانقاذها من الاستعمار ومن الصهيونية غير متقيدين بنعرة اقليمية او نزعة محلية او تعصب ديني او حزبي . بل مبدأنا المقدس وشريعتنا السامية هي العروبة .

بعد هذا ترجو اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب الجامعي والمدارس العليا في مصر للدفاع عن فلسطين من لجان وهيئات الشباب الجامعي وشباب المدارس العليا في الاقطار العربية الشقيقة ان يسارعوا الى تأليف لجان تعمل للغرض المذكور على ان تتصل بلجنتنا هذه كي يتسنى لنا جميعاً ان نحقق ما صممنا عليه من مشاطرة فلسطين جهادها ولتكون خطوتنا هذه مستهلاً لعهد سعيد للعروبة .

وسلام الله على العروبة ما دامت العروبة

اللجنة التنفيذية
رئيس اللجنة :
عبد الرزاق احمد الحمود
في كلية الحقوق بالجامعة المصرية
في القاهرة

على الرحب ... شباب الكنانة

كان يوم ٥ تشرين الثاني من هذا العام سنة ١٩٣٨ في مصر يوماً مباركاً ، صرع فيه فجر اليقين ظلمات الشك ، ومحقت انوار الايمان الصادق ، والفكر العميق الواسع ، والجرأة الصحيحة الخيرة ، اشباح الوهم والوسوسة والتخيل ، التي تولد الحيرة ، وتخلق البحران ، فيضل الدليل ، ويضل القائد ، ويضل من ورائهما ملايين البشر ، فاذا هم يرون ان هذا الذي بين ايديهم ليس هو ما عملوا له . وان الهدف الذي يواجهونه ليس هو الهدف الذي جاهدوا من اجله ، وافنوا اموالهم واعمارهم في سبيله.

لقد طوي في مصر يوم ٥ « نوفمبر » عهد وبدأ عهد .

لقد ارتفع في مصر يوم ٥ « نوفمبر » صوت ثلاث الف واربعمائة سنة فدوى في اذان سبعة عشر مليون نفس وفي صدورهم ، ثم اخذ يجلجل في آفاق بلاد العرب جميعها فأيقن العرب كما ايقنا نحن في هذا القطر العربي لبنان في مقدمة الجميع ، ان الحقيقة التاريخية ، والعلمية ، قد برز اخيراً جنودها البواسل المؤمنون في مصر ، ليشقوا لمصر ، على اضواء هذه الحقيقة ، جادة الصواب في الاتجاه القومي والسياسي الصحيح ، ويهدوها الصراط المستقيم في طلب الزعامة والمنعة والعز . لقد شاءت السماء في يوم ٥ « نوفمبر » ان تدلل من جديد على ان الحق عندما يقذف بجنوده الباطل يزهقه ، ومتى كان الباطل غير زهوق ؟

وكانت مصر هذه المرة مجرى هذا الدليل .

تعود اقطاب السياسة ، واقطاب الفكر المصريون ، ان يقولوا في بعض الكلام على الاقطار العربية ، سواء أفي الخطب ام في المقالات ام الاحاديث : « الاقطار الشرقية » فكان يؤلمنا ويجرح كبرياءنا القومية ، ان نكون في نظر مصر ، كالصين والهند واليابان وتيبت وجاوا (ونيام نيام) ليس اكثر علاقة بمصر ، وارتباطاً

...ر وقربى لمصر .

ذلك هو عهد الحيرة والبحران الذي مرت فيه مصر، والذي طواه الى الابد يوم ٥ نوفمبر ، مؤتمر الشبان ، الجامعيين والمدارس العليا في مصر .

وبدأ العهد الجديد الصالح المبارك المنتج، عهد اليقين بعد الشك، وعهد الاطمئنان والاستقرار بعد الحيرة والبحران ، عهد القومية العربية لمصر ، قوميتها التاريخية العلمية الحقيقية الخالدة، التي تحسن الى مصر وتحسن بها مصر الى الاقطار التي تنتظمها هذه القومية جميعاً .

وبعد ، فعلى الرحب شباب الكنانة، لقد لبيتم اخيراً ، نداء العروبة ، في اقصى ضمائركم ، فانزلوا منها في السويداء ، تبرون بها ، في ايمان وعلم ، وعقل واخلاص ، وفي رصانة وطموح وحماسة ونظام .

« الشمس » بيروت سنة ١٩٣٨

احذروا التعطيل

(خلوا) الجريدة تعيش

ان سوء ظن الناس بالسلطات القائمة في هذا البلد لشديد ، وانها حقاً لظاهرة ما يرتاح اليها احد من ابناء « الرعية » سواء اكانوا حكوميين او معارضين ، وانتدابيين ام استقلاليين . ذلك لان من المفروض ان يكون بين الراعي والرعية صلة نفسانية محكمة ، ومصالح مشتبكة مشتركة ، ولا تكون هذه الصلة عاملاً من عوامل الخير اذا هي لم تقم على اساس من حسن ظن متبادل . ويستحيل ان تصرّف سلطة ما ، امور الناس المسلطة عليهم بما ينفعها وينفعهم ، اذا انقطعت هذه الصلة بتاتاً بينها وبينهم .

ولا يرجى تأمين هذه المصالح المشتبكة المشتركة بين الفريقين ، اذا هي لم ينظر اليها الفريقان بعين الثقة المتبادلة ولم يعالجاها معالجة الحكيم المخلص المطمئن الى نية صاحبه وحسن رغبته وجميل قصده .

حينما عطلت « السلطات المختلفة » منذ ايام الجريدة التي كنت احررها سمعت اناساً يقولون : مستحيل . لا يمكن لجريدة تقول الصدق وتجهر بالحق ان تعيش !!

وحينما ذاع بين الناس ان جريدة « الشرق » ستصدر فيتولى ادارتها هيئة جديدة ، ويقوم على رأس تحريرها علي ناصر الدين ، كان يجيئني اناس بينهم الاصدقاء فيقولون لي : « احذروا التعطيل خلوا الجريدة تعيش . » اما صحيح ، شيء عجيب !! انه لاسراف في سوء الظن بالسلطات الاجنبية والمحلية القائمة في هذا البلد ! تريد ان تعلل النفس بخطأ اصحابه ...

وانها لثقة غالية مشكورة هذه الثقة التي يمنحنيها ابناء بلادي فيخشون ان تعطل هذه السلطات جريدة « الشرق » لانني اقول الصدق واجهر بالحق . ان الله ليريدني

على هذا فما ازعم لنفسي فيه فضلاً .

وان لمن اعز اماني ان ترحب صدور هؤلاء الناس القائمين بالامر ، وان يوسع الله لهم في مدى ما تنصرف اليه عقولهم ، وفي الافاق التي تمتد نحوها ابصارهم ، فاذا هم وهؤلاء الذين يسرفون في سوء الظن بهم ، سواء في تقدير الذين يقولون الصدق ويجهرون بالحق ، والثقة بهم والاصغاء الى قولهم والثناء على عملهم ، واذا هذه الصلة النفسانية تنشأ محكمة صالحة مليئة بالخير ، واذا هذه المصالح المشتبكة المشتركة مقضية على احسن وجه ، واذا الناس يقولون لمن يتولى تحرير جريدة ، من احرار الكتاب وامنائهم وورصنائهم : « جريدتك ستعيش » .

وبعد فنحن قوم توحيديون استقلاليون ، وقد عرفنا قراؤنا وعرفناهم ، وخبرنا ابناء بلادنا وخبرناهم ، فما بنا من حاجة الى الافاضة في اعطاء الوعود وقطع العهود. ونحسب اننا نضع السلطات الاجنبية والمحلية القائمة في البلاد في اسمى مواضع الاكبار والاجلال ، اذا نحن خاطبنا على مسمع منهم « جماعة » المسرفين في سوء الظن قائلين :

ايها الاخوان الاعزاء ، اننا من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه والذين ينتظرون دون ان يبدلوا ، واننا سنقول الصدق ونجهر بالحق ومع ذلك فسنعيش . ستعيش « الشرق » الى اجل ، نرجو ان يكون غير قصير ...

« الشرق » شباط ١٩٣٥

احصن للبلاد ام لفرنسا ؟!

في البلد اليوم ضجة شديدة حول سلسلة من الحوادث والاعمال نظن اننا نستطيع ترتيبها على هذا الشكل .

١ – تقرير السلطة الفرنسية نظام « المونوبول »

٢ – مقابلة بعض رجالات العاصمة العربية ، الاموية ، غبطة بطريرك الموارنة ، واتفاق هذا البعض مع غبطته – كما شاع وذاع وملاء الاسماع ... – على بعض امور

٣ – برقية غبطة البطريرك الماروني الجليل الى الوزارة الخارجية الفرنسية ، شكوى من الحالة الحاضرة على السلطات القائمة هنا واحتجاجاً – بنوع خاص – على نظام المونوبول هذا !

هذه هي الحوادث والاعمال التي خلقت هذه الضجة يتسلى بها افراد الشعب في مختلف اجتماعاتهم في القهوات و « اللوكندات » والمجالس والبيوت !

وليس من شك في انها حوادث واعمال « بتحرز » تستحق الاهتمام ، فان لها مصدراً اصيلاً واحداً هو الضيق الخانق ينزل بالبلاد فيهددها بالموت جوعاً ، وفي غير عز ولا كرامة ولا اباء .

ومهما يكن من شأن زعماء القول والفكر ... وارباب الوجاهة والنفوذ الحقيقيين ، او الوهميين الفارغين ، ومن موقفهم ، تجاه حركة غبطة البطريرك الماروني الجليل الجديدة ، فما يستطيع منصف الا ان يعترف بصحة هذه الحركة وخيرها وبركتها

وكنا نود لو ان الناس ، على اختلاف الوانهم السياسية ، ونزعاتهم العامة والشخصية ، اكتفوا بان يروا في هذه الحركة ، ما سبق وقلناه من غير ان يستغلوها استغلالاً غير شريف ، ومن غير ان يتخذوها ، حكة لحزازات واحقاد تعمل في

صدورهم ابداً

ولعل اغرب ما قرأناه في هذا الصدد ، قول بعضهم ، ما معناه ،ان البطريرك يخون فرنسا او يكفر بنعمتها وهي التي تحميه ؟؟ !! وقول بعض آخر ، ان بكركي لفرنسا ، في الشرق ، كحصون « فردون » في الغرب !! وفي القولين شيء كثير ، من المغالاة ، والتسرع في ارسال الكلام ، فبكركي ، اذا كانت تريد ان تشتغل في سياسة البلاد فمن شروط الحكمة والجلال ، المتصفة بها ، ان تكون للبلاد قبل كل شيء ، كما هي حصون «فردون» لفرنسا ، ذلك اخير وفي هذا وحده الغنى والكرامة .

ارأيت ، كيف ان ابناء فرنسا ، انفسهم يقولون ، كما اثبتت ذلك زميلتنا « البيرق » الغراء ، ان البطريرك الماروني انما هو راهب لا شأن له !!

وقد عللت البيرق هذا القول تعليلا صحيحاً ، يجدر بكل انسان ، الاعتبار به ، والرجوع اليه ثم قالت :

« هل يستطيع الخواجه « فيسيه » صاحب جريدة « لاسيري » الفرنسية ، ان يقول لقرائه ، لماذا يكون بطريرك الموارنة ، زعيم البلاد ، ومرجع لبنان ، عندما يماشي السياسة التي « يريدونها » منه ، ويكون راهباً ، لا شأن له ، ولا حق لامثاله بمعالجة السياسة ، عندما يعلن اقل ملاحظة ، على عمل اقتصادي ، من اعمال موظفي الانتداب !! »

كلا . ايها الصديق العزيز ، ان « فيسيه » ما يستطيع ان يقول لقرائه هذا الذي تطلب ، ... ولكنه يفعل ذلك سراً من غير شك ...

« الشرق » شباط ١٩٣٥

المسألة محبوكة الطرفين ...

منذ ايام ولبنان ، والجزء الساحلي من البلاد ، يتمخضان بحركة جديدة. وتجري فيهما ، حوادث وامور ، يهمس الناس بها همساً ، ويلقون في تفسيرها ، واستنتاج الحقائق من سيرها ، شيئاً كثيراً من العناء .

وكنا نشعر بهذا الهمس ونرى فيه على غموضه ، شيئاً من الرضى ، عما يجري والاستبشار به ، استبشاراً محدوداً طبعاً . وكان الناس على اختلاف مذاهبهم سياسة وغير ذلك ، وتشتت ارائهم ، وبعد ما بين طرق التفكير ، والفهم ، عندهم ، متفقين على امر واحد هو : ان « السكين بلغت العظم » . وان الحال تستدعي علاجاً نافعاً سريعاً ، مهما يكن من شأن الذين يقومون بهذا العلاج !

والصحيح ان هذا الشعور الشامل ، فيه كثير ، من الخير ، ونرجو ان يكون شعوراً مثمراً فعلاً ، اي ان يفضي باصحابه الى عمل منظم ، يستمر الى ما شاء الله . ونحسب انه سيكون كذلك اذا هو لم يقم من بين « العبيد بالدم والعادة » من يضله سبيله ، وينفث بين اصحابه سموم الافساد ، والتغرير ، والتفرقة ...

ان الذي نعلمه من امر هذا الشعور ، وما افضى اليه من اجتماعات ومفاوضات ، انه نتيجة مضي السلطة الاجنبية صاحبة الامر الفعلية ، في البلاد ، في تقرير نظام « المونوبول » رغم صرخات الغضب والفزع ، واصوات الاسترحام والضراعة !!

هذه الصرخات وهذه الاصوات التي ارسلها ابناء البلاد في مختلف انحاء البلاد ، فاذا هي تصطدم بمسامع صماء ، ونفوس لا تبالي بالصراخ ...

وانه نتيجة للمواقف المتوالية ، التي وقفتها هذه السلطة الاجنبية من بعض نواب البلاد ... ونعني بهذه المواقف تلك التي لم تراع فيها هذه السلطة ما ينبغي « لنواب » من تكريم واحترام .

اذن فالمسألة محبوكة الطرفين ... اي ان هذا الشعور ، سببه الخوف من الجوع من جهة ، والخوف على الشرف من جهة اخرى ، ولذلك قلنا اننا ننتظر له ، ان يستمر وان يثمر ، ونقدر الله على ان نكون غير مخطئين .

تقول الانباء التي لدينا ، ان غبطة البطريرك الماروني وصل نهار السبت الماضي الى حدانه احتج ، على الوضع الحاضر من اساسه وهذا الحدحد بعيد فعلا ، بالقياس الى ما يربط البطريركية المارونية الجليلة ، منذ القدم ، بالفرنسيين ، من روابط ويصلها بها من صلات ، تقضي حكما ، بالتحابب والمجاملة وترحيب الصدر ، والاعتصام بالصبر الطويل الجميل ، هذه الامور ، التي كانت البطركية المارونية الجليلة ، ترخب بها نفسها الطيبة ، عن كرم خلق ، وادب نفس ، فينبغي اذن ، ان نعتقد بان هنالك ، من المبررات ، القوية الخطيرة ، للاحتجاج ، على الوضع الحاضر من اساسه ، ما يتقدم به غبطة بطريرك الموارنة ، الى رجال السياسة الفرنسيين بيمينه ، والى الذين يلجأون اليه من ابناء البلاد ، في شدائد سياسية ، بشماله ، وهو معذور التصرف ، طاهر الذيل ، مرفوع الرأس .

«الشرق» شباط ١٩٣٥

القضاة والصحفيون في ميزان السماء

عرض جمهرة من ارباب الاقلام الذين يفهمون معنى لحرية الفكر والقول ، بين صحفيين و كتاب ، للقضية القائمة امام اعلى مرجع للقضاء في بر الشام ، على صاحب القبس . وبديهي ان يكون الذين كتبوا في هذا الموضوع ، وقـد نعتناهم بانهم يفهمون معنى حرية الفكر والقول ، قد اخذوا جانب الدفاع ، عن الزميل العزيز ، ورأوا في حكم المحاكم الاولى عليه ، ليس اجحافاً بحقه فحسب ، بل عوجاً ما يتفق في شيء ، مع ما ينبغي « للقاضي » من هداية ورشد ، وتأثراً بالسياسة ، وغير السياسة ينافي ما يجب ان يتصف به « القاضي » من صلابة واستقلال ، واعراض عـن سفساف الامور . واني لقائل بقول الاحرار الخلص من الزملاء ، ولكنني ذاهب في الامر الى ابعد ما يذهبون .

***

بـين الصحفي والقاضي ، فيما ارى ، علاقة وثيقة ، في الامم المغلوبة على امرها ، بنوع خاص ، وذلك من ناحية معنوية خالصة .

ففي قلم الصحفي ، الصحفي الحر ، السيد ، تعلق السماء مصير ابناء الارض الى احد عالمين : عالم الحرية ، الذي تطمح اليه النفوس المتعالية عن مستوى الحيوان ، وترى فيه قطعة نيرة من السماء ، وصورة مصغرة لما ترمز اليه ، من الوان الحياة على الارض ، وهذا عالمنا الذي نحلم به ، ونحس ان السماء نفسها تدفعنا ان نستحث « الانسان » للوصول معنا اليه ، وعالم العبودية ، الذي يتساوى فيـه المستخذي الذليل ، بالدابة الفارهة ، وغير الفارهة ، تشعر بالغريزة بانها شيء من هـذا التراب الفاني ، الذي تتمرغ فيه ليل نهار ، لا يعنيها الا ان يقدم لها ربها ، ما تحتاج اليـه

معدتها ، من العلف والماء .

ولعل صاحب القبس من هؤلاء الصحفيين القلائل الذين سخرت السماء اقلامهم ، في بلادهم للمضي بنفسه وبابناء بلاده الى العالم الاول ، مهما يكن شأن نجيب الريس ومهما يكن في نفسه ، وفي اعماله ، من الاشياء ، التي يعدهـا عليه بعض الناس نقائص واخطاء ، فانما الكمال لله

ومن هذه الناحية تبدو علاقة القاضي ، بالصحفي ، الصحفي كما افهمه واريده ، تلك العلاقة المعنوية الخالصة ، التي ارى فيها رسالة السماء ، تجمع بين الصحفيين والقضاة . فاذا كان « الصحفي » لسان السماء ، وصوتها الصارخ في الارض ، فان القاضي ضمير السماء والحاكم باسمها ، على هذه الارض . والقضاة والصحفيون ، ينبغي ان يرجح ميزانهم السماوي ، على موازين اهل الدنيا جميعاً ، ولو تعلق بهذه الموازين ، الملوك والامراء والرؤساء والحكام وكل ذي سلطان على الاطلاق ، فلينظر القضاة الاعلون في بر الشام ما هم فاعلون .

وبعد ، فما احسب ان صاحب القبس ، حتى ولو فرض ان « القانون المكتوب » يناله بشيء من العقوبة ، على ما كتبه ، يستحق ان ينزل به « القضاة » اي عقاب لانه حينما كتب ، كان مأخوذاً بروعة ما تطمح اليه نفسه ، من عزة لهذه البلاد ، وابنائها ، وبينهم الحكام والقضاة وغيرهم ، ومن منعة ، ومجد ، وخير .

وكلمة اخيرة الى القضاة . ايها القضاة لقد خسرت البلاد ، او خسر رجال الحكم في البلاد كل شيء ، فاعملوا على ان يرجح فيها ميزان السماء ، وهو ميزان عالم الحرية ، على ميزان الارض ، فتعيدوا الى البلاد شيئاً كثيراً

بيروت « السيار »

بنو معروف

لن انفك عن استعمال كلمة بني معروف ، بدلاً من كلمة « الدروز » ، الاسم الذي ما يزال يطلق خطأ ، على هذه العشيرة الكريمة ، مهما يكن من امر الدعايات الخبيثة ، التي ينشرها ضدي اشخاص ينتسبون ، ايغالاً في النكبة ، الى بني معروف ، وهم في الحقيقة ، ابغض الناس اليهم ، واشدهم ايــذاء لهم ، وابعدهم نكاية فيهم ، مستندين في نشر دعاياتهم ، ونفث سمومهم ، التي اسخر منها ومنهم ، الى انني ما استعمل في قولي ، وفي كتابتي ، الا كلمة بني معروف ، بدلاً من كلمة « الدروز » . ليوهموا هؤلاء انني اكرههم !! او انني لست منهم !! ومن اين لهؤلاء المارقين ، المتلونين تلون الحرباء ، عبيد السلطة ، وعبدة الاصنام من اشخاص واشياء ، من اين لهم ان يستندوا في ترويج دعاياتهم ، الدالة على مبلغ سخفهم ، وعلى مبلغ الحقارة في نفوسهم ، وعلى مبلغ النفاق في قلوبهم ، الى غير هــذا الامر ، وهم يعلمون علم اليقين انني – من غير ما تبجح ولا من – نقي الماضي والحاضر ، ابيض الصحيفــة طاهر الكف ، عنيد بالحق ، ويعلمون فوق ذلك انني من اشد بني معروف ، تعلقاً ببني معروف ، ومن اصلبهم عوداً في الحرص على كرامتهم ، ومن العاملين جهد طاقتهم للمحافظة على مصالحهم ، ورفع مستواهم بصدق واخلاص .

وما ادعي لنفسي في ذلك شيئاً من الفضل ، اذ ما استطيع ان اكون الا كذلك ، ما دمت اشعر واؤمن بنقاوة هذا الدم « المعروفي » في عروقي وحرارته . فلم يبق الا ان يقولوا انني انكر الدَّرَزي ، فاذا فعلوا ، فاللهم اشهد ، انهم يقولون الحق ، ويريدون الباطل ! انني انكر الدَّرَزي وألعنه ، وان بني معروف العارفين مذهبهم ينكرونه ويلعنونه ، وانه في الحقيقة لملعون !.

اذن فانا على حق وصواب ، في تسمية قومي ببني معروف . وعلى حق وصواب ،

في تسميتهم من الوجهة الدينية « بالموحدين » كما يسمون هم انفسهم ، وعلى حق وصواب حينما اقول ، سراً وعلناً ، في عقيدة والخلاص ، ان بني معروف فرقة من فرق الاسلام. وليسوا من فرق النصرانية او اليهودية !! كما يريد ان يزعم – في هذا الدور الذي ما كنت احسب ان يمتد بي زمني حتى اراه – بعض « كبار الطائفة المعتبرين » وبعض « شبانها الاذكياء المتمدنين » . لاغراض ومآرب ، كان من النخوة والأنفة ، ان ينزلوا نفوسهم منزلة من يزري عليها ، ويتعالى كبراً عنها . ومن شيمة بني معروف الحقيقيين المعروفين بالشمم والترفع عن حطام الدنيا ، ان لا يجعلوها ثمناً لماء الوجوه.

هذه مقدمة لم يكن منها من بد ، اوطيء بها لما اريد ان ابحث فيه ، من شئون بني معروف ، وهي واضحة نوراء ، مـا تحتاج شرحاً ، ولا تتحمل تأويـلاً ، فهي تشرح نفسها بنفسها . وهي في باطنها مثلها في ظاهرها ، تقطع السنة السوء ، وتسد على الحشرات البشرية ، مخارج الكلام . وبعد فلا دخل في الموضوع :

بنو معروف والعلم

لقد عاد التدليل على ان العلم امر ضروري ،ينبغي ان يعن فيه صبيان بني معروف وبناتهم على السواء ، شيئاً مبتذلاً ، كالتدليل على اننا في النهار، ولسنا في الليل،حينما يختفي عقرب الدقائق ، بطوله وعرضه ، في ساعة « الجمهورية المحترمة » ، وقـد قصر مدى الظلال ، عقرب الساعات ،وتعد اثنتي عشرة دقة – الظهر –.

فبنو معروف،الا اقلهم ، مقتنعون الاقتناع كله بان العلم امر ضروري، مـا تحدث احداً منهم في ذلك الا وتلمس فيه هذا الاقتناع ، ومع ذلك فانت ترى ان الاقبال على العلم،قليل بالقياس هذا الاقتناع ،وان عدد المتعلمين العلم الصحيح ما يتفق في شيء،مع ما نشهده من الرغبة فيه . فما هو السبب في ذلك ؟؟

هذا ما سأحاول ان ادرسه في هذا المقال . معلوم ان في بني معروف فئة انزلتها حادثات الايام منذ القدم منزلة الزعامة فيهم ، وكانت الزعامة عهدئذ تقوم بقلب جريء وساعد شديـد وكف سخي وسيف صقيل ، والله يعلم وحوادث التاريخ

شهود ان، قلوبهم كانت جريئة وسواعدهم شديدة واكفهم سخية وسيوفهم صقيلة طويلة فكانوا – الا البعض – زعماء بحق ، يخلصون لقومهم ويذودون عنهم ، ويطيعهم قومهم ويغار عليهم. تضامن فعلي يتفانى في القيام بحقه الرئيس والمرؤوس في اخلاص وحماسة وفي رضى واطمئنان ، كل ضمن دائرة نفوذه وفي ما يتسع له جهده . ثم اخذت الحال تتبدل ومناحي الحياة تتعدد وتتنوع ، ونقصت الحاجة الى البارود والحديد – الا في حالات معينة – بقدر ما زادت الى العلم والكياسة .

وعادت الثقافة الحق، الدعامة الاولى في بنيان الزعامة .وكان زعماء السيف من ابناء السلف الصالح قد خلوا هذه الدنيا تنفطر على فريق منهم القلوب . وظل الابناء من العلم والرأي والمنهاج ، زمناً غير يسير ، حيث كان الاباء والجدود ما يتبدلون ولا يتحولون ، مكتفين بالتغني بالمجد الموروث ، والاعتماد على جلال التاريخ...

بلى ! تبدلت الاخلاق عند الفريق الاكبر ، غير الاخلاق ، والنزعات غير النزعات ، فحالت المتانة الى رخاوة ، والكرامة الى صغار . وانصرفت النفوس الى الاسفاف بعد التسامي ، والى التدني بعد الترفع . فجل الخطب وعم البلاء ، وغدوت تسمع فريق الاباة المخلصين، وفريق الاجلاف التفعيين، يرددون ، اولئك ، في حرقة وتفجع ، وهؤلاء ،في لؤم وخبث : نعم الجدود...

وكان الجمهور ،-الذي لم يكن له في الزعامة العامة من نصيب ، قد اخذت تدب فيه – بفعل المهاجرة وغيرها – عوامل التطور ، وينمو في صدره ، حب التشوف الى المجهول ، ولكنه تردد قليلاً ، ينتظر ما يأتيه ابناء الزعامة فضاعت على العشيرة بذلك ، ايام وسنون . ثم انبرى هذا الجمهور يدفع بابنائه الى معاهد العلم ، فيعود هؤلاء منها ، وقد لعبت برؤوسهم ، لذة المعرفة ، وتفتحت ابصارهم وبصائرهم لعظائم الامور، فساء هذا فريقاً معيناً من ابناء الزعامة القديمة ، ممن تدلت اخلاقهم، واضاعوا تراث ابائهم واجدادهم، فلا هم بقيت لهم اركان الزعامة في اسلافهم، ولا اعدوا للزعامة الجديدة اركانا ، فهالهم ان يبرز من غير صفوفهم ، شبان ذوو شخصيات قوية بارزة ، – وان قلوا – يشقون لنفوسهم ، السبيل الى مواضع في الصدارة ، بما احرزوا من علم ، وتجملوا به من اخلاق . فراح ذلك الفريق من ابناء

الزعامة القديمة – قلّ ام كثر– يتوسل بشتى الوسائل، لتبغيض العلم الى «الدروز»، وتزهيدهم فيه ، يرمي من وراء ذلك ، الى استغلال الجهل لاستبقاء ضئيل نفوذه فيهم وسلطته عليهم . ولولا ان يكون في ابناء هذه الاسر – التي كنت اريد من صميم قلبي ان تبقى جميعها وبكامل افرادها محتفظة بدواعي الاكبار والاجلال – فريق تسلطن فيه شرف العنصر وكرم المحتد وبيض الخصال ، مع نصيب من الادب والعلم كبير ، لكانت حال بني معروف اسوأ مما عليه اليوم بكثير . اقول هذا تقريراً لحقائق واقعة ، بصفة كوني باحثاً عن الاسباب الحقيقية لدائنا،من اولها، بغية ان يزيلها الاحرار المصلحون البعيدو النظر من تلك الاسر وغيرها فتزول مسبباتها .

هذه من جملة اسباب عدم اقبال بني معروف ،على العلم اقبالا، يتناسب مع ما يصرحون به منفردين، من اقتناعهم بضرورته ورغبتهم فيه، وهناك اسباب اخرى منها الفقر . والقضاء على هذه الاسباب جميعها طرق ، في مقدمتها تكتل الجماعة المستنيرة والمخلصة من بني معروف ، وتأليف جمعية من المتعلمين والمتعلمات . تعنى بتعليم النجباء من الاولاد الفقراء عناية موزونة بميزان ... مضبوط دقيق .

١٩٣٣

بعد الحكومة الشعوبيه

بعد ان قضت فكرة عربية ، برصاصة عربية ، اطلقتها يد عربية ، على القائــــد العسكري بكر صدقي في العراق . وانهـارت الحكومة الشعوبية ، التي كان الفها السيد حكمة سليمان ، شعر العرب في العراق وفي مختلف الاقطار العربية بان كابوساً ثقيلا انزاح عن صدورهم . وان محنة شديدة انجلت عن بلادهم . واستدعى صاحب الجلالة الملك غازي ، بواسطة البرق في شهر آب ، على ما نذكر ، من سنة ١٩٣٧ احد رجالات العراق المعدودين ـ وكان مصطافاً في بحمدون ـ الى بغداد ، وكلفه تاليف الوزارة

وكان الجمهور العربي ، في العراق ، وفي غيره ، ينادي يومذاك ، نظراً لاحوال عراقية خاصة ، ان رجل الساعة ، انما هو ذلك الرجل ، الذي كلفه صاحب الجلالة ان يؤلف الوزارة،وبواسطة هذا التدبير ، ساد الرضى والاطمئنان في ذلك الحين، اهل الرافدين ، وغيرهم من العرب القوميين ، الذين يرون في العراق الدولة العربية القومية ، يعقدون عليها بواسم الامال

ذلك الرجل هو السيد جميل المدفعي الذي قدم استقالة وزارته امس ، لاسباب لا نسمح لنفسنا ، ان نخوض فيها ، او نعلق عليها ، قبل ان تنجلي الغمرة ويتضح اليقين

على ان الصديق الكريم السيد المدفعي ـ ونقول الصديق بعد ان ترك الحكم ـ قد يصح القول فيه . انه لم يحقق ، ما كان في نفوس العرب القوميين ، في العراق ، وفي غير العراق ، من آمال ومن مطامح ! وقد يكون السبب في ذلك ، عـــدم موآتاة الظروف ، كما قد يكون مزاجاً خاصاً ، او اجتهاداً خاصاً ، او امراً من مثل هذه الامور !

وعلى كل حال ، فان معالجة شؤون العراق وابداء الرأي ، في وزارة من وزاراته ، والحكم على زعيم من زعمائه ، وطريقة تصريفه الامور ، في هذا المنصرف او ذاك ، امور ليست هينة الى الحد الذي يتصوره ، بعض الكتاب والصحفين ، والذين يعنون بالامور السياسية في سورية ولبنان ! وليس لواحد من هؤلاء جميعاً، اذا كان يريد ان يكون منصفاً ، وان يكون رأيه موزوناً ومحترماً ، ونافعاً ، غنى عن ان يعيش زمناً في العراق ، يتفهم تاريخ العراق ، منذ الاحتلال على الاقل ، الى اليوم ، ويدرس الشعب العراقي ، في مختلف نواحي حياته ، ويتعرف الى نفسية قادته ورجالاته . وانه لمن الخطأ ، والخطر ايضاً ، بصورة عامة ان نبدي ارائنا واحكامنا ، جرياً مع العاطفة ، وتلبية لهوى النفس ، فكيف بهذه الاراء والاحكام تبدى استناداً الى العاطفة ، وذهاباً مع هوى النفس ، في شؤون دولة فتية ، مقدراتنا جزء من مقدراتها ، ومصيرنا متعلق الى حد بعيد جداً ، بمصيرها !

ان الذي يجب ان يهمنا ويأخذ قسماً كبيراً جداً ، من عنايتنا ، وبحوثنا وتفكيرنا ، هو العراق نفسه ، وليس وزارات العراق . هو الشعب بمجموعه ، هو الدولة ، وليس الحكومة !

ان حلمنا الذهبي القومي ، الذي نرى في تحقيقه سعادة الدنيا والاخرة ، ما يتحقق الا اذا كنا اقوياء ، بكل ما في هذه الكلمة ، من معان ، وفي كل ما في الحياة من نواح . فالذي يهمنا اذن من العراق ، ان يكون قويا ! والعراق ، يعلم انه لن يكون دولة قوية ، ما لم يكن عربياً قومياً ، بعيد المطامح القومية ، واسع مضطرب الجهاد القومي ، فلندعه يأخذ للامر اهبته ، ويعد للجلّى عدته . ولنقتصد في الموالاة والمعارضة لرجالاته ، وحكوماته ، فليس من الحكمة ، ولا من الاخلاص ولا من الكرامة ، ان نسرف في هذه او في تلك. فقد يكون بين رجال حكومة تسقط ، ورجال حكومة تقوم ، من خالص الصداقة ، ورفع الكلفة ، ما لا يحلم احدنا بان يكون بينه وبين احد منهم ، جزء ضئيل من مثله . وما يحمل الفريقين ، على السخرية بمن يحاول باسم الصداقة ، اثارة الخصومة والعداء بينهم ، فيرودع بالشتم

من يغادر الحكم ، ليستقبل بالتهليل من يجيء الى الحكم ،وهكذا دواليك ...

ولنعد الان الى السيد المدفعي المتهم « بالدكتاتورية » وحكومته ! فقد كنت في حزيران الماضي ، في العراق ، وسمعت شيئاً من التذمر ، من هذه الحكومة ، ولا سيما من الذين يحبون المدفعي ، ويحترمونه من شبان وغير شبان ، ولكن احداً لم ينتقد المدفعي لانه ديكتاتور !!

وبالعكس تماماً ، فقد كان الانتقاد يقوم على ان المدفعي ، لم يستطع ان يكون ديكتاتوراً ... وانه تجاوز الحد ، في طول الاناة ، وفي برودة الطبع ،وفي احسان الظن ، ببعض الناس ! ..

وانه صدم الامال فيه ، من هذه الناحية وغدا في نظر البعض ضعيفاً ، وقد نقلت الى فخامة السيد المدفعي ، يومذاك ، صورة مما سمعت ، وقلت له ، ان هؤلاء الناس ، مخلصون فيما يقولون ، وأنهم على صواب في امور كثيرة مما يطلبون ...

والان فقد ذهبت حكومة السيد جميل المدفعي ، وجاءت حكومة رجل ، اصبح في الواقع عالمياً ، ليس في حاجة الى وصف شجاعته ، ودهائه ، وانما نحن في حاجة شديدة جداً ، الى هذه الشجاعة وهذا الدهاء والى اخلاصه . والعراق الى هذا كله ، احوج منا جميعاً . وما اشك في ان السيد جمل المدفعي نفسه ، يتمنى من صميم قلبه ، ان يوفق السيد نوري السعيد ، الى ما قد يكون هناك ، من خدمة للعراق خاصة ، وبقية الاقطار العربية عامة ، لم يوفق اليها ، هو ، في خلال حكمه والعقبى الصالحة في ذلك ، لها معاً وللعرب اجمعين .

بيروت « المساء » سنة ١٩٣٨

موقف شرق الاردن

وموقف الهند والفرق بينهما

«... وبالنظر لتأثر طرق المواصلات بما يجري في فلسطين لم تتمكن الحكومة من اتخاذ الترتيبات الضرورية لتمثيل شرق الاردن فنرجو ان تتفضلوا بملاحظة هذه الاعتبارات وان تثقوا والمؤتمر الموقر بسمو امير البلاد وحكومته»

«رئيس حكومة شرق الاردن
ورئيس المجلس التشريعي فيها»

قد يستغرب القارىء انصرافي، الى المقابلة بين موقف شرق الاردن، وموقف الهند، ويتساءل عن العلاقة بينهما؟ ويقول لاي سبب لم يقابل الكاتب بين شرق الاردن وقطر آخر من الاقطار العربية ؟! والصحيح ان هذا الذي يخطر للقارىء قد خطر لي، ولكنني لم استطع ان اجد قطراً عربياً تصح المقابلة بينه وبين شرق الاردن، في مثل الشأن الذي يحملني على كتابة هذا المقال.

ان شرق الاردن، هذه البقعة العربية التي تتصل بفلسطين، اتصال الكف بالمعصم، او المعصم بالذراع والتي يسمع الجالس في قصر امارتها، مهما يكن ضعيف حاسة السمع، قعقعة السلاح فيها، وازيز الرصاص، ويشم، مهما يكن ضعيف حاسة الشم، في ارضها وسمائها رائحة البارود والديناميت، ويرى مهما يكن ضعيف حاسة البصر، اسوداد افاقها من دخان المعامع وغبار الجيوش، واحمرار حقولها وساحاتها مما يسيل فيها من دماء الثائرين وغير الثائرين، ان شرق الاردن هذه، لم تسمع ولم تشم ولم تر ولم تحس شيئاً من هذا، يوم دعيت الى المؤتمر البرلماني العربي في مصر من اجل فلسطين. واحست حساً واحداً فقط لا غير هو حس الاتانية

الضيقة الحقيرة ،يغذيها الاسترخاء والجبن والاستهتار ، فخشيت طرق المواصلات !!
وقالت معتذرة في غير تردد ولا استحياء :

«... وبالنظر لتأثر طرق المواصلات بما يجري في فلسطين ! لم تتمكن الحكومة من اتخاذ الترتيبات الضرورية لتمثيل شرق الاردن فنرجو ان تتفضلوا بملاحظة هذه الاعتبارات وان تثقوا والمؤتمر الموقر بسمو امير البلاد وحكومته !! »

رقاعة صفاقة !!

اعلمت ان نوابا لبنانيين من لبنان المتهم ظلماً باضاعة قوميته العربيــــة ،والمتهم بالتخاذل والاستخذاء والتفرنج ،لبوا دعوة الداعين الى المؤتمر ،واسمعوا العالم صوت لبنان الحقيقي ، صوته هو نفسه وليس صوت الدخلاء والجهلاء والنفعيين المستخذين الاذلاء ! اسمعت النائب العربي اللبناني خليل ابو جوده يفاخر بارتفاع صوت لبنان على ضفاف النيل « دفاعاً عن فلسطين البلد العربي السليب الحق » .

اسمعته يقول « ان اختلاف الاديان في العرب ، لا يضعف من متانة الاواصر ، التي تربطهم بعضهم بالبعض الآخر ، في هذا القطر وذاك القطر ، وان رأي لبنان ، في القضية الفلسطينية لا يختلف عن رأي بقية البلدان العربية جميعاً ، وهو ان تكون فلسطين للعرب وللعرب فقط »

ثم أسمعته كيف يختم خطابه في المؤتمر البرلماني العربي باسم الوفد اللبناني فيقول :
« ان ابناء لبنان ، لا يترددون في بذل اية تضحية تطلب اليهم ، في سبيل فلسطين وقضيتها العادلة !! »

الا ان هذا هو لبنان بوجهه الحقيقي ، غير المزيف ، وجهه العربي الطبيعي لا يحجبه وجه من وجوه المساخر ، التي يستعملها الصبيان ليلة عيد « البربارة » وبعض الرجال والنساء في المراقص واحيانا في غير المراقص ...

هذا هو لبناننا ، وهؤلاء هم اخواننا ، اهل لبنان مع اهله ، وسادة لبنان مع سادته ، لبنانيون عرب ، هؤلاء هم اللبنانيون ، وليسوا اولئك المتفرنجين المخنثين ولا « بقايا الشعوب المنقرضة » . وما ادري كيف يكون هناك بقايا للمنقرضين !!
ارأيت كيف ان ــ بعد هذا ــ لا تصح المقابلة بين شرق الاردن وبين اي

قطر عربي ، أو رأيت لاي سبب تقابل بين شرق الاردن وبين الهند ! الهند البلاد التي يفصلها عن فلسطين ألوف الاميال بحراً وبراً ، والتي لا تربطها بفلسطين رابطة لغة ولا اداب ولا عادات ولا تقاليد .

الهند ! التي تحس قدسية المقدسات الاسلامية والمسيحية ، في فلسطين ، تشم وتسمع وترى ، ما يجري في فلسطين ، فترسل جمعياتها واحزابها ، ممثلين عنها في المؤتمر البرلماني ، في القاهرة ، وتعتذر شرق الاردن المتصلة بفلسطين كما قلنا اتصال الكف بالمعصم ، او المعصم بالذراع ، والتي يربطها بها كل ما في الدنيا من روابط ،تربط الاخ باخيه وأبن العم بابن عمه ،من لغة وآداب وتاريخ وعادات وتقاليد وسلالة ومصلحة ، تعتذر الاردن هذه « بتأثر طرق المواصلات » فلا تبعث من يمثلها في المؤتمر البرلماني العربي المنعقد من اجل فلسطين والعرب اجمعين !

اريد ان اصحح . فانا اكتب هذا للعبرة وللتاريخ . لا ، ليست شرق الاردن التي فعلت هذا ، وانما الذي فعله هو امير شرق الاردن وحكومة الامير ، والمجلس التشريعي للامير ! ثم يجرأ هؤلاء جميعاً ، على استجداء الثقة من المؤتمر بالامير وحكومة الامير !

فيا عرب الدنيا ! ان لم يكن هذا وقاحة وصفاقة فماذا عساه ان يكون ؟!

بيروت « المساء » سنة ١٩٣٨

والملك ابن سعود ؟

هل يشعر بوجود فلسطين !

استميح ما يسمونه « المملكة العربية السعودية » عفواً . فقد نسيتها يوم قارنت بين « شرق الاردن » والهند ! وما ادري أدليل على غفلتي وجهلي، هذا النسيان ام هو دليل على شيء اخـــر ، يتصل بالمملكة المحروسة نفسها، كأن تكون لا تخطر ببال !!

انا رجل عربي قومي مؤمن ، اعمل في سبيل انشاء دولة عربية قومية كبرى ، فمن المفروض ان تكون الشعوب العربية ، والدول العربية ، مكتوبة اسماؤهـــا باحرف من نور امام عيني ، ما اغفل عن شعب منها ولا دولة ، فما الذي انساني دولة جلالة ابن السعود ؟

لعلّ الشيطان هو الذي انساني المملكة المحروسة ! ولكن الشيطان - قديكون شيطاناً آخر - يعود فيذكرنيها ، وانه لفضل ولا يعرف الفضل الا ذووه ..

ما اريد ان اشرح للعرب ، ولا للمسلمين في الهند ، هؤلاء الذين يستغلهم جلالة الملك باسم الاسلام ! واسم بيت الله الحرام ! اراء بعض كبار رجال جـــلالته ، انفسهم ، في مبلغ استعداده لبنيان ملك عربي ، ومدى تصميمه على خدمة الاسلام نفسه ، الذي باسمه يحاول ان يقيم ملكه ، فيما لو تعارضت هذه الخدمـــة مع مصالح دولة معينة ، من دول العالم العظمى ، او مع رغبات هذه الدولة ، فيوم هـــذا لم يحن بعد !

ولكنني اريد ان اشير ، اشارة خفيفة جداً ، الى موقف جلالة الملك، وموقف المملكة المحروسة ، من النهضة العربية ، منذ ان وقعت ولايته على الحجاز ونجد ، ثم ملك « المملكة العربية السعودية » ! افعل ذلك لمناسبة المؤتمر العربي البرلماني ، الذي

عقد في القاهرة ، ولم يرسل جلالة الملك احداً ، يمثله او يمثل المملكة فيه !

ثار العرب في سورية ، مرات متعددة ، بعد الاحتـــلال ، وكانت ثورتهم الكبرى الاخيرة، سنة ١٩٢٥ فكان جلالة الملك ديبلوماسياً فذاً محافظاً على الحقوق الدولية ! والتقاليد الدولية ، الرسمية ! في مثل هذه الحال الى ابعد حد . وقدحمدت له انكلترا وفرنسا موقفه هذا الرصين الحكيم ! واهدت اليه الحكومة الفرنسية هدايا ذات قيمة ...

وثار العرب في فلسطين ، مرات متعددة ، والتهبت ثورتهم هـــذه الاخيرة ، فاشعلت في صدر كل عربي ،نارا ، واهتزلها عرش الامبراطورية العظمى ،واضطربت لخطرها دول الارض ، وصاحب الجلالة السعودية مستمسك بالتقاليد الدولية الرسمية! معتصم بالحياد ، امعانا في الحكمة والرصانة والوقار ، وحفظا للصداقة وحسن العلاقة والجوار !! ...

وعقد المؤتمر البرلماني العربي في مصر ، وبقي صاحب الجلالة كما يصفه كثير من الذين تشرفوا بمعرفته ، وفي مقدمتهم الاستاذ الكبير امين الريحاني ، وكما تصفه الصحف الانكليزية ، مفكر جبار وعربي مخلص للعرب ! طماح الى بنيان امبراطورية عربية كبرى ؟ ! فاين هذا مما تدل عليه مواقف صاحب الجلالة العجيبة الغريبة !! هذه المواقف التي اشرت الى بعضها اشارة خفيفة ، ، والالم يحز في نفسي والشعور بان في ملوك العرب ، قومي ، ملوكاً يقعدهم اي شيء في الارض ، وفي السماء ، الى هذا الحد ، يكاد يخنقني .

انني اريد ان استوقف انظار المـــلوك ، والامراء ، والرؤساء ، في الشعوب العربية — حسبة لله — على امر جد خطير ودقيق ، وهو ان هذه الشعوب ،اصبحت لا ترى في ملوكها وامرائها ورؤسائها ، اذا هم لم يشعروا بانهم منها ولها ويعملوا في ايمان وجد واخلاص وشجاعة لتحريرها ، واستقلالهـــا ، ورفاهيتها ، ملوكا وامراء وروساء ... وانها على الضد من ذلك تشعر ، بان الملك والامير والرئيس والزعيم والقائد ، هو ذلك الذي يرافقها ، في حياتها ، ويعمل لترقيتها ، ويضحي في سبيل

توحيدها ، وتحريرها ، واحلالها المحل الذي تعتقد ، انها اهل له اهل وانه لها المحل الاشرف الارفع والاعز الامنع ، بين اهل الدنيا اجمع .

وبعد ، فقد يكون من الخير ، ان يتخاذل بعض ملوك العرب وامرائهم ، فتقوم هذه النهضة العربية ، التي نغذيها بعصارة الادمغة ودم القلوب ، على اكتاف جماهير الشعوب العربية كلها ، فتكون نهضة جبارة شاملة تخلق الملوك والامراء ، ولا يخلقها الامراء والملوك .

بيروت «المساء» سنة ١٩٣٨

يحملون السلاح في وجه الوطن

تتبعنا اخبار الفتنة في العراق منذ ان « ايقظها » الذين لعنهم المصلح الاعظم ، الرسول العربي الامين ، الى اليوم ، فكنا نرى فيما تذيعه الصحف وشركات البرق ، من انبائها ، كثيراً من الخلط والتخبيص من جهة ، وكثيراً من الدس واللؤم من جهة اخرى ، فرحنا نستقي الانباء من مصادر ، نعتبر انها المصادر المطلعة المخلصة ، فاذا هذه المصادر تثبت ما كنا قد ذهبنا اليه من ان الفتنة موضعية بحت وان اللعنة في الحديث الشريف : « الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها » غير متناولة هذه المرة لا الانكليز ولا الفرنسيين ولا الروس ، وانما تتناول ـ ويا للاسف ـ عربا في العراق من بنى عمومتنا ، كنا لا نشك في صدق عروبتهم ولكن العربي الصادق الامين ، العربي المتحدر من اصلاب عربية ، والنازع الى غايات عربية ، يستكبر ان يكون موقظاً للفتنة في قومه ، يبتغي من وراء ذلك عرضاً ، من اعراض الدنيا ، او داعية للتهديم في بنيان وطنه ، يطمع من وراء ذلك بمال او جاه او سلطان . اما الذين حملوا السلاح من بني عمومتنا في العراق ، فما نعيرهم بقولنا : ضد من يقوم هؤلاء الناس ، وعلى من يثورون ؟ استخفافاً بهم ، وتحقيراً من شأنهم ، فانما هؤلاء الناس الذين حملوا السلاح في وجه وطنهم ، من غير ان يدروا ، هم هم الذين حملوا السلاح ، في وجه اقوى دولة من دول الدنيا . انما هؤلاء الناس هم هم الذين هزوا ارض العراق بوقع سنابك جيادهم وسدوا افواه مدافع الانكليز باجسامهم واجسام نسائهم وفلذات اكبادهم ، ثورة على الغاصب المستعمر ، وذوداً عن الحمى المستباح ، وتطهيراً للشرف العربي يدنسه العلج المتغطرس ، وتلبية لصوت الله في فم الوطن المذبوح ، هذا الوطن ، الذي يحملون السلاح ، اليوم ، في وجهه ، ولا يشعرون بما يفعلون . اننا ما نعير هؤلاء « الثائرين » ولكننا نتألم لهم ، ونشفق

عليهم . وندعو الله ان ينزل السكينة على نفوسهم ، ويفتح للهدى والمعرفة عقولهم ، فيدركوا ان موقظي الفتنة ، الذين لعنهم الرسول العربي الامين ، منذ ثلاثة عشر قرناً ونيف ، ما يزال فريق منهم يسعى فيما بينهم حتى اليوم ، يحرضونهم على الاقتتال ، باسم الوطن ، وباسم الحق ، وباسم الكرامة . والكرامة والحق والوطن ، هذه المقدسات الغالية ، في خير وفي طمأنينة ، وفي حصن من المناعة حصين ، ما دامت لا تُستغل ، لعرض من اعراض الدنيا ، من مال زائل ، او جاه زائف ، او علو سافل !! . وما دامت لا تُستغل ، للنكاية ولا تتخذ حكة للحزازات .

وانا لنهيب باخواننا ، وابناء عمومتنا ، في العراق ، الى التفكير في عواقب هذه الفتن ، تمد رأسها الواحدة بعد الاخرى ، من حين الى حين ، كما تمد النيران السنتها الحمراء، فلا يكون حطبها «موقظوها» ، وانما يكون المقتتلون ، حطبها ، وهشيمها . بينما يضع الذين اوقظوها ، اصابعهم في آذانهم ، ومعاطفهم على رؤوسهم ، ويأوون الى مخادعهم ساخرين ! وبينما يتحفز «الاسد» الذي انتزع ابطال العرب ، في العراق ، الفريسة الغالية من برائنه ، انتزاعاً ، لينقض من خلال هذه الفتنة ، كرة اخرى ، على الفريسة الغالية ، على العراق ! يا ابناء العراق !

اننا نجل العراقيين حضراً وبدواً ، وهم اول شعب عربي ، قامت دولة عربية منظمة ، على اكتافه ، بعد الحرب العالمية الكبرى ، عن ان يكونوا هم انفسهم مهدمي هذه الدولة ، ونجلهم — وهم الذين جادوا بجسومهم ونفوسهم على قنابل المدافع الانكليزية ، من اجل سلامة العراق ، وحرية العراق ، واستقلال العراق ومجد العراق — نجلهم عن ان ينقلبوا سلاحاً سامّاً ، يهدد السلامة والحرية والاستقلال والمجد ، في العراق .

ومن هو ذاك الذي يتولى خرق عرضه ، بيده ، ويجرأ على القول ، انه عربي ؟ !

اي ابناء الرافدين ! اخواننا وابناء اعمامنا لا يتقلن على احد منكم هذا الذي

تقول ، فانما الدم المهراق ، في العراق ، منكم ، دمنا ، والاشلاء المبعثرة ، منكم في فلوات العراق ، وجنانه ، وبين باسقات نخيله وعلى ضفاف انهاره ، اشلاؤنا .

وتربة فيصل الكبير ، انكم لتستطيعون ، اذا شئتم وهديتم ، ان تكونوا في الطليعة من رسل القوة في الاقطار العربية جمعاء ، ومشيدي الدولة الكبرى ، تخفق اعلامها ، من مراكش الى شط العرب ، في ظل العرش الذي يريد الله ان يمكن له في الارض ، على اساس من رعاية الحق والحرية والعدل والخير العام ، والذي يجب — على هذا الاساس — ان تكون له جنوداً امناء .

ايار سنة ١٩٣٥

وطنية المسيحيين العرب

كان من منافذ الدسائس الاستعمارية الى الشرق العربي ، ان عدد الذين يدينون بالاسلام فيه ، اكثر من عدد اخوانهم الذين يدينون بالمسيحية . فكانت كل حركة قومية في بلاد العرب ، ترمي الى التحرر والاستقلال ،والى تحطيم انيار الاستعمار ، يلاقي المستعمرون ورسلهم ومأجوروهم والمخدوعون بهم منفذاً الى اتهام القائمين بها ، انها حركة اسلامية دينية ، حتى انهم توفقوا — وما ادري كيف — الى حمل المسيحيين العرب ، او فريق منهم على نسيان اكبر حركة قامت في بلاد العرب للتحرر والاستقلال : الثورة العربية الكبرى في خلال الحرب العامة ، وانها قامت ضد المسلمين الاتراك ، ضد من كان ينزل من المسلمين كافة منزلة الخليفة ! خليفة رسول الله !! وان تلك الثورة التحريرية الاستقلالية انما كانت ثورة عربية قومية خالصة لوجه الامة العربية والوطن العربي . أجل ان المستعمرين ورسلهم ومأجوريهم والمخدوعين بهم ، توفقوا الى هذا الحد فيما مضى ولكن — ويوجدداثماً ولكن — يأبى القول المأثور : « لا يصح الا الصحيح » الا ان يصح .

ولقد بدأ يتحقق فعلاً هذا القول في هذين العامين ، فتكسرت سهام الاجانب المستعمرين جميعاً على صخرة القومية العربية في الشرق العربي ، ودلل العرب جميعاً من مسلمين ومسيحيين على انهم قومياً فوق المسيحية والاسلام . وسدوا على هؤلاء الاجانب، منافذ الدسائس والتضليل والتفريق.

ومن الحق والانصاف ان نجهر بان الفضل في تكسير هذه السهام وسد هذه المنافذ في هذه الآونة الاخيرة يعود الى المسيحيين من العرب قبل المسلمين . ومن الحق والانصاف ان نجهر بان فلسطين في ثورتها هذه العادلة ، والتي شغلت الدنيا ببسالتها وتضحياتها ، كانت السبب المباشر في هذه النعمة القومية الجديدة .

لقد جرب الاجانب من انكليز وفرنسيين واميركيين وغيرهم ، وجرب الصهيونيون في مختلف انحاء الدنيا ان يصوروا الثورة العربية في فلسطين، ثورة دينية اسلامية ، ليفصلوا ما بين العرب ويشطروهم الى شطرين مختلفين

فاختلقت الشركات البرقية كثيراً من الاشاعات لهذا الغرض . ودست الاندية السياسية المجرمة ، في اوربا واميركا حتى وفي كثير من بلدان العرب ، مختلف الدسائس لايقاع الشر والعداوة بين ركني العروبة في الشرق العربي ، باسم الدين تارة ، وباسم المدنيات والثقافات والسلالات ... تارة اخرى ، فذهب ذلك كله كما تذهب الحصى التي يرشق بها المجانين والصبيان نجوم السماء ، يريدون اطفاءها فتنطفيء عيونهم وهم كارهون .

وما اشد ما كانت دسائس الدساسين في هذا البلد العربي الطيب لبنان، لتنفير العرب المسيحيين ، فيه من فلسطين وثورة فلسطين ومجاهدي فلسطين ومنكوبي فلسطين ، ولقطع الصلة بينه وبين هؤلاء العرب الابطال ، وغيرهم من عرب الدنيا الميامين ، الذين يحدبون علينا حدب القريب على قريبه والاخ على اخيه . افيدري الملاء ما كان الجواب عن هذه الاختلاقات وهذه الدسائس ؟ ! كان هكذا :

١ ـ المطران حجار مطران العرب

٢ ـ من فضائل الثورة ، فصيل الحارث الغساني .

٣ ـ المسيحيون العرب في فلسطين وفي لبنان ، وفي الدنيا العربية كلها ، يقررون الامتناع عن المعايدة في عيدي الميلاد ورأس السنة ، والاكتفاء بالقيام بالفروض الدينية ، معرضين عن اي مظهر من مظاهر الاعياد اعراضاً تاماً ، شعوراً مع فلسطين

« المساء » كانون الاول سنة ١٩٣٨

عام يمضي !!

اعتاد الناس ان يهللوا لمطلع كل عام ويفرحوا به ، ويستقبلوه بمختلف مظاهر الغبطة والانشراح . والصحيح انه ليس هناك من مبرر ، لمثل هذه الحالة النفسية ، تتملك الناس في مطلع كل سنة ، نظراً الى ان كل عام ، ينسلخ من الحياة ، انما هو اعلان الزمن ، اقتراب الناس ، من الموت ، عاماً فعاماً ، اللهم الا ان يكون الناس جميعاً – مع علمهم بان كل عام ، يطلع عليهم ، يعني انه مشى بهم مرحلة الى نهاية حياتهم – متفقون على ان حاضرهم خير من ماضيهم وان مستقبلهم خير من حاضرهم . وان كل عام جديد هو خير من العام الذي سبقه ، او انهم يؤملون على الاقل ان يكون ذلك كذلك . وما اضيق العيش لولا فسحة الامل :..

ولعل الناس ، ما كانوا على صواب في نظريتهم هذه ، – اذا كانت هذه نظرية عندهم ، – مثلهم هذا العام . فان عام ١٩٣٨ هذا الذي تتلاشى انفاسه في منتصف هذا الليل ، كان عاماً ثقيل الظل ، وافر الشر ، قبيح الوجهين . منحوس السمعتين ..

ونذكر من الحوادث الخطيرة في العام ١٩٣٨ – رحمه الله قدر ما يستحق :

– اضمحلال النمسا ، وتجزئة تشكوسلوفاكية ، والتقتيل والتدمير ، في الصين واسبانيا . كما نذكر سقوط الفرنك ، وافتضاح السياسة الانكليزية ، وطغيان الشهوات الاستعمارية ، وظهور شبح حرب عالمية شغل الدنيا اسابيع ، كانت فيها كأنها على زئبق . ونذكر تكالب الدول الاستعمارية القوية ، على نهش الدول والامم الضعيفة ، واختلال التوازن الدولي ، مرات عديدة ، وخوف اميركا الشمالية ، من مستقبل مجهول ، حملها على الدعوة الى تكتل الدول الاميركية ، للوقوف في وجه ما قد يهددها ، من غزوات الاستعمار ، الى آخر ما هنالك من الخطوب ، التي هزت العالم هزاً عنيفاً ، ما تزال اثاره حديث الضعفاء ، والاقوياء معـــاً ، في مختلف

انحاء المعمور .

ونذكر في الوطن العربي ، الثورة العربية في فلسطين ،التي تسيل فيها الدماء — بفضل العدل الانكليزي والانصاف الانكليزي — انهاراً ، ولعلها مع شدة هولها ، هي وحدها التي نستطيع ان نذكرها بالخير ، من حوادث العام الذاهب ! ونذكر خسارتنا اللواء ، واضطهادهم ، العرب فيه ، اضطهاداً فظيعاً . كما نذكر تقلبات السياسة الفرنسية في سورية ولبنان ، وما نزل بها من هزات ونكبات ، من جراء هذه السياسة . ولعل شر ما نذكره للعام غير المأسوف عليه ، قيام العراقيل المختلفة في وجه الحكم الوطني ، في سورية ولبنان ، وحوادث الجزيرة وجبل حوران ومحافظة اللاذقية والعلويين ... وما قام هناك من مؤامرات خسيسة ، وما راج من الدعايات الاجنبية الخبيثة المجرمة ، يروجها دعاتها على المكشوف ، في اهل هذا الوطن الصغير المنكوب ، من ايطالية والمانية وشيوعية وتركية ، واهل الحل والربط لاهون ، سادرون ، منهمكون بالسفاسف والقشور . وربما بالملذات ايضاً ، والفجور ...

فيا عام ١٩٣٨ تقضي غير مأسوف عليك . لا نلعنك ، فانت حلقة من سلسلة حياتنا ، ولكننا لا نباركك ، ولا نبكيك .

ويا عام ١٩٣٩ تطلع علينا ، وما ندري ما تحمله لنا في نهاراتك ولياليك . ولكننا نرحب بك جريا مع غريزة الامل . وثقة ببقية حيوية ، ورجولة ، في بني قومنا الميامين

«المساء» ٣١ كانون الاول سنة ١٩٣٨

الشهداء شهداؤنا نحن

وصل امس الاول ، الى بيروت صاحب الفخامة ممثل فرنسا الجديد السيد «بيو» وكان اول عمل قام به ، انه ارتجل خطابا سمته الصحف في هـــذا البلد « رسالة الى الشعب اللبناني » بواسطة محطة راديو الشرق . ونحن العرب « اللبنانيين » الذين ما نستطيع العيش ، الا في جو من الصراحة والصدق ، والذين نشعر بالكبرياء القومية تغلي في صدورنا ، حتى لتكاد تنفجر هذه الصدور ، والذين نشعر بجـلال ماضينا ، وروعة عظمته ، وضخامة تاريخنا ، وسمو امجاده ، والذين يهون علينا ان ينقطع منا حبل الوريد ، ولا نقطع الحبل بيننا وبين هذا الماضي الاغر المحجل المحسن الميمون، نريد ان نقف قليلا امام، خطاب ممثل فرنسا الجليل ، لنتبين مقدار مـــا في نفس الحكومة الفرنسية ، من الصداقة الحقيقية للشعب اللبناني الصديق ! ومبلغ الشعور عندها بما لنا من كرامة وحق في هذه الحياه ، بصفتنا شعبا ، من هذه الامة العربية الضخمة ، التي تستحلي الموت في كل جزء من اجزاء وطنها الكبير ، من اجل الحرية والاستقلال والكرامة .

١ – حمل الينا فخامة السيد الكريم « بيو » تحية فرنسا وقال :

« ان بلدينا تربطها صداقة عريقة ، وطدتها التجارب وثبتها سلاحنا الظافر » ؟!!

ونحن نرد التحية باحسن منها . ونقدر هذه المجاملة الطيبة ، من دولة عظيمة ، وان يكن قد اشكل علينا نوعا ، ما تعني الفقرة الاخيرة المنتهية بكلمة « سلاحنا الظافر !!! »

٢ – وقال صاحب الفخامة « انني استهل اعمالي بوضع زهرة على الاثر المشاد تذكاراً لاخوانكم الذين حكم عليهم بالاعدام دون ما ذنب اقترفـــوه الا حبهم لفرنسا !!!

ونحن مع شكرنا الخالص لفخامته ، على هذه الزهرة ، ما نعرف اخوانا لنا ، ماتوا من اجل فرنسا ، واذا كان يعني اولئك الذين نسميهم شهداء ، ونحتفل في يوم ٦ ايار في كل سنة ، باحياء ذكراهم الغالية ، فاللهم اشهد ، ان اولئك هم اخوآننا حقاً ، وابناؤنا وشهداؤنا ، حكم عليهم التركي الغاشم ، وما ندري لماذا اغفل فخامته ذكر التركي الغاشم هذا ، بالموت ، لانهم كانوا يعملون لخلع نيره عن اعناقهم ، ولتحرير بلادهم واستقلالها ، بما فيها لبنان ، واذا كان عملهم لاقى عطفاً في ذلك الحين ، من فرنسا المعروفة « بمحررة الشعوب » فقد كانوا يقابلون هذا العطف بالتقدير ومعرفة الجميل . اما ان يكونوا ماتوا من اجل فرنسا ، لا من اجل وطنهم ، وهم عرب لبنانيون ، فلن يبقوا شهداء ، ويمسوا في نظرنا خونة مارقين . وفي نظر فرنسا !!

واذا كانت فرنسا تحترم حقاً التضحية ، والبطولة ، والاستشهاد ، في سبيل المثل العليا ، فهي ستكون ، اول من يرمق ، رغبة هذا الشعب اللبناني ، في حريته واستقلاله اليوم ، كما كانت ترمقها قبل الحرب ، بعين الرضى ، حتى والتشجيع ، ليكون له شرف المشاركة لاخوانه ، ابناء الامة العربية ، في الجهاد المتمتع بنعمة الحرية والاستقلال في ظل الكرامة ، وراحة العيش . وهذا هو عربون الصداقة والامل ! ! وانها لفاعلة ان شاء الله و ... شئنا .

٣ - وقال صاحب الفخامة ممثل فرنسا ، « واني اوجه ندائي الان ، علنا الى جميع ذوي النية الحسنة . ان ممثل فرنسا لا يسعه ان يجد في لبنان الا الاصدقاء ، لان اعداءه الوحيدين ، هم اعداء لبنان ، واعداء لبنان هم اعداء فرنسا ، وانا على يقين ان ليس بينكم عدو لفرنسا » !!!

افيكون صاحب الفخامة ، معتقداً ان بين اللبنانيين ، ذوي نية سيئة ، حتى خصص وقال ، انه يوجه نداءه الى ذوي النية الحسنة ؟! وما هو المقياس في نظر فخامته ، لحسن النية ، وسوء النية ؟

ايكون المذهب الديني هو المقياس ، ام المذهب السياسي ؟ ام يكون الصدق في القول ، والصراحة في مواجهة الامور ؟ ام يكون السكوت عن كل شيء والرضى بكل شيء ! ام يكون الاخلاص للوطن ، اخلاصا محضا مطلقا ، مع الرغبة في مصادقة الاوطان ، التي تحب ، لغيرها ، ما تحب لنفسها ام ماذا ؟ !

اما نحن ، فنعتقد ان اللبنانيين كلهم ، حسنو النية ، واوفرهم حسن نية هم الذين يعملون لاستقلال لبنان . بشرف وشجاعة وصدق . ولتعزيز علاقات الاخوة الطبيعية مع سورية ، وبقية الاقطار العربية ،

وليطمئن صاحب الفخامة ، ممثل فرنسا الجليل ، انه لن يجد ، كما قال ، الا الاصدقاء ، في لبنان ، وفي سورية ايضاً ، اذا كانت الصداقة ، لا تعني الانسلاخ عن اعز ما لدينا : قوميتنا العربية ، ووطننا العربي الكبير الام ، وحريتنا وسيادتنا. على ان صاحب الفخامة ، يستكثر من الاعداء ، حينما يقول ان اعداء لبنان ، هم اعداء فرنسا !! ذلك ، لان اعداء لبنان هم الطامعون في اضعافه واذلاله واستعماره ايا كانوا ، وبين هؤلاء اصدقاء لفرنسا نفسها ! بين هؤلاء ، الترك ، والانكليز ، ثم الطليان وسواهم !! أيمكن ان يتخلى صاحب الفخامة ، ممثل فرنسا ، عن صداقة هؤلاء ، ويعتبرهم جميعاً اعداء من اجل لبنان ؟!!

***

وبعد فقد قالت سورية ، امس ، بلسان وزير الداخلية والخارجية فيها : لا . ونحن ، نريد ان ننتحل صفة النيابة ، عن لبنان « ليست النيابة المعروفة في المجلس » لنقول : لا ، لن يرضى لبنان ، ان يكون جزءاً ، من الامبراطورية الفرنسية ، ولن يكون ! رغم تقديرنا لفرنسا ، ورغم ما قد يكون فينا ، من ضعف وما في فرنسا من قوة ، على اننا بايماننا ، وحقنا ، جد اقوياء . وكما اننا نرغب في « الصداقة » الفرنسية ، فاننا لا نرى بأساً ، اذا اقتضى الامر ، في ان نلاقي ما لاقاه اخواننا وابناؤنا ، الذين نعموا بالاستشهاد ، فنعموا بالتقديس ، بتقديس صاحب الفخامة نفسه ، من اجل مثلنا العليا ، غير متمتعين بعطف دولة اجنبية كما تمتع اولئك الاخوان ، حتى ولا بعطف فرنسا ، . . . فنكون قد قضينا ، من اجل حرية وطننا ، واستقلاله ، وليس لاحد علينا من جميل ، او فضل ، وان في هذا لمنتهى القسوة ! ولكن فيه لمنتهى النبل ، وان فيه ، لاعظم عبرة ، لمن يأتي بعدنا ، من الاجيال

« الشمس » ٩ ك ٢ ١٩٣٩

بنو معروف جزء من كل لا يتجزأ

لقد فهم من رد السفير الفرنسي ، على خطاب سماحة شيخ العقل ، ان الزيارة التي قام بها في بيت سيادة القاضي ، انما هي « لرؤساء الطائفة الروحيين »وليست للطائفة ، وهذا هو الصحيح .

كنا نود ان يكون حضرة السفير اكثر اطلاعاً ، على تقاليد بني معروف الدينية فيعلم ،ان ليس لبني معروف دينياً ، رؤساء ،فالاكليريكية لا اثر لها في الاسلام . على ان المسئول عن هذا ، هم بنو معروف انفسهم ، الذين لم يكاشفوا السلطة الفرنسية بالامر ، منذ البدء ، ولم يفهموها ، ان «المذهب الدرزي »لا اكليروس فيه . وهذا خطأ وقع فيه ابناء المذاهب الاسلامية جميعها ، في هذه البلاد . ونحن نعطي مثلاً واحداً ، على ان ليس في بني معروف « رئاسة دينية »بالمعنى المعروف عند بقية الملل» يعني بمعنى السلطة الاكليريكية المتسلسلة . ان اكبر شيخ ، والشيخ هنا في عرف بني معروف ، من الناحية الدينية ،هو الرجل التقي المتعبد الزاهد ليس الا ،ويعرف « بالجويد » مجبر على ان يقبل يد كل من يقبل يده ، حتى ولو كان من احقر الناس ، او من صغار الاطفال !

وبعد هذه المقدمة « اللاهوتية » الصغيرة ، ننتقل الى الخطاب الذي ألقي في حضرة السفير . وقبل التعليق على الخطاب نريد ان نقرر اولا : ان كلامنا ، انما نرسله خدمة لمبدأ عام ، وبصورة عامة ، لا نتوخى مس كرامة شخصية ، او التهوين من شأن شخص ما . وثانياً : اننا ننكر اصلا ، على رجال الدين ، على الاطلاق ، التدخل في الشئون السياسية . وينتج عن هذا بحكم المنطق والعقل ، ان الزيارات التي قام بها السفير المحترم لرجال الدين ، ورجال كل دين ، بل كل مذهب ، كان ينبغي في نظرنا ، ان تقوم مقامها كلها ، زيارة واحدة للشعب اللبناني ، بزيارة الفئة التي من

المفروض ، ان تكون ممثلة هذا الشعب . فاذا قيل ، ان هذه الفئة غير موجوده ، باعتبار ان المجلس النيـــابي الحاضر ، لايمثل الشعب تمثيلا صحيحـــاً ، وهو قول فيه كثير من الحقيقة ، قلنا ، انه ليس من شأن السفير الجليل ، في معرض المجاملات واللياقات الديبلوماسية ،ان ينظر الى هذا الامر ،واننانستطيع ان نؤكد انه لم يفعل ما فعل مجاراة للقائلين ، بان المجلس النيابي اللبناني لا يمثل لبنان ، وانما فعله لامر آخر ، لم يترك الزمان فينا من يجهله وان تجاهلناه ...

اما الخطاب ، خطاب سماحة الشيخ حسين حماده ، فاننا نعلن من غير جمجمة ، ولا تردد ، وبكلمة واحدة ، انه لا يمثـل بني معروف ، وان شأنه ، شأن خطب بعض هؤلاء الرجال ، رجال الدين الذين لم تمثل خطبهم ، ملهم .وانه بالرغم من كل ما يبدو فيه ، من محاولة لصبغه بصبغة عامة ،واخراجه ممثلاً لشيء ،من حقيقة تاريخ بني معروف ورغباتهم ، وآمالهم وشمائلهم ، انه بالرغم من هذا ،لم يكن ممثلاً لبني معروف، التمثيل الصحيح . ولعل ممثل فرنسا «الصحيح»،وهو رجل كما سمعنا ، خبر الامور ومارس في حياته العلمية ، والسياسيـة ، مختلف الشؤون ، عدا انه اطلع بواسطة سجلات السلطة الفرنسية ، من غير شك ، على تاريخ ربع قرن ، على الاقل ، من حياة هذه البلاد ، قد دهش مما سمع ، فاذا كان لم يدهش ، فمعنى ذلك انه قد مارس اكثر بكثير ، مما يقال ، ، وخبر الاهواء ، والطبائع ، اكثر بكثير ، مما نظن ... حتى انه لم يبق يدهش ، من شيء ، ولا يستغرب شيئاً ...

لقد قلنا غير مرة ان في حياتنا الاجتماعية والسياسية اخطاء، ينبغي ان نصححها . وسيصححها الشبان العرب القوميون ، ما نشك في ذلك ابداً .من هـذه الاخطاء ، تفكيرنا الطائفي ، فانت لا ترى الناس عندنا يفكرون الا بالطائفية ، وعن طريقها، كانوا يفكرون سابقاً ، كمسيحيين ومحمديين ، فاصبحوا اليـوم ، بفضل التمدين والارشاد ، يفكرون كموارنة وسنة، وارثوذكس وشيعة وبروتستانت و الخ ... وان في هذا لمنتهى الجهل والتفسخ والانحطاط .

لم يمثل سماحةالشيخ حماده بني معروف ، حينما قال : ان الطائفة الدرزية تجمعها بفرنسا علاقات قديمة .والصحيح ان هناك « علاقات»تفرقها . وقد يكون من سوء

حظ هذه الطائفة او من حسن حظها ، من يدري ، ان لا تكون هناك علاقات صداقة تاريخية قديمة تجمعها بفرنسا ، ولكنه على كل حال ، واقع حقيقي لا ينفيه مقال ولا خطاب

وهناك اشياء كثيرة ، لم يمثل الخطاب فيها بني معروف ، اكتفينا بالاشارة الى ما اشرنا اليه منها ، على ان في الخطاب فقرة واحدة تمثل بني معروف، تمثيلا صحيحا تاما . وهي : « ان الدروز يحبون لبنان حباً اكيداً ، لان انصع صفحات تاريخه ، كتبت بدمهم » وهناك ايضاً القول بما معناه ، ان لبنان انما كانت له عزة ومنعة وسعادة ، يوم كان حكامه ، من بني معروف : بنو تنوخ وبنو معن . على اننا نريد ان نقرر ، ان بني تنوخ ، وبني معن ، كانوا يحكمون لبنان بصفتهم عربا لبنانيين، حكما وطنيا صرفاً ،لا شأن لفرنسا ولا للروح الطائفية والنعرات المذهبية فيه .

اما رد السفير الكريم ، على خطاب صاحب السماحة ، فلا يفهم منه فقط ان الزيارة ، انما هي « لرؤساء الطائفة الروحيين » كما اشرنا الى ذلك ، في مطلع كلامنا ، وليس للطائفة ، بل يفهم منه ايضاً ، ان السفير لم يعن بما سمع ، الا بما يتفق وهوى نفسه ! ثم هو راح يشيد بتمسك « هذا الشعب » على رأيه ، ويعني بني معروف ، بالاستقلال ! فاي استقلال يعني ؟ الاستقلال جبل حوران ؟ ام الاستقلال الذي سيطلبه بنو معروف في الشوف ! ؟

ان بني معروف جزء من « كل » لا يتجزأ . وكيانهم المذهبي ، لا علاقة له بالكيان القومي والسياسي ، وانما هو امر بينهم وبين الله ، فالاستقلال الذي يتمسكون به ، ويجاهدون في سبيله ، هو الاستقلال الذي يعمل له كل عربي شريف على الاطلاق في ديار الشام « سورية ولبنان وفلسطين » وفي غيرها من الاقطار العربية ، وهو هدف ملازم للاتحاد والوحدة ملازمة الروح للجسد . على هذا الاساس ، يرحب السادة الاحرار بالسفير ،وعلى اساس صداقة الند للند، وصداقة الدولة السيدة ، للدولة السيدة ، وصداقة الشعب الطليق الحر للشعب الطليق الحر ، يرحبون بصداقة الدول والشعوب .

– بعد خروجنا من السجن ! –

لم يبق من سبيل ، للقائمين بالامر في لبنان ، سواء منهم الظاهرين ، والمستترين ، الى التدليل على صحة ما يوهمون به ، سواد الشعب اللبناني ، من انهم انما يريدون بتصرفاتهم ، ومآتيهم ، وسياستهم الظاهرة والباطنة ، خير لبنان وكرامته وضمان مستقبله ! ولم يبق لهم من حجة ، على صواب ما يعنون فيه ، من محاولات لسلب حريات اللبنانيين ، هذه الحريات التي تخولهم حق التمتع بها كاملة ، ضمن نطاق الدستور القواعد الاولى للحياة الانسانية ، والنظم البديهية في اي مجتمع من مجتمعات البشر تجاوز طور الوحشية ، ودخل في حظيرة المتمدنين

لقد عرف الناس ما كان من امر اعتقال السلطات في هذا البلد ، من اعضاء اللجنة المركزية ، لعصبة العمل القومي ، في لبنان ، وفريق من شبان العصبة الميامين ، بينما كانوا في دار احد شبان العصبة ، يستمعون لمحاضرة ، يلقيها شاب عصبي من طلاب الجامعة الاميركية ، في بيروت . وعرفوا كيف نقل المعتقلون الى دائرة الشرطة « فالنظارة » فقصر العدل ! ! فسجن الرمل . وها نحن اولاء ، بعد خروجنا من السجن ، ننشر في ابناء وطننا هذا البيان ، نفصل لهم فيه ما عرفوه مجملا ، وما فاتهم معرفته ، وما تركه هذا الاعتقال ، في نفوسنا من اثر ، ونضع بين ايديهم من جديد خلاصة مبادئنا واهدافنا ، فان من حقهم ان يعرفوا هذا كله . وما كنا لنقول الا الصدق ، ولنعمل الا للحق . وليشكو بعد هذا طعم الماء الزلال ، صاحب الفم المر المريض . ولينقم من النهار المشعشع بالانوار الساطعة ، ظلامه الدامس ، الجاهل الضرير .

لماذ اعتقلونا ؟

يسألنا كل من يتصل بنا من اللبنانيين عن السبب الذي حمل السلطات على اعتقالنا ، وقد عرفنا بعد خروجنا من السجن ، ان الصحف التي تحترم نفسها في هذا البلد ، قد

تساءلت ، وسألت السلطات عن هذا السبب ،فلم تلق جوابا . وانه في الواقع لصعب جداً ،ان تعطي السلطات جوابا ، عن هذا السؤال ،يرضى به عقل عاقل ، وتسكن عليه نفس حر كريم . ونحن بدورنا لا نستطيع ان نعطي جواباً من هذا النوع ، الى اخواننا بني وطننا ، الذين ما يزالون يسألوننا ، مثل هذا السؤال ، فلتهدي،هذه السلطات ، من روعها ، فاننا قد تساوينا من هذه الناحية ... ناحية اعطاء جواب معقول مقبول ، عن هذا السؤال ، الذي نراه على فم كل لبناني اصيل، بل كل عربي على الاطلاق ، لبناني وغير لبناني .

لماذا اعتقلت السلطات شبان عصبة العمل القومي في بيروت ؟

اما الجواب الصحيح وغير المعقول ، ولا المقبول ، فجواب حاضر ! ولكن السلطات القائمة والجماعات (الزرقاء [1]) التي تخدعها،وتنخدع لها ، لا تجرأ على اعطائه الى الشعب علناً وفي وضح النهار ،في بلد يعيش في القرن العشرين، وفي ظل دستور!

لقد اعتقلنا للاسباب التي كنا نعتقل لها دائماً ، من قبل ، لاننا نحارب الباطل ، وننصر الحق ، ونقاتل الاستعمار والاستعباد .

ونأبى لنفوسنا ولوطننا الا الحرية والاستقلال ، لاننا نعمل لبعث امة وانشأ دولة ،ونريد ان يفهم « الزرق » ومن اليهم، ان افراد العصبة من فتيان وفتيات ، ناس لهم في الوطن ، وحب الوطن ، والاعتزاز بالوطن ، والتطاول بعزة الوطن ، وعظمة الوطن ، فلسفة خاصة ، مصدرهـــا الفتون الذي يشبه فتون المؤمنين الصالحين من اصحاب الطرق المذهبية ، برب الكائنات ، فحذار ان يطاولهم احد من هذا الباب . وخير «للزرق» ان يقبعوا في زوايا منازلهم ، ومكاتبهم ،ومصانعهم ومتاجرهم . وان يتحدثوا في الاستخذاء والعبودية والتخنث . وفي الطعام والشراب واللباس . وفي المراقص والازياء وغير ذلك من اشياء ... او ان يسكتوا . ذلك ادعى الى سلامة كيان الوطن ، وخير الوطن ، وشرف الوطن ، وما الى ذلـــك من عنعنات .

سيقولون : ضد من تعمل عصبة العمل القومي في لبنان ؟ . فنحن نقول لهم ، ان عصبة العمل القومي ، تعمل لاستقلال لبنان هذا استقلالا صحيحاً ، ضمن المجموعة

---

١ – كنا اخترنا لجماعة العبيد البيض من مواطنينا ، انصار الاستعمار والمستعمرين واصدقاء اليهود او المتهودين اسم « ازرق »

العربية التي نريد ان نؤلف منها كلها دولة مستقلة متحدة ، تقوم على اسس القومية الخالصة . وترتكز الى العلم الصحيح ، والعدل الشامل ، والاخلاق المتينة ، والقوة الروحية ، والاقتصادية ، والدولابية الجامعة . وتكون عنصراً من عناصر الخير الانساني، والحضارة العالمية . فمن اعتبر ان عملنا هذا ضده ، فهو ضده اياً كان !

لا تتنمروا على اخوانكم

ونريد ان نهمس في اذان الذين يتظاهرون بالغيرة على لبنان ، من كبار رجال « الدولة » وغيرهم ،ويحاولون ايهام السذج ، انهم يحبون لبنان ، ويضنون بكرامته ويهددون بانهم ينقلبون الى نمور وفهود وسباع ، في وجه من يمس كيان لبنان ، نريد ان نهمس في اذان هؤلاء ، انه ليس احب الى نفوسنا ، من الذين يكونون دائما ، نموراً وفهوداً وسباعاً ، في وجـــه الذين يحاولون استعمار اوطـــانهم واستعبادها !

وان من الرجولة والكرامة ، ومن الحق والعـدل ، والانصاف ، ان يتنمر المرء ويتفهد ويستأسد ... على غير ابناء قومه ، اذا هم طمعوا فيه واعتدوا عليه ، ولم يحفظوا له ولوطنه من حرمة و كرامة !!

العصبة والقضاء

وبعد فان كراما من اللبنانيين مـــن مزارعين ، واعيان ، ومن صحفيين ، ومحامين ، واطباء ، ونواب وتجار وغيرهم ، منهم من طلب ، ان ينظر القضاء الاجنبي في امرنا ، ومنهم من طلب لنا الرأفة والرحمة ... فنحن مع علمنــا التام بحسن نية هؤلاء الاخوان ، ومع شكرنا الخالص الجزيل لهم ، موقفهم منا، نعلن ، اننا لا نرضى ان ينظر في امرنا الا القضاء اللبناني الصرف ، مهما يكن من امر .واننا نأبى الرأفة والرحمة فلا يطلب الرأفة والرحمة الا المجرم الجبان الذليل .

ونحن لسنا ، ولن نكون ابدا ، اذلاً ، ولا جبناء ، ولا مجرمين . وان شبان العصبة ينتظرون ، مطمئنة قلوبهم ، مرفوعة رؤوسهم ، يومهم الابيض ، في دار

القضاء ، ويشعرون ان كل صدمة تصيبهم وكل خطب ينزل بهم ، يزيدان في قوة عزائمهم ، وفي علو هممهم ، ويجددان الرغبة ، في النضال في نفوسهم ، من اجل تأدية رسالتهم ، في مختلف نواحي الحياة . وكلمة بعد ، ان كرام الصحفيين، والمحامين، الذين استنكروا عمل السلطات ضدنا ، وشدوا ازرنا ، ودافعوا بقوة الحق ، عن قضيتنا ، مانستطيع ،ان نفيهم حقهم هذا علينا ، ولعلهم يرون في بدء اتجاه الرأي العام اللبناني ، نحو رسالتنا ، وهم من قادة هذا الرأي،خير مكافأتهم على جهودهم المحمودة، وشعورهم الشريف .واما النذر اليسير من اللبنانيين الذين اساؤا الظن بنا ، واتهمونا بما ليس فينا ، وحرضوا علينــــا ، فنريد ان نعتقد ، انهم يجهلون حقيقة رسالتنا ، وندعو الله ان يغفر لهم ، ويهديهم . فانهم على كل ،اخواننا وابناء وطننا .وليحي لبنان عربياً حراً ولتحي العروبة .

« الشمس » ٣ نيسان ١٩٩٣

من الشام الى بغداد[1]

ما اخذت مقعدي من السيارة التي اقلتني الى مدينـــة العباسيين ، حتى بدأت الذكريات يبعثها تفكيري الملح العميق ، تتزاحم في نفسي ، يدفع بعضها بعضاً ، كما تدفع آلة السينما ، الصور المتحركة ، على الشاشة البيضاء ، فتترك في نفوس النظارة ، تأثيرات تختلف ، باختلاف تلك الصور وهذه النفوس . ولكن ذكرياتي على اختلاف صورها ، تمثل عالماً واحداً ، يزخر بالقوة والعز والطموح ، ويتموج بألوان الحضارة والمجد والعرفان . لذلك ، فان التأثير الذي كانت تغادره في نفسي ، تلك الصور ، كان محدداً بحدين اثنين ، يتغلغل احدهما ، في مطاوي الماضي البعيد ، يلوح في سمائه الثراء والنضارة والخيلاء والاطمئنان وينتهي الآخر بالحاضر القاتم ، تكتنفه الكدرة والمرارة والشحوب ،ويزيد في مضضه ، وثبات يقصر مداها ، الفقر ، وسم الدعاية ، وصغار في نفوس ...

من مغاني امية ، الى مرابع بني العباس . يا للذكريات الحلوة المرة المنهكة الحافزة ، تحتوي هذه النفس المعذبة ، فتحسب بغداد ، وهي على ما يقرب من الف الف متر ، من دمشق ، على قيد خطوتين ، وتتخيل الصحاري والفلوات جنات وبساتين ! !

ودارت دواليب السيارة . أفرأيت في صغرك ،او حملت هذا الدولاب الورقي الصغير ، يُشد الى رأس قصبة ،او عود ، تحركه الرياح فاذا هو من سرعة الدوران كاجنحة الفراش ،او كحلقات دخان لفافة يلفظه غضبان مكدود . بمثل هذه السرعة ، أو ما يشبهها ، كانت تسير « ملعونة الوالدين » ! ولم لا تفعـــل ، وطريقها عرض السموات والارض ، لا حاجز يعترض ، ولا سيارة تزحم ،ولا قاطرة تقتحم ،ولا رصيف يحدد الطريق ، ولا شرطي يرهف اذنيه ، ويحملق عينيه ، ويفتح ذراعيه !

---

(١) كان من حق هذه المقالات ان تتقدم فتنشر بين مقالات سنة ١٩٣٢ ولكن خطأً جاء بها الى موضعها هذا . على ان هذا الخطأ لا يقدم ولا يؤخر في الجوهر والمعنى والهدف . وعدد هذه المقالات في الاصل اربع عشرة مقالة ، لم اعثر الا على تسعة منها .

وكانت الرياح السافيات تحمل الينا في سخاء ،حبيبات من الرمل،تحملنا على الاطراق صوناً لعيوننا وانوفنا وافواهنا . فيتأفف اناس ، ويسكت آخرون . وكنت احاول ان أرى وأري رفاقي في كل ما ارتفع عن الارض من الجماد مقدار ذراع ، رابية ، أو جبلا . وفي كل ما ارتفع عنها ، من غير الجماد مقدار شبر ،نباتاً حسناً ، حتى اذا ما لاحت لعيني ، اشباه الطحلب والخندقوق ، وما الى ذلك ، من النباتات الناحلة ، الشاحبة ،التي ما اعرف لها اسماً ، صحت محاولا اثبات ان الصحراء، ليست بصحراء ، كما يتوهم الناس ! اليست هـــذه اشجاراً !! فيتضاحك رفاقي ، وابتسم وأروح طاوياً ، انواع الاسف ، والمرارة ، وراء ذلك الابتسام .

قطعنا مخفر « ابو الشامات » الذي يقع على ٤٠ او ٥٠ الف متر من دمشق ، وأوغلنا في السير ، فطوينا مـــا يزيد على مائتي الف متر ، ولم يطالعنـا جبل ولا رابية ولا هضبة ، ولا قام بيننا وبين الافق شبح ، ولا خيال . اللهم الا قلعة صغيرة اقامها الجند الفرنسي المحتل ، قبل الحدود المفتعلة التي جعلت ، سياسياً ، من البلاد الواحدة ، بلدين مختلفين ، واعدها « لحماية » العرب المتحضرين ، من اخوانهم البادين من العرب ! ! وبدأ الجوع يلح علينا . ولكن السائق ، ابى أن نلبي داعي الجوع ، الا في ارض العراق . في سفح جبل التنف . ووصلنا الى جبـل التنف ، فاذا هو « نتفة » من جبل ، ودارت السيارة هنـاك ، على نفسها ، فاستقبلت الشام ، وهدأ زفيرها ، واستقرت في مكانها . فكأنها نتفة من جبل التنف ...

ـ لماذا تستقبل الشام يا اخا العرب ؟

فقال السائق : اننا نستقبـل الهواء لتبريد محرك السيارة ، والا انفجر المرجل والسلام عليكم ...

وتهافتنا على المأدبة ! واقول مأدبة لاننا رحنا في غدائنا ، ضيوفاً على الاديب الكبـير ، الاستاذ معروف الارناؤط . وكان ابو مروان ، حسب للعواقب الف حساب . وبكلمة اصح ، كما صرح معروف نفسه، كانت السيدة الفاضلة ، ام مروان هي التي حسبت الحساب ، وأرغمت ابا مروان على ان يحمل معه ذلك « الزنبيـل » المحسن ، المليء بألوان الطعام . وبينما نحن نلتهم مآكل الشام التهاماً ، ثارت ارواح

الصحراء ،ثوراناً حال بيننا وبين لذة الشبع ، بعد الجوع . وعقد الغبار حولنا وفوقنا قباباً ، ما يدرك مدى انبساطها الا الله ! وعزمنا على استئناف المسير ، فترك السائق مكانه الى الارض ، يستبين مسالك الطريق ، فاستخفت عليه ، وشعرنا بحيرته فوجمنا ، ثم عاد السائق الى مكانه ،وفي عينيه شيء من الريب والتردد ، كثير ، ثم اخذ الغبار ينجلي شيئاً فشيئاً ، فعاد الاطمئنان ، او شيء من اطمئنان الى نفسه ، وحسب انه اهتدى سواء السبيل ، فقذف بسيارته الى ناحية من نواحي ذلك الفضاء ،وما هي الا كرات قليلة ، حتى اخذ يتلفت ذات اليمين وذات الشمال ، وعاد يمشي في حذر وثقل، فرابنا امره وعرفنا انه ضل الطريق ، فسرت في النفوس ، وعثة بعيدة الاثر ، وعلت الوجوه كدرة ، تنبيء في غير قصد ، ولا احتياط ، بالقلق والخوف ، ولعلي من بين « الضالين » كنت ساعتئذ اصلحهم وجهاً « على شدة الشبه بين هذا الوجه ووجوه ساكني الصحراء »واقلهم اكتراثاً ، بما قد ينزل بنا من موت ، في هذا الربع الخالي من كل حياة . بل انني ما اذكر ان حالي اختلفت ،عما كان يمكن ان تكون عليه ، فيما لو كنت في سيارة ، بين بيروت وبمريم[1] .اما السبب في ذلك فما استطيع ان ادل عليه ! وقد فسر الرفاق الامر ، بقولهم ان لا زوج لي ولا اولاد . وكلهم متزوجون وذوو ولد ! !

وهون الله و « قضب » السائق الطريق فعادت السكينة الى النفوس ، وزالت تلك الكدرة البغيضة ، عن الوجوه ، وفتح الرفاق افواههم ، يردون على مداعباتي بما يكاد يشبهها ! ولكن الصحراء ما تزال تتربص لهم في الطريق ، وسيندمون على محاولتهم مجاراتي في « الرياضة الفكرية ! » اللاذعة . وهم من اصحاب زينة الدنيا من ازواج ومال وبنين ...

الرطبة ! قال السائق قولته هذه ، في فرح وزهو فمددنا رؤوسنا، نستجدي تلك الآفاق المترامية الاطراف ، جداراً قائماً او كوخاً مهدماً ، او مضرباً من مضارب البدو ، فاذا الرطبة تطالعنا ببناء ضخم ،ومضارب منشورة هنا وهناك ، تبرق تحت اطنابها ، مئات بل الوف من الصفائح، ملأها اخواننا البدو ، رملاً وحصى ، لتقوى على الثبات في وجه سافيات الرياح ، ولتمكن في الارض لمضارب اصحابها البهاليل.

(١) اسم قرية المؤلف في قلب جبل لبنان : المتن

اما البناء الضخم ، فهو نزل يأوي اليه من يستطيع من « السياح » ونحن « من المسافرين ! » وفي البناء مقر لفريق من الحرس العراقي . واما المضارب ، فملاجيء لمرتزقة من البدو ، يقدمون فيها « للمسافرين » القهوة والشاي ، لقاء دريهمات يحددها المسافر نفسه ، ويتقبلها البدوي في شكر وتكريم .

مكثنا في الرطبة ، ما لا يقل عن ساعة ، نشدنا فيها ، قليلاً من الراحة ثم استأنفنا المسير ، وبغداد ما تبرح تلح علي بذكرياتها ، فلا ينقضي منها مشهد ، الا ليفسح مجالا لمشهد آخر ، واغسق الليل ، فبرزت الاشباح والصور ، يزحم بعضها بعضاً ، وصفرت الرياح صفيراً دعا الى خاطري خرافات ادباء العرب ، في الجن ، ومل سائق السيارة كثرة مصارعته الرياح ، والظلام ، والعجاج .

ولعله ضل الطريق ، من جديد ، فاستخذى . وترك مقود سيارته ، رامياً بسلاحه بين ايدي شبان الجن الفازئين ... ولكن عصف الارواح ، لم يسكن للاستسلام ، بل كانما هذا الاستسلام ، بعث في الارواح المجنونة عاصفة من المرح والزهو والخيلاء فراحت تهدر حيناً ، وتصفر احياناً ، في هزء وجبروت ، حتى خيل الينا ، انها ستطير بالسيارة الى حيث يحلو لارباب الجن المساعير ! . وفي خلال هذه الدقائق الراعبات التي سكت فيها ابناء « الانس » قلت لاحد رفقائي ، انظر الى الثلج ! انظر الى يمينك ، حقاً انه لامر عجيب ! ! والتفت هذا الرفيق يبحث عن الثلج في فلاة ما تعرف الا الرمضاء تنقل ارواح الجن السنتها الى وجوه المسافرين ، فضحكت وتأفف الازواج اباء الاولاد ! !

ثم رحت نائماً ، والقلق يقض المضاجع فرأيت فيما يراه النائم ، شجر العراق الجبار ، واحست نفسي ما فيه من جمال وجلال ، وسمعت هدير المياه في دفقات دجلة والفرات ، ففتحت عيني فاذا الصبح يتنفس ، واذا السائق المستسلم يتنمر ! فتدور دواليب السيارة بالسرعة التي عرفتها امس ...

لعلك تريد ان تصل بي الى بغداد ، قبل ان اصل اليها ، فتنطقني بما تتوق الى معرفته من امور مدينة الخلفاء العظام ، قبل ان يحين في نظري موعد النطق بذلك . فهون عليك ، وانظرني قليلاً ، انني سأصل الى بغداد ، وسأقص عليك من امرها وامر

العراق، اصح القصص ان شاء الله. دعني امر بالرمادي، فلم يبق غيرها بيني وبين بغداد، فاري وجوه بني عمي وعمك، هذه الوجوه الباسمة، تستقبلني في بشاشة واكرام واطمئنان، كما يستقبل أخ أخاه بعد طول غياب، أسمح لي ان اسمع بني قومي، من الرجال المسؤلين في الرمادي، من المتصرف الى مدير الشرطة الى رئيس دائرة المكوس، الى رئيس المجلس البلدي، يتحدثون الي في كلام لم اسمعه من موظف عربي، في بلاد العرب، خارج العراق، بهذه اللهجة الحازمة المطمئنة الخالصة تتغنى بالوحدة العربية الشاملة وتصب نقمتها وسخطها، على الانكليز والفرنسيس في كل مكان عدا «انكلترا وفرنسا» من غير ما رهبة ولا حذر ولا احتياط.

فالى الرمادي، وكبار رجال العرب، المسؤولين، في الرمادي، تحية واجلال، من عربي، ما يعيش ولا يفنى الا في سبيل العرب اجمعين من الريف الى الخليج

...

والآن الى بغداد، لقد اطللنا على مدينة العباسيين، والشمس تسحب اطراف ثوبها الذهبي، من على رؤوس النخيل، واهلة المآذن. السلام عليك، هارون الرشيد ورحمة الله وبركاته.

ــ النداء ــ بغداد ٢٠ نيسان سنة ١٩٣٢

بين الشام والعراق

— ٢ —

استقبلتنا بغداد بآذنها الذهبية التي تناطح السحاب ، من ناحية الكاظمية ، وبنخيلها القائم ، غابات كثيفة ، هنا وهناك ، واعمدة جبارة ، تناسقت صفوفاً صفوفاً ، كجنود عمالقة ، ما تعلق عيناك ، بموضع جمال وجـــلال منها ، حتى تنتقل الى موضع آخر ، فيملك عليك النخيل ، مشاعرك كلهـــا ، وتستغني نفسك ، بما فيه من روعة وهيبة ، عن كل ما عداه من مواضع النظر ..

لقد كنت آنس الى النخيل ، واحس فعله في نفسي ، كلما وقعت عيناي ، على نخيلات معدودة ، توزعها بر الشام داخله وساحله ، ولكني ما شعرت حياتي ، بهذا الذي اشعر به الآن ، من تدافع العواطف في صدري ، لمرأى نخيل بغداد !

نحن في الجانب الغربي من بغداد ، في موطن حب ابن زريق صاحب «لا تعذليه» ، في الكرخ ، ويصل الكرخ بالرصافة ، وما اليها من الجانب الشرقي ، من دجلة ، جسر « مود » قائد الجيش الانكليزي ، خلال الحرب العظمى ، في هذه الساحة من ساحاتها الشرقية . ويعرفه البغداديون ، بجسر الصالحية ، ولا يذكره الشباب منهم الا بهذا الاسم . ذكرت هذا الجسر يوماً فقلت جسر « مود » فانبرى شاب ، من شبان بغداد ، يتساءل عن هذا الجسر : « شنو ?? » اين يقع جسر « مود » هذا ??. ليس في بغداد ، ولا في العراق كله ، جسر بهذا الاسم ! . فقلت عفواً ، لقد انسانيه الشيطان ، انه جسر الصالحية . فاحتوى وجه الشاب كله ابتسامة نوراء ، وتخاطبت عيون الحاضرين ...

عبرنا على هذا الجسر الى النزل ، نزل « كلاردج » الواقع في الشارع الجديد ،

فأويت الى غرفتي ، استريح ، بعد ان غادر المستقبلون ، النزل ، خفافاً ، بشعورهم الرقيق، واستلقيت على فراشي، ولكن عبثاً حاولت ان انام فنهضت وانا اردد بيت « بشار » ...

* * *

قبل ان ادخل في الكلام ، على حال بغداد ، وسائر العراق، من مختلف نواحي الحياة ، اريد ان اعلن في غير جمجمة ولا احتياط ، شكري الوفير الخالص ، واحترامي السامي ، المجرد عن كل هوى ، لجلالة ملك البلاد المعظم المحبوب ، ولرجال حكومته الكرام الاجلاء ، على عطفه الملكي البريء ، وعنايتهم البالغة ، يتجلى فيها النبل ومكارم الاخلاق . وبعد هذه الكلمة الصريحة ، التي ارجو ان يرى فيها العراق الغالي ، على ضآلتها ، عنصراً كافياً ، للتدليل على تقديري الصحيح ، معاني العطف والاكرام ، وعلى شعوري الصادق بكرمه علي وفضله ، بصفة كوني ضيفاً «اديباً» انتقل الى الكلام بصفة كوني عربياً قحاً ، ازعم انني اخدم امتي ، في غير مجاملة ولا محاباة ، وفي عقيدة وايمان واخلاص

اذم فلا اخشى عقاباً يصيبني   وامدح لا ارجو بذاك ثوابا

فالوطن فوق مقتضيات الادب ، والكياسة . وفوق الحكومات ، والامراء ، والملوك . والوفاء للحسنى وللصداقة ، يكون مصطنعاً او ناقصاً ، اذا هو لم يقترف من الوفاء للاوطان .

* * *

يغلب على العراقيين ، ولا سيما ابناء العاصمة منهم حب الاشتغال بالسياسة ، ويسرفون في الانصراف اليها ، انصرافاً ينسيهم ، أو يكاد ، كل شيء سواها ، ثم هم لا يقتصدون في اعمال النكاية بعضهم بالبعض الآخر ، باسم الحزبية والاحزاب ، ولكن من وراء ستار ، ولعل هذه الظاهرة الدقيقة ، ما تتضح الا للذين أرادهم الله ان يكونوا ، من بين دارسي احوال العراق ، موضع ثقة لابناء الكتل المختلفة الالوان والاراء ، أو لفريق منهم ، سواء أكانوا من رجال الحكم القائم ، او من رجال المعارضة الموقتة ، او من جماعة الزاهدين في الاحكام ، المتمسكين بمناهجهم

المستقيمة في مختلف الحالات .

وظاهرة اخرى تدل على العنف ، لا يتورع المشتغلون في السياسة – الا القليل منهم – عن الاتهام المؤلم الممض بعضهم للبعض الآخر ،ويجودون بعضهم على البعض الآخر – مستثنياً بعض افراد – بنعوت مختلفة من غير حساب ...

ولكن ظاهرة ثالثة ، قد رأسها الجميل ، فوق هاتين الظاهرتين ، فتخفف من وقعها في النفوس ، وتكشف لك عن ناحية من نواحي « الخلق السياسي » العراقي تلمس فيها نوعاً من النضج ، لا تقع عليه كثيراً في بر الشام . هذه الظاهرة هـي مخالطة جميع هؤلاء الذين ذكرتهم لك ،كل فريق للاخر في كثير من المجـالس ، والمجتمعات والحفلات ، ومداعبة كل واحد منهم الآخر ، في غـير كلفة وفي مرح وصفاء

ان الاشتغال بالسياسه ، والانصراف اليها في مثل هذا الاستهتار ، قد يكون من الامراض المشتركة ، بين الشعوب العربية المغلوبة على امرها ، في كل مكان ، ولكنه كان ينبغي -في رأيي- ان يكون هذا المرض في العراق اقل اثر منه في غير العراق . ذلك لان الوضع السياسي في القطر الشقيق ، وضع قد استقر من حيث الكيان الجغرافي على الاقل ،رغم ان في نواحيه مواضع كثيرة لجهود العاملين المخلصين من ابناء العراق ، وغيرهم من العرب الاحرار . ولان البلد العراقي ، بلد بكر ، سواء من ناحية الثروة الطبيعية او من الناحية العمرانية الاجتماعيـة ،فاذا صرفت الجهود اللازمة في هذه النواحي – وفيها متسع لجهود الجميع – فيكون في مقدور ابنائه ان يجعلوا منه جنات عامرات بمدنه وقراه

*

لقد كان نفر من المعارضين ، وشبان من المتحمسين، كلما زرت منزلا عامراً ، او حديقة غناء يقولون لي : لا تغتر بهذه الظواهر واضرب في طول العراق وعرضه يتجلَّ لك الخراب ، والبؤس والشقاء . ولقد ضربت في بعض انحـاء العراق ، وسأتـكلـم على ما تجلى لي من مشاهد وما استقصيته بنفسي من امور واحـوال . واشهد ان في بغداد نفسها ، شيئاً من الخراب والبؤس والشقاء .ولكن من يستطيع

ان يدلني على بلد ليس فيه ، ولا سيما في هذه الايام ، شيء من الخراب والبؤس والشقاء..؟ ثم من من البغداديين الشاهدين يستطيع ان ينسى بغداد منذ عشر سنوات ، وقد اتفق الجميع على ان شارعاً واحداً ، كشوارع اليوم ، لم يكن له من اثر في بغداد .

ان مدينة العباسيين ،وعاصمة فيصل اليوم لفي حاجة شديدة فعلاً ، الى التعمير ، فكيف بغيرها من مدن العراق وقراه ؟! ولكن الرغبة الملحاحة في نفوس العراقيين المثقفين ، ولا سيما الشباب المخلص الوثاب ، في رفع مستوى العراق ، من جميع نواحي الحياة ، تنسيهم الماضي القريب ، وتجعلهم لا يطمئنون الى شيء من اعمال حكوماته المتعاقبة ، منذ تأسيس المملكة حتى الآن

ــ بغداد ــ نيسان سنة ١٩٣٢

بين الشام والعراق

— ٣ —

كنت قد دخلت في مقالي الاخير على العراق ،في الناحيةالسياسية ،واری الآن ان استمهل القراء الكلام في تلك الناحية ، لما يقتضي لها من تحقيق وتفصيل . واتكلم على المعرض الزراعي الصناعي ، الذي يصح ان يقال انه مظهر ، من مظاهر الانتاج الخيّر في العراق.

يتهم المعارضون ، رجال الحكم في بغداد ، بأنهم انما اقاموا المعرض ، ليصرفوا الناس عن الكلام في السياسة . والعمل في ميدانها ، لان في ذلك ، ما يقض مضاجع القابضين على زمام الامور ، ويصورهم للشعب صورة شاحبة الالون . ويتهمونهم انهم انما ينصرفون الى تزوير المظاهر ، ليخدعوا الناس ، العراقيين منهم وغير العراقيين ، ويوهموهم ان في العراق ، نهضة وتقدماً ، وأن المعرض ، من هذه المخادعات . وسواء اصحت هذه التهمة ام لم تصح ، فمن الانصاف ان نعترف بأن في اقامة المعرض ، عملاً جليلا نافعاً للعراق . فلو لم يكن في المعرض ، سوى انه عرف الى العراقيين انفسهم ، منتوج بلادهم ، على اختلاف الويتها ونواحيها ،لكفى بذلك فائدة . على ان هناك فوائد غير هذه ، فان العراق وهو قطر متزامي الاطراف متسع الجنبات ،قلما يجتمع اهلوه،اجتماعات تتناول مختلف طبقاتهم ، ولا سيما سكان البادية منهم ، وقد كان المعرض ، وسيلة فعالة لحمل الاهلين من حضر وبدو ، على زيارة بغداد ، والاختلاط بعضهم بالبعض الاخر ،وكان عدد زائري المعرض ، كثيراً حقاً ، يقدر بمئات الالوف ، من رجال ونساء ، وقد بيع فيه اشياء كثيرة ، استفاد منها العراقيون ، وعُرفت اشياء كثيرة ، من منسوجات وغيرها ، كانت مجهولة من قبل .

وقد وضعت لجنة ادراة المعرض ، جوائز توزعها على اصحاب المعروضات الممتازة ، من زراعية وصناعية ، وفي هذا تشجيع على المضي في التحسين والاتقان ، من الحق ان لا ننكره ، رغبة منا في النكايات ، واذا تكلمنا على الزراعة ، فالذي نقوله في المعرض ، لا يمنعنا التصريح بأن الزراعة في العراق ، ما تزال مقصرة جداً ، ومتى علمت ان البلاد العراقية ، هي بلاد زراعية في الدرجة الاولى ، وان اكثر من عشرين نهراً بينها دجلة والفرات ، تنساب في اراضي العراق مطمئنة هازئة ، لا تمتد اليها يد — الا قليلاً — وان العراقيين مع هذا يستسقون الله ، ويهرعون الى المعابد كلما لبست سماء العراق،ثوبها النحاسي الاحمر—وما اكثر ما تلبسه—يضرعون الى اله السماء والارض ، ان يمطرهم بدل التراب ... ماء ، متى علمت ذلك كله ، عرفت ان حكومات العراق المتعاقبة ، كانت ضئيلة الاثر ، في اعمال الري ، التي عليها وحدها ، تقوم زراعة العراق ، بل ثروة العراق ، وان الحكومة الحاضرة ، مقصرة من هذه الناحية ، تقصيراً ، لعل المنصفين من رجالها انفسهم ، لا ينكرونه ، وان حاولوا ان يخلقوا له انواع المبررات

ومما استوقف نظري في المعرض ، القسم الفني منه ، الذي بدت فيه عبقرية بعض الطلاب ، تدلل عليها رسوم زيتية بديعة الصنع ، تكاد تحسبها من ريشة الرسامين النابهين ، في الاتقان والابداع ، بينما اصحاب هذه الرسوم ، فتيان ، يكاد يجهلهم حتى ابناء العراق ! وهذا عمل ما نستطيع الا ان نقدره للمعارف حق قدره ، فان هؤلاء الفتيان ، ينتسبون الى مدارس الحكومة ، التي تعنى فيما يظهر ، بفن الرسم ، عناية خاصة ، بيد انه ، على خطره وجلال نفعه ، لا بأس بان تصرف عنه بعض الجهود ، موقتاً ، الى غيره من امور التعليم ، ولا سيما في بلد كالعراق ، ما يحتاج ابناؤه الى شيء في البوادي والقرى والمزارع ، حاجتهم الى القراءة والكتابة ومعرفة البديهيات والضروريات ...

ولعلي لا اخطيء اذا انا قلت ، بعد الذي عرفته وشهدته ، ولا سيما خارج بغداد ، ان اول ما يحتاج اليه العراق ، رفع المستوى الاجتماعي فيه . وهذا له علاقة بامور كثيرة ترتبط بعضها بالبعض الاخر ، ارتباط حلقات السلسلة الواحدة

ما تستغني واحدة عن الاخرى ، ويرجع ذلك الى وضع العراق الخاص ، الذي يستحيل على المرء ، ان يفهمه فهماً صحيحاً ، من التاريخ والجغرافية واقوال الصحف ، والساسة والكتاب فقط . الا ان يزوره بنفسه . وها انذا محاول ، ان ارسم لهذا الوضع ، في وضوح ، وجلاء ، صورة صغيرة ، ارجوا ان اوفق فيها ، ولو قليلاً ، الى الحق والى الصواب ، وانا عالم بالصعوبة الشديدة فيما احاول ، لانني لم استطع ان ازور انحاء العراق جميعها ، والانحاء التي زرتها ، لا تذكر ، بالنسبة الى منبسط العراق الواسع الشاسع ، المختلطة فيه الفلوات والصحاري بالبساتين والحقول والواحات

تبلغ مساحة العراق السطحية حوالي اربعماية الف كيلو متر مربع ، فيها قسم من الاراضي التي ما نستطيع ، الا ان نعدها صحاري ، بالنظر لقلة الامطار ، وفقدان مشاريع الري ، ويبلغ عدد سكان العراق اربعة ملايين نفس او يزيد ، منها ما لا يقل عن النصف ، قبائل ، اكثريتها الغالبة ، ما تزال على البداوة التامة ، ومن هذه القبائل فريق كبير ، ما يزال حتى الان معتبراً فريقاً متنقلا « يشرّق ويغرّب » في اوقات معينة انتجاعاً للماء والكلاء . والعراق نزل به من المصائب والويلات وعوامل التدمير ، ما لم ينزل بغيره في هذا الشكل من الاستمرار . فهو منذ وفاة المعتصم ، وسقوط هيبة العباسيين ، محط التفرقة والتجزئة والنوازل . فقد حكم الحمدانيون ، في القرن الحادي عشر ، شمالي العراق ، حكماً مستقلاً ، وحكمه السلاجقة كله ، حكماً فعلياً ، رغم خلافة بنى العباس ، زمناً طويلا ، ثم هو لم يسلم من حملات الصليبيين ، الذين كانوا يهاجمون المملكة الاسلامية الكبرى ، من الشمال والغرب في فرص مختلفة ، الى ان قضى عليهم صلاح الدين الايوبي ، ابن تكريت ، التي زرتها فيما زرت من مدن العراق وقراه . وفي العقد الرابع ، من القرن الثالث عشر ، بدأ سيل التتر يطغى على العراق ، الى ان اجتاح هولاكو البلاد ، فكانت النازلة الكبرى الفاجعة ، اذ انه دمرها تدميراً

دمر هولاكو القصور ، والطرق ومجاري المياه ، وكل ماوصلت اليه يده الطويلة من مظاهر العمران ، والتنظيم ، والرخاء . وجاء دور تيمورلنك . فلم يقصر ولم

بتعفف. وفي العقد الاول ، فيما اظن ، من القرن السادس عشر ، دخل العراق في سلطة العثمانيين ، ايام السلطان سليمان القانوني . وانت تعلم مبلغ قابلية العثمانيين حتى انتهاء الحرب العامة للحضارة والعمران ... فقد استولوا على العراق وهم كما عرفت فلم يقتصروا ، بأن وقفوا منه موقف المتفرج ، على خرابه ، بل زادوا في تخريبه ، وتمزيق ابنائه ، وما ادري كيف انهم « تفركشوا » بسد الهنديه » ! فان سد الهندية عمل عمراني جليل فعلا ، يستحق الاعجاب والاكبار . وسأتكلم على هذا السد قريباً ان شاء الله

ولم يسلم العراق ، من مهاجمة الفرس ، جيرانه وموتوريه ، في خلال حكم العثمانيين ، فقد هاجمه الشاه عباس ، في العام الثالث بعد الستماية والالف ، واستولى على بغداد فاسترجعها السلطان مراد الرابع سلطان العثمانيين . وفي سنة ١٧٢٨ حاصر بغداد ، نادر شاه ملك الفرس ، ولكنه رجع عنها مخذولا

ومنذ ذلك الحين توطدت السيادة للعثمانيين ، في العراق ، ولكنهم لم يقوموا فيه بعمل جليل نافع . فلا معاهد للتعليم ولا مشاريع للري ، ولا طرق للمواصلات ، ولا شوارع في المدن ، ولا تحضير للعرب البادين ، ولا شيء مما يمت بسبب للحضارة والعمران

ونشبت الحرب العامة ، ووصل الانكليز العراق « حلفاء » فاستبدوا به ، واجتهدوا في ابقائه ، على جهله ، وتنمية روح التفرقة في ابنائه ، وتقطيع أوصاله ، فضاق في العراقيين ، موضع الصبر ، واشعلوها ثورة آكلة ، في عام ١٩٢٠ اضطرت بريطانيا معها ، للتسليم بمطالب الثائرين . فأنشئت الحكومة الوطنية ، وبايع العراقيون فرحين ، الملك فيصل ، ملكاً على العراق في ٢١ آب من سنة ١٩٢١ . فالعراق العربي ، بشعبه ، وحكومته ، ما يزال كما ترى طفلا ، لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره !

هذه صورة صغيرة خاطفة للعراق ، ارجو ان تكون واضحة ، ولو قليلا ، يظهر منها كيف ان رفع مستوى العراق الاجتماعي ، عمل ينبغي له ، عدا الجهود الجبارة ، الخالصة ، سنوات كثيرة ، لانه يرتبط كما قدمت بامور عدة ، كنشر العلم ، واحياء

مشاريع الري ، وتوفير اسباب العيش الهانيء ، والعناية بالصحة العامة ، وتكثير عدد النسل ، وربط اجزاء البلاد النائية ، بعضها بالبعض الآخر ، بواسطة الطرق المنظمة المعبدة ، والخطوط الحديدية ،وتعمير المدن والقرى ، الى آخر ما هنالك من مثل هذه الامور ، التي تؤلف سلسلة واحدة متماسكة الحلقات

ان الشعب العراقي اليوم ، شديد الرغبة ، في الاصلاح والتعمير ، والشبان منه كالشبان في كل بلاد ، ذوو رغائب ملحاحة ، في التقدم والفلاح . ولكن اية حكومة تستطيع ان تلبي رغائب هذا الشعب ، الطموح الملحاح كلها ، بالسرعة التي يريد ، وحال العراق حاله الذي عرفت . يقولون ان الحكومة الحاضرة ، مقصرة بالنسبة لما يتطلبه العراق،هذا صحيح .ولكن حكومة واحدة،اياً كانت ،ماتستطيع ان تنيل العراق اليوم كل ما يريد . فالذي يبغيه العراق كثير . وهو على حق في بغيته . ولو نظم لها الصفوف ، وعمل في جد ، لظفر منها باكثر مما « يظنون » من غير ما صراخ ولا ضجيج . ما اريد ان يفهم من كلامي انحكومة العراق الحاضرة تقوم بكل ما يجب عليها القيام به . كلا

وسأعدد في مقالة مقبلة النقاط التي كان يمكن ان تفعل الحكومة فيها شيئاً ، ولم تفعل ،فخلقت حولها هذا الغليان .

بغداد   نيسان ١٩٣٢

بين الشام والعراق

- ٤ -

الف ليلة وليلة

قد تكون بغداد « الف ليلة وليلة » درست كلها ، فلم يبق منها قصر ، ولا دار ولا كوخ ! وقد تكون بساتينها، وجناتها ،ومجاري المياه البلورية ، فيها ، صوحت ونضبت ، فلم يبق جدول ولا ساقية ولا بستان ! وقد تكون مجالس الملوك من آل عم محمد بن عبد الله ، خالق العرب امة — على جلال « البلاط »اليوم ونضرته يزدان باولاد ولد محمد نفسه — سهمت واقفرت ، ولكن دجلة (النمر) ما يزال دجلة الفياض المسماح ، والنخيل الجبار ، ما يزال النخيل ، الذي يناطح السماء،والكرخ ، والرصافة ، والجسر ، والكاظمية ، ما تزال تقع اسماؤها في النفوس ، وقع قطرات الندى من الرياحين والازهار ، والقمر مابرح يبترد في مياه النهر ، فيترامى بين يديه اشجار النخيل ، على جبروتها ،واشجار الحور والصفصاف . وتعج هذه الاماكن ، والمشاهد ، بارواح المنصور والهادي وهارون والامين والمأمون من جهة، وارواح الاصمعي وابي نواس وبشار وابن الجهم وابي العتاهية وابن الاحنف ووالبة ومسلم وابن زريق ،من جهة اخرى ، يستثير باصواتها ،ويحن الى احياء مجدها، في ظل علوم القرن العشرين ، وفنونه ، فريق من هذا الشباب العربي القح ، المتوثب في العراق. فما تستطيع الان تستروح من هذا كله عبق المجد ،والحضارة والجلال، والترف ،تحت سماء بغداد ، بينا تقع عينا رأسك ،على كثير من مظاهر الفقر والضعف والجهل والخراب .

فاذا كنت تجهل ماضي مدينة العباسيين البعيد ،وماضي سادتها من ملوك وامراء وقواد وادباء وعلماء ، وكنت لا تذكر على الاقل ، قول العباس بن

الاحنف :

انكر الناس ساطع المسك من دجـ ـلة قد اوسع المشارع طيبا
فهم معجبون منـه وما يد رون ان قد حللت منه قريبا
شاطريني هـذا العنـاء والا فاجعلي لي من التعزي نصيبا
ان بعض العتاب يدعو الى العتب ويرضى به المحب الحبيبا
واذا القلوب لم تضمر العطـ ـف فلن يعطف العتاب القلوبا

فانك لا تحس شيئاً من الروعة ، والجلال ، لبغداد ، الا ما يبعثه منها في نفسك منظر ، دجلة ونخيله التياه . واذا جهلت الى ذلك ، ماضي بغداد القريب ، بغداد « العثمانيين » حسبت هذه المدينة الخالدة على الدهر ، قرية كبيرة ، لو لا الشارع الجديد ، شارع الرشيد ، وما يطالعك من جماهير المارة ، والسيارات والعربات تزدحم ازدحاماً لا تعرفه بيروت ولا دمشق ، ولولا بنايات انيقة ، قامت حديثاً ، على الجانب الشرقي ، من دجلة ، في نهاية هذا الشارع ، من الجنوب ، وفي « الكرادة » وفي ناحية الشمال ، من « الرصافة » بطريق الاعظمية .

* * *

يمتد شارع « الرشيد » هذا ، من الاعظمية الى الكراده ، وهو اعظم شارع ، ان لم اقل ، الشارع الوحيد في المدينة ، والى شمالك ذهوباً الى الاعظمية ، يقوم البلاط الملكي ، والى يمينك ، وقبل البلاط ، قامت بنايات المعرض الزراعي الصناعي ، وعلى جانبي هذا الشارع ، تقوم اكبر المحال التجارية ، والفنادق والمقاهي . ومن البنايات الضخمة ، الجميلة ، المطلة على شارع الرشيد « المدرسة المأمونية » وبناية مكتبة الاوقاف ، ومقر حزب العهد الحكومي ! وحزب العهد هذا هو غير « حزب العهد » العربي القديم ، الذي يعرفه احرار العرب ، والمشتغلون قديماً وحديثاً للقضية العربية العامة ، ومن هذا الشارع ، يمتد بالقرب من المدرسة المأمونية ، شارع لا بأس به يمر بوزارة الدفاع ، ثم يعطف قليلاً فيمر بمديرية الشرطة ، ومركز البرق والبريد العام ، وامانة العاصمة وبقية الوزارات . وبالقرب من وزارة الدفاع ، بقايا قصر عظيم ، هو

القصر الوحيد الباقية اثاره ، من قصور العباسيين ، ويزعمون انه قصر المأمون ، على ان المطلعين ينفون هذا الزعم ، ويقولون انه قصر عباسي ، لا يعلمون اكان المأمون سيده ام غير المأمون !

وفي نهاية شارع من الشوارع المتفرعة عن شارع الرشيد ، وعلى ضفاف دجلة ، وبالقرب من الجسر الذي يقولون انه في مكان جسر « ابن الجهم » الذي يصل الرصافة بالكرخ ، بناء ضخم ، ما يزال يهزأ بعاديات الزمن منذ مئات السنين . منذ ان كان اكبر منارة هدى وعرفان حتى اصبح مقراً لدوائر المكوس ! اعرفت هذا البناء ! انه المستنصرية ! المعهد العلمي العظيم ،الجامعة التي شيدها المستنصر بالله ، احد خلفاء بني العباس

وفي هذا الشارع ، والى يمينك ذهوباً الى الجسر ، قام المتحف العراقي ، وكلية الحقوق . وهناك أثر آخر عباسي ، في الزوراء ، وفي جانب الرصافة ، هو المنارة القائمة في « سوق الغزل » . وسأحدثك عن القصر والجامعة والمستنصرية والمنارة والمتحف وغير ذلك ، مما تتوق اليه من حديث بغداد في مقالة آتية ، فقد انهكني طول انحنائي على الورق وانا في فراشي ، اكتب على ركبتي ، كما يفعل كتاب « العرضحالات » و « الحجابات » في بغداد ، وربما في بيروت ايضاً ، وكما كان يفعل من قبل آباؤنا الذاهبون

ـ بغداد ـ

بين الشام والعراق

- ٥ -

في هذه الساعة التي احتواني فيها بر الشام ، مبعث ذكريات العظماء الصالحين من ابناء امية ، بناة المجد العربي الخالص ، والحضارة العربية المحسنة ، ومؤسسي الدولة الكبرى ، يخفق علمها العربي التياه ، على القارات الثلاث ، وبعد ان اصبحت بغداد ، محجوبة عن بصري فما اراها الا بعيني روحي، تقعان على ما يهز هذه الروح ، ويلفت هذا القلب ، من اشخاص واشياء واعمال ، وفي هذه الساعة التي تتنازع نفسي فيها ، عوامل الحب والتحنان، والالم والرجاء، لبغداد ، اتوجه بصفة كوني عربياً قحاً مؤمناً الى اخواني في العراق ، من عراقيين وسوريين جميعاً ، غير مفرق بين حكوميين ومعارضين ، باسمى آيات الحمد والشكر والامتنان ، واخص بذلك صاحب العرش المفدى الملك العربي الجليل فيصل بن الحسين ملك الشام في العراق ، وملك العراق والشام ، ثم استمر في الكلام على العراق ، في سلسلة من المقالات ، التي كنت وضعت حلقات منها بين ايدي القراء ، بروح الناقد المنصف وفي صراحة واخلاص

. . .

قلت في مقالي الاخير ان بغداد تكاد تكون قرية لولا امور ذكرتها او قسما منها ، في ذلك المقال ، وانا اخشى ان يفهم بعض الناس ، من قولي هذا ، ما لا يتفق مع ما قصدت اليه من الوصف ، فيحسب ان منبعث المجد والحضارة العربيين التالدين في عهد بني العباس ، بغداد الساحرة ، مهوى افئدة دعاة الوحدة العربية الخالصة وه و كر ، العرب - على تعبير صاحب الجلالة الملك فيصل - المتطلعين الى احياء الملك العربي ، من جديد ، كالشويفات مثلاً ، او زحله ! والحقيقة غير ذلك . فان بغداد يبلغ عدد سكانها ما لا يقل عن ٤٠٠ الف نفس، ويقوم فيها من الملاهي ،

ودور السينما والمقاهي ،ما لا يقل عما في بيروت ودمشق وسواهما ، من مدن الشام ويطالعك فيها من المدارس ، والمكتبات ، وغير ذلك من المباني الشعبية ، الشيء الكثير ، وان اختلفت هذه كلها من حيث الشكل والزخرف والنظام،عن اخواتها في القطر الشامي . وانا انما قصدت بقولي ان بغداد تكاد تكون قرية كبيرة الى تصوير شكل البناء وطراز المشارع ، في الامكنة التي ليس من المفروض ان يجول فيها غير ابناء بغداد ، وجلت انا فيها للدرس والاستقراء . ففي هذه الامكنة ترى المنازل كبيرها وصغيرها ، مفرغة في مظاهر من الضعة ، والفقر ، وقلة التنظيم ، ما تتفق في شيء مع ما هو مفروض ان يكون في المدن الكبرى ، وترى هذه المنازل ،لا يفصلها بعضها عن البعض،الا ممرات لا يتجاوز عرض الواحد منها المترين وهي في الصيف مثار غبار ، وفي الشتاء موحلة ،تكاد اقدامك تغرق فيها من كثرة الوحول والمياه

وهي من قلة النظافة بحيث لا يتردد ان « يجود فيها رأيه»احد ما ، اياً كان(١) فيزيد هذا في القذارة ، التي تؤذي الابصار والاجسام . على انه من الانصاف ، ان لا نتعامى عن ان المجلس البلدي ، يشعر بهذه الحال وينفر منها ، ويعمل على ان يستبدل بها غيرها ، فقد رأيت بعيني ، بعض هذه الممرات ، تعمل فيها ايدي الفعلة فتعبدها وتهيء في وسطها مجرى للمياه ثم تفرشها بالزفت — وما اكثر الزفت في العراق — وقد سألت امين العاصمة يوماً ،السيد ارشد العمري ، وهو كهل شاب ، موفور ادب النفس ،بادي الرقة ، في بشاشة ووقار ، عما يمنع المجلس البلدي،من فتح شوارع جديدة ، وجادات ، وابراز بغداد ، في حلة قشيبة ، من الجمال والجلال ، وسألت غيره من الرجال الرسميين ،مثل هذا السؤال ، فكنت اتلقى هذا الجواب: ان انشاء بغداد جديدة اسهل واجدى ، وادعى الى الاستمتاع بما نطمح اليه ، من تنظيم وترتيب ، وفخامة ، وجمال ، في عاصمة العراق . اما المدينة الحاضرة فخير ما يستطاع عمله فيها تنظيف دروبها وازقتها ، وممراتها القائمة ، وفرشها بالزفت، من غير ما تعرض للهدم والانشاء

(١) اشارة الى القول المأثور : لا رأي لحاقن

وهناك فعلا ، خريطة لانشاء مدينة جديدة ، ستقوم في الاغلب ، على الجانب الغربي من دجلة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان منازل كثيرة وقصوراً غير قليلة ، قامت في هذه السنوات الخمس الاخيرة ، وتقوم الآن ، على طرفي بغداد من الجنوب والشمال ، فيها ضخامة وفيها جمال ، وهي تخالف في طراز بنائها الدور والمنازل والقصور القديمة ، فهذه نسخة طبق الاصل تقريباً ،عن الدور والقصور في دمشق . اما البناء الجديد فعلى طراز جديد .

وهناك ظاهرة ما استطيع ان اتناساها ، تناقض مظهر بغداد العمراني مناقضة قوية ، هي حب البغداديين للازاهر والورود ، وعنايتهم بها عناية تدعو الى الخاطر سكان رومة وباريس، وحدائق رومة وباريس، ففي بغداد من الحدائق الحالية الفاتنة العابقة بالعطر،ما يمشي له كل قلب ،وتسكن اليه كل نفس،على ان الورود على اختلاف انواعها – وما اكثر انواع الورود في العراق – تحل من نفوس القوم محلا تذوب حسان الدنيا ، في سبيل حلولها مثله من نفوس الناس !

الجمال فتنة ! نعم . والورود في العراق فتنة ! امتع الله العراقيين احد اركان وطننا العربي الكبير، بما يشامون من ورود الحدائق وورود العيش الهانيء الرغيد ، في ظل الاستقلال والحرية اللذين لن ننفك نجاهد معاً ، في سبيلها بمختلف الطرق والاساليب

. . .

هذه صورة مجملة مصغرة للمدينة الساحرة ، رغم ما فيها من هنات ، ومن مظاهر فقر وخراب ، وصفتها لك في ايجاز وفي امانة ، وانا اود لها ان تكون افخم من رومة ، ومن لندن ، واغنى من نيويورك ، واجمل من برلين وباريس

–بيروت–

بين الشام والعراق

-٦-

لقد رضيت لنفسي من ترتيب الفصول ، التي سانشرها عن العراق ، ذلك الجزء المحبب المتوثب من وطني العربي الكبير ،بالكلام على وضع العراق السياسي ، بصورة عامة في اول هذه الفصول ، وقد هممت ان افعل ، لولا ان فريقاً كريماً من القراء ومن بينهم اخوان لي ورفقاء ، ألحوا علي ، بان أفي بما كنت قد وعدتهم به ، من وصف آثار العباسيين في بغداد ، ووصف سماء بغداد تمطر التراب ! فجنحت الى مماشاتهم في رغبتهم هذه ، وفاء بالوعد ، على ان يكون مقالي الاول بعد هذا في وضع العراق السياسي ، ثم انتقل الى الكلام على النواحي الاخرى ، من اداوية وعلمية واجتماعية واخلاقية ، وغير ذلك وانا ارجو ان اوفق في عملي الى الصواب والى الانصاف .

انه لمما يمض النفس ويعتصرها ألماً ، ان تكون تلك المدنية العربية التي غمرت ثلاثة ارباع الدنيا المعروفة في عهد العباسيين ،قد زالت ،ولم يبق ما يدل عليها دلالة واضحة ، من اثر ملموس ،ولعل السبب في ذلك ، مع ما تعرضت له بغداد ،من غزوات الفرس والتتر والترك ، ان مادة البناء في العراق ، عدا الالوية الشمالية ،لا تصلح كثيراً لمقاومة هجمات المقاتلين ، وهجمات الايام ، فالحجارة التي تشاد بها عادة حصينات القلاع ، و كبريات القصور ، وغيرها من المباني الضخمة ، مفقودة في العراق ،الا من الشمال ، فالآجر هو وحده ، الذي تبنى به المباني جميعها ،على اختلاف حجمها وانواعها . وايوان كسرى نفسه ، القائم شرقي دجلة على بعد خمسين كيلو متراً من بغداد الى الجنوب ، ذلك الايوان الذي قل ان يخلو من ذكر عظمته وفخامته كتاب عربي قديم ، مبني بهذا الآجر ، الذي لا يزيد حجم الواحدة منه عن ٢٠ الى ٢٥ سنتمتراً

تقريباً ، بعرض النصف او اكثر قليلا ،على ان عرض الحائط من الحيطان القائمة ، حتى الآن ،تخللها الشقوق ، ويهددها العفاء في ذلك القصر ، يبلغ الستة الامتار .

ومثل ايوان كسرى هذا ، قصر من قصور العباسيين هو القصر الوحيد ، الذي تقع عليه عيناك في بغداد ، من تلك الثروة الضخمة الهائلة ، التي كانت تمثلها قصور بني العباس

يقع هذا القصر في جانب الرصافة ، شرقي النهر « النمر » دجلة الفياض ،الفتان ، والى جانبه بناء اتخذته مقراً لها ، وزارة الدفاع .وكانت وزارة الدفاع ، بعد البلاط، اول مقر زرته في بغداد . ذلك لان احمداً في وزارة الدفاع ، عنيت احمد المناصفي سكرتير الوزارة وابن بيروت، واحد مفاخر الشباب العربي وليس السوري فحسب ، واحد رفيق المدرسة وصديق الصبا وأحد الاخوان الامناء . وكان من البديهي بعد روعة اللقاء ، ان يأخذ احمد بيدي ، الى الساحة الممتدة امام وزارة الدفاع ، وهو يردد : تعال لاريك القصر .وتخطى احمد امامي باباً صغيراً ،في جدار صغير ،يفصل القصر عن ساحة الوزارة ، فتبعته وانا اشعر بان قلبي يخفق فوق خفقانه المعتاد .فاذا نحن امام جدران منقضة ، واخرى تهم ان تنقض ، تقوم على جدران اخرى، بدت عليها ثقل السنين والاجيال ، ولكنها ما تزال تتماسك في تجلد ووهن ، كأنما يأبى عليها جبروتها وعظمتها ان تمازج التراب

— أصحيح انه قصر المأمون يا احمد

— لا . ليس بين ايدينا ما يثبت هذا الزعم ، ولكنه على كل حال قصر عباسي

وما تزال الطبقة السفلى من القصر العباسي ،تدل على ما كان للقصر واصحابه، من شأن ، وما تزال نقوش مبعثرة في سماء هذه الطبقة ، وزوايا غرفها ، وسراديبها ، يراها المتأمل،فيرى فيها صور الترف والحضارة والثراء،وفي هندسة القصر، ما يكشف لك ،عن فائدة الطراز المتبع ، في يوم انشائه ، لاتقاء الحر ، مع الاستمتاع بالنور ، والهواء ، بما يحسن تقليده في هذا العصر نفسه ، كما يقول العارفون من ابناء العراق!

واثران آخران ، من آثار العباسيين في بغداد : مأذنة سوق الغزل ، وهذه ما

احدثك عنها ، لانها ليست بذات قيمة كبيرة ، والمستنصرية ، الجامعة التي بناها المستنصر ، فافاضت على الدنيا من العرفان ، ما قد يكون غير منقطع الاثر حتى الآن . والمستنصرية بناء ضخم ، مستطيل ، يقوم في جانب الرصافة ، وتغسل اقدامه دفقات دجلة المتتابعة ، ولكنه ، ويا للاسف ، لم يبق من زخرفه الاول ، لا قليل ولا كثير . وهو اليوم مقر لدوائر جمركية في بغداد ، لذلك فهو لا يحرك بمشهده ، في نفسك ، ما يحركه مشهد القصر ، الذي وصفت ، الا ان تطوي بفكرك القرون ، وتعود الى ايام ، كانت تخالط فيها أصوات طلابه ، هدير المياه المتقلبة بين ذراعي الرصافة والكرخ . وقد رممت الدولة العثمانية بناء المستنصرية غير مرة ، واستعاضت عن الآيات القرآنية المنقوشة على جبهته بالذهب ، بشكل اخاذ بالقلوب ، بعد ان عدا عليها الاصيل والعشي ، بآيات ليس في كتابتها ، ولا شكلها شيء كثير من الروعة والجلال

العجاج العجاج !

بينا انت تستمتع من نسيم بغداد ، بالرقيق العليل ، وتفتح منخريك باكثر ما يمكن من القوة لتملأ صدرك باكثر ما يمكن من الهواء النقي ، والشذى الهائم ، ضاقت به عيون الازاهر ، واكمام الورود ، وبينا انت تنعم من سماء بغداد الصافية ، بخيال يصور لك نجومها الشعاعة ، في متناول يديك ، وقمرها النظيف الناصع يكاد يهوي بدلاله عليك ، بينا انت كذلك ، اذا اصوات ترتفع : العجاج ! العجاج ! واشخاص تتراكض الى النوافذ والابواب !

لقد ثارت رياح الصحراء ، وحجب العجاج وجه السماء ، وسدت الطبيعة مسالك الشذى على الورود والازهار !

لقد غضبت الطبيعة على العراق هذا العام ، فلم تمطره السماء ، حتى ولا الرذاذ . ومتى ضنت السماء على الارض بالمطر ، ضنت الارض على الناس بالنبات – خصوصاً اذا لم ينفذ الناس مثل مشروعي الذي اشار اليه ابو مروان – فكان ان بقيت صحراء العراق جرداء ، وقفرا نقرا ما فيها عشبه خضرا ، وخف وزن الرمال ، فما تثور الدبور ، هذه الارواح ، التي تهب من الغرب ، بشكل رائع رهيب ، حتى

تحمل ما يخف حمله ولا يغلو ثمنه ، من الرمال والتراب ، وتصعد به الى الجو مقادير هائلة ، تحيل النهار الى شبه ظلام ، ثم تصبه في تؤدة وهزء ، ناعماً ليناً ، على مدن العراق وقراه . فيهرع الناس صارخين العجاج ! العجاج ! الى الابواب والنوافذ ، يقفلونها ويرخون عليها الستائر في تأفف واشمئزاز . وقد كانت هذه السنة دون ماضيات السنين ، حافلة بهذا النوع من المطر ! فقد امطرت السماء تراباً في خلال شهرين ، ثلاث او اربع مرات ، على ان هذا شيء فوق العادة ، فلا تحسبن مطر العراق « على طول » تراباً في تراب !!

ــ بيروت ــ

بين الشام والعرق

-٧-

وضع العراق السياسي

احسب ان ابن بر الشام ، اي السوري - عرفاً واصطلاحاً - الذي يؤمن بالوحدة العربية ويعمل لها باخلاص وثبات ، ويرافق الحركات السياسية ، والنزعات السياسية في هذا البلد المروع المقطع الاوصال ، ما يستطيع اذا هو عرض لمعالجة الوضع السياسي ، في العراق ، والكلام على محاسنه ، او مساوئه ، بعد الدرس والاستقراء ، الا ان يكون بادي التأثر قليلا او كثيراً ، بما مثلته وما تمثله السلطات الفرنسية ، والبلدية ، في القطر الشامي ساحله وداخله ، من مآسي وروايات ، فيخرج من كلامه على القطر الشقيق ، بالحكم له - من الناحية السياسية طبعاً - في شيء كثير من التورط والاسراف ! ذلك لما يقوم فعلا من التباين السياسي ، بين الوضعين ، في القطرين الشقيقين ، رغم ان وضع العراق السياسي اليوم ، ليس غاية ما يطمح اليه العراق ، ويرضاه لنفسه ، ولا غاية ما يطمح اليه دعاة الوحدة ، المؤمنون ، ويرضونه له ، ولغيره من اقطار العرب كافة .

على انني محاول ان لا اتورط ولا اسرف ، ولكنني لن استبدل بنظاراتي ، نظارات سوداء ... ولعل اول شيء يمر في خاطري ، وانا مكب على هذه الاعمدة او الانهار « الورقية » اكتب فيها ما يوحيه الي اختباري ، ووجداني ، عن العراق ، موقف اخواني المعارضين المخلصين في بلاد الرافدين ، يمثلهم خير تمثيل « الحزب الوطني » العراقي ، تديره نخبة مختارة من عرب العراق الخلص ، اذكر منهم جعفر ابو التمن ، ومولود مخلص وسعيد ثابت ومحمود رامز وعبد الغفور البدري . ومن غير الحزب الوطني ، ابرهيم عطار باشي ، وابرهيم صالح شكر ، وبعض المحامين والصحفيين ، وغيرهم ، فارى في تصلبهم الشريف ، وقسوتهم في ابداء الآراء ،

والاحكام، ما يحملني على ان اذكرهم، بالذي كان بيني وبينهم، من احاديث ومناقشات، بالذي عرفوه من امور الجزء الشامي، من وطنهم العربي المتعدد الاجزاء، فاذا هم ذكروا ذلك كله، فذاك، والا فحسبي ضميري وعقلي وعروبتي، يرتفعن بي، الى ما فوق العراق وسورية، وما فيهما من كتلات واحزاب

وبعد، فقد اذكر انني أجملت حال العراق في مقال قبل هذا، ألممت فيه بما نزل بالعراق من نوازل في عهوده المختلفة، منذ ان تراخى الامر في خلافـــة العباسيين، واصبح العراق هملاً، يطمع فيه المماليك والولدان، الى أن احتله جيش «التحرير والانقاذ !!» في العام السابع عشر بعد التسعماية والالف. وارى الساعة وانا اكتب اكثر الفصول خطراً ودقة، عن العراق، ان انبسط قليلاً في تصوير مركزه الجغرافي السياسي. وهو يقع كما يعلم القراء، بين دول ثلاث كانت — وربما لا تزال — حتى الامس القريب، تطمع فيه، وتتسلح بمختلف السلاح لبسط سلطانها عليه، أو وضع العراقيل والعقبات في سبيله: ايران والحجاز ونجد. وتركيا. واحسب ان هذا التبسط، امر لا بد منه، لمن يريد ان يخرج من معالجة الامور بحكم صحيح فيه تعليل وانصاف، فالاكتفاء بالحاضر الشاهد، دون النظر الى الماضي البعيد او القريب، وما اكتنفه من عوامل وماجريات، لا يصح في نظر العاقل المفكر المنصف، ان يكون اساساً لحكم ما، اضف الى ذلك نظرية النسبة وعدم الاطلاق

كان الاتراك يطمعون بالموصل. والموصل زينة ألوية العـــراق، ومنبع ثروة العراق، وكانت الدولة الحجازية النجدية، او قبائل الحجاز ونجد... تشن الغارات، من هنا وهناك على حدود العراق، وكانت ايران تطمح سراً وعلناً، الى الاستيلاء على العراق، ولكل من تركيا وايران اعوان، كثروا ام قلوا، في وسط العراق، والى هؤلاء جميعاً الانكليز، اصحاب الشأن وارباب السلطان القوي بحكم الفتح — استغفر الله — بحكم التحرير والانقاذ !! فكانت الحكومات العراقية التي تداولت زمام الحكم، تشد ازرها بجلالة الملك وتسترشد بآرائه، تقدر قـــدر هذه المخاطر والنكبات !... وكان من المحتم ان يعمل ربان السفينة، في حذر واحتياط، ورباطة جأش ودهاء، على ان ينفذ من بين هذه الصخور، بسفينته المهددة، تتلقفها

ثائرات الامواج ! فتكاد تحطمها تحطيماً لا يبقى لها اثراً ما ، الى ملجأ ، مهما يكن من شأنه ، فهو يصلح للانتظار ، على الاقل ، الى ان يصلح الربان وبحارته الامناء ، من شأنهم ، ويستعيدوا قواهم ، فاما ان تسكن العاصفة ،فتستمر السفينة في طريقها بسلام ، واما ان يهاجمها الربان في عدة اقوى ، وعزم اشد،فيتغلب عليها ،وتكون النتيجة في النهاية ،ما اراد!

الكلام على وضع العراق السياسي كما علمت، ووضع العراق السياسي هـذا حددته المعاهدة الاخيرة ، المعقودة في حزيران من عام الف وتسعماية وثلاثين ، فلم لااقول بعد ،ان قرأت هذه المعاهدة غير مرة وهي بين يدي الآن ، انها على ما فيها من مطاعن ، معاهدة لا بأس بها بالنسبة لما بسطته لك ، من حال العراق من قبل ، ومن وضعه بين ايران وتركيا و... والحجاز ونجد!هذا الوضع الذي استغلته بريطانيا من غير شك. فقد جعلت المعاهدة للعراق،وضعاً سياسياً دولياً معترفاً به وحملته الى مصاف الدول المستقلة في عصبة الامم،واطلقت يده في شؤونه الداخلية كلها وقسم من الشؤون الخارجية. وانتزع وضعه الجديد هذا،من مجلس العصبة الاعتراف بان « للعراق اليوم حكومة مستقرة وادارة قادرة،على تسيير شؤون الحكومة الجوهرية بصورة منظمة،وان في استطاعته المحافظة على الامن العام في القطر كله ، ولديه مصادر ماليـــة وافية لسد حاجات الحكومة الاعتيادية،بصورة منظمة،وله قوانين ونظم قضائية ،فيها ما يضمن العدل المطرد للجميع على السواء »

وقد اعترف مجلس عصبة الامم ، وصرح بما يشبه هذه الفقرة التي نقلتها لك، عن قراره ، بشأن دخول العراق العصبة ، في مناسبات كثيرة،بعد عقد المعاهدة العراقية الانكليزية . وسانقل اليك شيئاً من ذلك في مقال مقبل،اذ ان هذا المقال لن يتسع لكل ما اريد ان اقوله ،في وضع العراق السياسي الجديد ، وهذا كله يدلل على صحة ما اذهب اليه ،من ان هذا الوضع رفع من مستوى العراق الدولي والسياسي،على انني ما استطيع الا ان اثبت بين يديك في هذا المقال نفسه ،قول ممثل بريطانيا،في عصبة الامم ، حينما تقرر قبول العراق في العصبة ،وكانت كلمة « تحرير» قـــد وردت في قرارها. قال : اود لو ان اللجنة استعملت كلمة غير هذه للتعبير بها،عن المهمة التي يسعى

المجلس الآن لانجازها اذ ليس ثمة مسألة تحرير للدولة العراقية من قيود ذل وغضاضة ، بل ان الامر بعكس ذلك . فان القضية قضية انتقال تبعة الدولة « المنتدبة » الى الدولة الجديدة . فموضوع البحث اذن منحصر في زيادة تبعة العراق ، الذي بلغ الرشد ويتحمل الآن التبعة التامة المترتبة على دولة كاملة النمو . وقد اعترفنا لهذه الدولة الآن بانها قادرة على الاستقلال بشئونها »

هذه فقرة من تصريح ممثل بريطانيا في عصبة الامم .

وسأضع بين يدي القارىء ، امثلة عملية على ان المعاهدة العراقية البريطانية ، فيها شيء غير قليل من الخير للعراق ، وانشر بعض مواد المعاهدة التي حددت وضع العراق السياسي وفقرات كثيرة ، من قرار عصبة الامم بهذا الشأن ، وقد اتناول مواد المعاهدة كلها بالمعالجة والتحليل ، واشير الى مواضع النقد فيها ، والمواطن التي كان من الممكن في زعمي ، ان لا يظهر فيها ما ظهر من الضعف ، لو وفقت وزارة السيد نوري السعيد الى ان تكون أبعد نظراً ، واصلب عوداً في المفاوضات — بيروت —

بين الشام والعراق

- ٨ -

وضع العراق السياسي

لست ازعم ، ولا تزعم حكومة العراق ، ولا جلالة ملك العراق ، يقول ، ان العراق مستقل اليوم كانكلترا او اميركا او فرنسا ! ولكنني اؤمن بان العراق يمشي بخطوات منظمة ، نحو هذا الاستقلال، وان وضعه بعد المعاهدة يساعده - اذا خلصت نيات ابنائه، وكانوا من الرجولة والوطنية بحيث تلزمهم، وانصرفت جهودهم مجتمعين في سبيل الهدف الاسمى - على البلوغ الى هذا الهدف في خلال سنوات قد تكون اقل بكثير مما يقدرها المتشائمون .

ومن الامثلة المحسوسة على ان وضع العراق السياسي اليوم ، خير منه منذ عشر سنوات ، وانه خير من الوضع السياسي في مصر - وما أقول في القطر الشامي ايضاً ، فهذا لا يحتمل البحث والمقابلة - أن العراق من الوجهة الحقوقية ، أصبح في نظر دول الدنيا الممثلة في عصبة الامم ، مثل أية دولة اخرى ، من هذه الدول !

قالت المادة الثامنة من المعاهدة :

« يعترف الفريقان الساميان المتعاقدان ، بأنه عند الشروع في تنفيذ هذه المعاهدة، تنتهي من تلقاء نفسها وبصورة نهائية ، جميع المسئوليات المترتبة على صاحب الجلالة البريطانية ، فيما يتعلق بالعراق ، وفقاً للمعاهدات والاتفاقات المشار اليها ، في المادة السابعة ، من هذه المعاهدة ، وذلك فيما يختص بجلالته البريطانية ، وبأنه اذا بقي شيء من هذه المسؤليات فيترتب على صاحب الجلالة ملك العراق وحده » .

فانت ترى ان المعاهدة نقلت مختلف التبعات التي كانت مترتبة على جلالة ملك بريطانيا ، اي على الدولة الانكليزية نفسها ، بحكم ما كان لها من الصلاحية بصفة كونها « منتدبة » من قبل عصبة الامم ، او من قبل نفسها ! على العراق ، نقلت المعاهدة

هذه التبعات ، من عاتق الى عاتق ، فاصبح ما كان مترتباً على انكلترا من التبعات ، مترتباً على العراق فانتقلت بذلك ، باعتراف انكلترا ، واعتراف عصبة الامم نفسها كما رأيت ، الصلاحيـــة التي كانت لانكلترا، الى العراق. فعلى العراق ان يثبت استقلال العراق .

وقد استوقفت النقاط الواردة في المعاهدة العراقية الانكليزية، الوارد فيهاشيء « غير مألوف في معاهدات معقودة على هذا النمط » انظار الدول الممثلة في عصبة الامم ، فقال السيد روسو ممثل حكومة ايطاليا بعد الكلام على هذه النقاط « ان العهود التي قطعها العراق ، لبريطانيا العظمى ، ليس فيهـا ما يخل اخلالاً صريحاً ، باستقلال الدولة العراقية » وقال : « انه لا يصح اعتبار المبدأ القائل ، بأن تكون الدولة قادرة على الدفاع عن نفسها ازاء الاعتداء الخارجي ، امراً ، وجوبه مطلقاً » . وقد سلمت لجنة العصبة نفسها بصحة هذا القول . وبديهي انممثل ايطاليا يعني بكلامه دولا معروفة ، ما تستطيع فعلا الدفاع عن نفسها منفردة ، فيما لو هاجمتهـا دول اخرى ، ضخمة قوية ، ومع ذلك فهي مستقـلة ، ومعترف باستقلالها . وقد صرح مجلس العصبة ، بمـا يدل على انه فهم تماماً ما يقصد اليه السيد روسو فقال : « ومن البديهي ان ما من دولة يصح اعتبارها قادرة ، بلا استثناء ، على الدفاع عن نفسها ازاء الاعتداء الخارجي »

ومع ما في هذه الاقوال جميعها ، ومع اعتراف بريطانيـــا ، بقدرة العراق على الاستقلال بشؤونه ، ومع تقبل عصبة الامم هذا الاعتراف ، قبولا حسنا واقرارها صحته ، وقبولها الدولة العراقية الجديدة عضواً في العصبة ، كسائر الدول الممثلة فيها ، فنحن نرى ان في المعاهدة عيوباً وقيوداً ، لو كانت الدولة الاميركية مثـــلاً ، او الفرنسية أحد الفريقين المتعاقدين فيها لما قبلت بها . وهذه العيوب وهذه القيود ، هي التي أشرت اليها في مقالي أمس ، حينما قلت ان هناك مطاعن ، ومواطن ضعف في المعاهدة ، كان ينبغي ان تتجرد منها ، وهذه المطاعن ومواطن الضعف ، هي التي تقوم عليها قيامة المعارضة الشريفة الصحيحة في العراق . على انني ارى في تنبه دول عصبة الامم لهذه النقاط واشارتها اليها ، في الساعة التي تقرر فيها قبول العراق ، عضواً في

عصبة الامم ، مخرجاً للتملص من هـذه القيود في يوم غير بعيد ، ومعواناً للعراق الساهر ، المتحفز ، على تنقية معاهدته هذه ، مما فيها من عيوب وشائبات ، اذا هو اراد .

وينبغي ان لا يسهى بالنا عن ان الحجة التي اتخذتها الدولتان المستعمرتان ، انكلترا وفرنسا ، سلاحاً لهما في فرض ما يسمونه « الانتداب » علينا ، هي اننا قاصرون ، ما نستطيع ان نستقل بشؤوننا ، فكان من نتيجة ذلك ، انهما بسطتا سلطانهما علينا واستبدتا بنا ، واستولتا على مرافقنا ، وسودتا فوق ذلك كله سمعتنا ، اذ انهما ابرزتانا للناس في الدنيا كلها في صورة القاصر الجاهل . وكان اقرار عصبة الامم المؤلفة من اكثر من خمسين دولة ، فيما اذكر ، مزاعم انكلترا وفرنسا بضرورة انتدابها علينا ، حكماً مبرماً قاسياً بصحة ما تدعيه هاتان الدولتان ، من عجزنا وجهلنا ، فرجوع انكلترا عن مزاعمها ، في العراق ، بصورة رسمية ، جازمة ، وتصريحها بان العراق بلغ « سن الرشد » ، وأصبح قادراً على الاستقلال بشؤونه ، وعقدها معاهدة معه على اساس المساواة بينهما وأساس الاستقلال ، وان جاء فيها ما نكره من اثر للباطل المسلح ، في الحق الاعزل ، واقرار عصبة الامم ، تصريحات انكلترا اليوم ، كما اقرت مزاعمها بالامس ، وقبولها العراق ، عضواً في العصبة ، الى جانب دول الارض المستقلة ، ذلك كله ، سلاح ، ارجو ان لا يغفله اخواننا في العراق واتوجه برجائي هذا حاراً خالصاً ، الى المعارضين منهم في عقيدة واخلاص .

واعود الى اعطاء الامثلة على ما في المعاهدة العراقية الانكليزية مما نستطيع ان نستغله للعراق ، رغم ما فيها من مساوىء . وعلى انها جعلت له وضعـاً دولياً ، حقوقياً وسياسياً ، لا بأس به . وان يكن غير الوضع المرغوب فيه ...

وهو على كل حال خير من الاوضاع السياسية في مصر وسورية ، فأضع امام عينيك عبارات في بيان ممثل فرنسا نفسه ، في عصبـة الامم بهذا الشأن . قال ممثل الدولة التي تبسط سلطانها علينا لترشدنا طبعاً ??? والتي صرفت اربع عشرة سنة في تعليمنا وتدريبنا وارشادنا ، وما كنا لنتعلم ، ونتدرب ، ونرشد !! وذلك لبلادتنا وغلظ اذهاننا ، وضعف احساسنا !!! اذ انه ليس من المفروض ان يكون العيب في

المعلم المدرب المرشد ! قال ممثل فرنسا ما يلي : « لا غرو في انه – اي العراق – بعد دخوله عصبة الامم ، واعتبارها اياه دولة مستقلة لم يبق في حاجة الى « الانتداب » بعد الذي وصل اليه من التقدم » ثم اثنى على اللجنة نظراً للدليل الجديد الذي اقامته على توخيها الانصاف في انجاز مهمتها » .

الانصاف !!

وماذا يرى ممثل فرنسا في موقف فرنسا ولجنة « الانتدابات » هـــذه ، من سورية ؟!!

– بيروت –

بين الشام والعراق

-٩-

وضع العراق السياسي

دللت في الفصول السابقة على ان الوضع السياسي في العراق، وضع لا بأس به بالنسبة لما كان عليه قبل المعاهدة، وبالنسبة لوضع مصر والشام، فوضعت بين ايدي القراء امثلة على ذلك ناطقة، تستند الى وثائق دولية رسمية، ماتحتمل الجدل والنقاش اخذتها من المعاهدة العراقية الانكليزية، ومن قرار عصبة الامم بشأن دخول العراق هذه العصبة. ولكن تلك الامثلة قد يقول قائل انها امثلة «قولية» اكثر منها عملية ومع ما في هذا القول، من الاسراف في التعنت وسوء الظن، فقد اقبله، لانني من اكثر العرب سوء ظن، بنيات الدول الغربية المستعمرة، ونزعاتها وعهودها، ولا سيما انكلترا وفرنسا، ولذلك فانا واضع بين يديك امثلة عملية، على ان الوضع السياسي في العراق ليس سيئاً الى الحد الذي تتصوره. ليطمئن قلبك، فلا تشك ولا ترتاب.

١ — في العام العشرين بعد التسعماية والالف، كانت تقوم في البصرة، وما اليها من الالوية الجنوبية، حركة انفصالية ترمي الى خلق «دولة» عاصمتها البصرة، تشبه نوعاً ما «الدول» التي خلقتها سياسة الارشاد! وحسن النية! والعشق والغرام!! في القطر الشامي، وتكون «موكرة» ثعلبة ودس، ونقطة ارتكاز قوية للسياسة الانكليزية في شط العرب، وبلاد العرب جميعها، وكان من ابطـــال تلك الحركة البارزين عدا المستترين بل من اكثرهم بروزاً السيد م. ب. صاحب الخطاب المشهور بين يدي ممثل بريطانيا يومئذ والذي جاء فيه ما معناه: «ان العراق ما ينحصر اغتباطه في ان يكون تحت اشراف انكلترا، وانتدابها، بل انه يتجاوز ذلك، الى الرغبة في ان يكون حلقة في سلسلة الامبراطورية البريطانية العظمى!! هذه هي

النعمة الحقيقية وهذا هو موضع الاغتباط الصحيح!.

واذا كان صدى هذا الخطاب الفريد، بما فيه من التهافت والذل والمروق، والذي لم يقدم احد، على ما يشبهه، في الاقطار العربية كلها، منذ ان بدأت هذه الاقطار، تغلب على امرها، ويقع الواحد منها بعد الآخر، تحت نير الاستعمار الثقيل البغيض، لم يصل الى بر الشام، من قبل، ليعلم احرار هذا القطر الموقف الذي ينبغي ان يقفوه من صاحب الخطاب يوم جاء لبنان، فالسبب في ذلك اشخاص ونكايات، واحقاد . . . عرفتها جملة وتفصيلاً، ولكنني لست بقائل فيها شيئاً الآن.

وكان من نتيجة تلك الحركة الخبيثة الدنيئة المجرمة، وما سبقها وتبعها من حركات عسف واذلال، ان انفجرت براكين الثورة في العراق انفجاراً عنيفاً هائلاروع ابناء التاميز، في قصور «بكنغام» و«دونن ستريت» ترويعاً، ذهب بكثير من البرامج والاحلام! لقد طاحت رؤوس الوف العراقيين. ولكن سلم العراق وتشكل الحكم الوطني، في وحدة تامة قوية متماسكة الاجزاء

٢ – وكان الترك يهددون العراق، ويهدده الفرس، الموتورون القدماء، فغدا الفرس والترك اصدقاء العراق تربط الدول الثلاث، معاهدات صداقة وولاء، تستند الى المصالح المشتركة المتبادلة، وتعين لكل دولة حدودها وحقوقها في وضوح وجلاء

٣ – وكانت انكلترا تقول وتعمل، باسم العراق، فغدا العراق، وهو ذو حق في التمثيل الخارجي، هو الذي يقول باسمه ويعمل، ويعقد مع الدول مختلف العقود والمعاهدات، وهذه المعاهدة المعقودة بين العراق وتركيا، تنص في احدى موادها على ان الموصل «للدولة العراقية المستقلة» من غير ما اشاره الى «اشراف او انتداب»

٤ – وليس في العراق جيش احتلال فقد كان فيه منذ سنوات، جيش مؤلف من ثلاثة وثلاثين فوجاً، من المشاة، وست كتائب من الخيالة، وست عشرة بطارية مدفعية، وست سرايا استحكام، واربع سرايا سيارات مدرعة، واربعة اسراب من الطيارات

أما الآن فليس في العراق جندي انكليزي واحد ، غير اربعة اسراب طيارات وسرية واحدة من السيارات المدرعة ، ولهذه وتلك مقر نصت عليه المعاهدة الاخيرة ، يدخل في « حلقة » تأمين المواصلات الامبراطورية ، وقد عينته المعاهدة في جانب البصرة وغربي الفرات ...

المواصلات الامبراطورية ! !

الهند الذبيحة ! ? واعترف ، ويعترف العراق ، في مرارة وألم ، بان العراق لم يستطع « بعد » ان يقف في وجه هذه المواصلات!

٥ - ومن الامثلة العملية على الوضع السياسي غير السيء ، بالنسبة دائماً ، في العراق ، هذا الامر الذي تقوم القيامة في الدرجة الاولى ، حوله عندنا ، في هذه البلاد : الجمارك . فاموال الجمارك في العراق ، والبريد والبرق ، وما الى ذلك ، في العراق للعراق . « والديون العمومية! » فقد عرف العراق كيف ينفض يديه - والفضل في ذلك لوضعه السياسي - من « الديون العمومية » فلن يبقى عليه فلس واحد بعد هذا العام !

وسأضع بين يديك ، امثلة اخرى عملية على ما أزعمه لوضع العراق السياسي ، فانني اريد الساعة ان اشير ، على سبيل المثال ، الى المساوىء ، ومواطن الضعف التي في المعاهدة ، والتي قلت في فصل سابق ، ان وزارة السيد نوري السعيد ، لو انها وقفت الى اكثر مما وقفت اليه ، من صلابة عود وبعد نظر ، لما كان لهذه المساوىء من اثر في المعاهدة ، او لكانت على الاقل دون ما هي بكثير ، بعد ان سلمت هذه الوزارة لانكلترا بتأمين المواصلات ، لا سيما ، والوزارة السعيدية ، جاءت فيما اذكر ، بعد حادثتين خطيرتين في العراق ، كان من المفروض ، ان يشتد بهما ازرها ، ويصلب عودها ، والحادثتان هما : استقالة وزارة داهية العراق السيد الهاشمي ، وانتحار عبد المحسن السعدون ، رئيس الوزارة التي خلفت وزارة الهاشمي الداهية . ان المعاهدة قد ابرمت ، فالكلام عليها قد يكون غير ذي فائدة للعراق الآن . وقد يكون الذي يفيده امور غير الكلام ، كما سلم معي بذلك ، اقطاب المعارضة ، وافراد من رجال الحكومة ، والمجلس ، ما يزالون رغم كل شيء ، بالنظر لماضيهم الشريف ،

موضع حسن ظن ورجاء . ولكنني اشير الى شيء من مساوىء المعاهدة لغرض بعيد، فمن هذه المساوىء ، ما ورد في الفقرة الثانية من المادة الخامسة ، بعد ان نصت الفقرة الثالثة من المادة الرابعة على ما نصت عليه ، من تقديم صاحب الجلالة ملك العراق ، في حالة حرب ، او خطر حرب محدق ، الى صاحب الجلالة ملك بريطانية ، جميع ما في وسعه ، ان يقدمه في الاراضي العراقية ، من التسهيلات والمساعدات « ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والانهر والموانىء والمطارات ووسائل المواصلات »

ومن هذه المساوىء ما نصت عليه المادة الحادية عشرة من القبول بقيود تفرض بعد عشرين سنة من تنفيذ المعاهدة الحاضرة ! !

قالت المادة الحادية عشرة : تبرم هذه المعاهدة الخ ... الى الفقرة التالية : « وفي اي وقت كان بعد عشرين سنة ، من تاريخ الشروع ، في تنفيذ هذه المعاهدة ، على الفريقين الساميين المتعاقدين ان يقوما بناء على طلب احدهما ، بعقد معاهدة جديدة ، ينص فيها على الاستمرار ، على حفظ وحماية مواصلات صاحب الجلالة البريطانية الاساسية في جميع الاحوال » !!

فاي الفريقين هذا الذي سيطلب عقد معاهدة من هذا النوع بعد عشرين عاماً ؟؟!

واحسب ان الفقرة الرابعة ، من ملحق المعاهدة العراقية الانكليزية ، فقرة ممضة مؤلمة مثيرة ، واحسب ، بل اؤكد ، انني لن استطيع الدهر ، ان اكون رئيس وزارة ، او وزير خارجية ... « في جميع الاحوال »

هذا ملخص ما يمكن ان يقال في محاسن المعاهدة العراقية الانكليزية ومساوئها. هذه المساوىء التي ارجو ان يوفق العراق الى محوها في القريب العاجل ان شاء الله.

وسأحدثك في مقالتي الآتية عن « شركة استثمار النفط البريطانية المحدودة » والاتفاق الاخير ، الذي عقدته معها حكومة العراق «النداء» -بيروت-

حاشية : تنتهي هنا المقالات التسع التي عثرت عليها ، من الاربع عشرة مقالة في موضوع العراق ، ووضعه السياسي والاجتماعي والعمراني والتي كان يجب - حسب وعد المقدمة - ان تجيء قبل المقالة المعنونة : غضب .. و .. غضب .

مارق !!

« لقد نزل بالمقدور »

من معاني المروق في اللغة ، الخروج من الدين ، بضلالة او بدعة . والمارق هو الذي يخرج من دين ما ، بضلالة او بدعة . والدين له معان كثيرة ، فمن معانيه : السلطان . والحكم ، وجماع ما يتعبد به لله سبحانه وتعالى . وهذا المعنى الاخير ، هو الوحيد الذي اول ما يقوم في اذهان الناس من معاني كلمة « الدين » على تعدد اديانهم .

ونحن نحب ان نصرف افكار « اخواننا الناس » العرب ، في هذه الكلمة ، الى معنى جديد ، لوجه جديد ، من وجوه الاديان ، فنقول : العروبة دين . دين عنصري او قومي ، على اعتبار ان العروبة — في نظرنا على الاقل — مجموعة روحانية من صفات لا تلمس ، وتعرف بآثارها في النفوس ، وبما ينبثق عن هذه النفوس من اعمال ، ومن توجيهات صادقة الى المثل العليا ، باللسان والقلم والسلوك ، ظاهراً وباطناً .
ومن صفات هذه المجموعة الروحانية ، التي لا تلمس ، وتعرف بآثارها في النفوس ، وبما ينبثق من هذه النفوس مما ذكرنا : المعرفة ، والعظمة ، والسمو ، والحق ، والعدل ، والرحمة ، والحرية ، والعزة ، والجبروت ، وما الى ذلك من صفات .
فالالفاظ التي تُستعمل عادة في نطاق الكلام على دين ما ، نحب لو يفهم القارىء والسامع ، في ما يماثلها او يشبهها من الفاظنا نحن العرب القوميين ، في حكينا وكتاباتنا ، وفي خطبنا ومحاضراتنا ، انها تتناول جماع ما « يُتعبد » به للعروبة . فحينما نقول مثلاً : فلان مؤمن ، فالايمان بهذا الدين : العروبة . نعني .

وحينما نقول : فلان مارق ، فاننا نعني المروق من هذا الدين . والمروق هنا ، في مفهومنا هو الخروج كلياً او جزئياً ، من جماع ما يتعبد به لدين العروبة ، الذي

يفرض على المتعبد المؤمن ، الفناء في عناصره النورانية ، من معرفة ، كما ذكرنا ، وعظمة وسمو وحق وعدل ورحمة وحرية وعزةوجبروت ، وما الى ذلك من صفات، محدد في ذهننا معنى كل صفة منها ، تحديداً واضحاً مفهوماً،لدى الذين يحبون ان يفهموا ، منعتقين فعلا ، من قيود الاغراض والاهواء والشهوات الحقيرة ، ما يمت منها الى الجسم او الى الروح ... قال صديقي : والمؤمنون بهـــذا الدين ، قليل عديدهم ، اذا نحن اخذنا بمعنى الايمان الحقيقي ، الذي يعز على الالم والعذاب والشقاء ومختلف الوان الحرمان ، ويطول . كما يعز على الاغراء بالبحبوحةوالترف وفاحش الثراء ومختلف الوان الاستمتاع،ويطول . وان المؤمنين مع حرصهم الشديد على ان ينمو عددهم ويزداد ، يظلون دون المارقـــين حرصاً ، فان هؤلاء ، على ازدياد عددهم ونموهم احرص . ولهذا اسباب نفسانية ، قد اضعها بين يديك فتبسطها في مقال مفصل ، في القريب القريب ان شاء الله .

ثم قال صديقي : وان هؤلاء المارقين بدأ يزداد عددهم منذ سنين ، وانهم بهذا لفرحون مستبشرون ، وقد احبوا ان اكون واحداً منهم ، فاعدوا لهذا كل ما في وسعهم ،وفي وسع اسيادهم ، منتشرين هنا وهناك ، فتوسلوا بمختلف وسائـــل المارقين واسياد المارقين ، وما اكثرها ، فنكصوا فاشلين مخزيين ، وانتهوا اخيراً الى منازعتي ما املك بالارث من وسائل الحياة المادية ، والى محاربتي في ما يقوى على خلقه فكري وقلمي من انتاج يحقق — على الاقل — عيشة بسيطة ، ولكن نظيفة شريفة رفيعة . ذلك انهم اصبحوا يعلمون علم اليقين انني ما ارضى عن العيشة النظيفة الشريفة الرفيعة بديلا ، الا الموت . اذن الى الموت . فما داموا يخطئون التوفيق في الغرض الاول ، فليكن التوفيق حليفهم في هذا الغرض ، الغرض الاخير . على انهم يفضلون ان يفرحوا بقولهم : مارق ! ... لقد نزل عن مثله العليا ، ونزل عن انفتـه وابائه . لقد نزل في « المقدور » ... وانهى صديقي صرخته ، بكلام من لهب فقال: تبت ايديكم ، وتربت نفوسكم ، ايها المارقون ، يا اشباه الرجال ، كلا . انني لن اترك لكم فرحة القول : مارق !! انكم لن تقولوها ابداً .

— بيروت — « مجلة العروبة »

ما معنى موقف ايطاليا من العرب

كتبنا منذ مدة قصيرة مقالاً عنوانه « العرب وايطاليا » اشرنا فيه الى ما تبذله الحكومة الايطالية من جهود في سبيل التقرب الى العرب ، وقلنا اننا عالمون بمرمى هذه الجهود ، واننا مع ذلك ما نرى في الامر ما يضيرنا ، بل قد يكون الامر بالعكس . على اننا اذا ادركنا احد العوامل التي تحمل ايطاليا على هذا التقرب وهو توقعها نشوب حرب طاحنة في اوروبا ، نحونا في الاستفادة مما قد يقع من مشاكل ومعضلات ، منحى هو اكثر ما يعوز العرب في مختلف اقطارهم ، الاعتماد عليه ، بصرف النظر عن موقف الدول الاجنبية منا ، وحلاوة القول الذي تضعه بين ايدينا ، فقد اصبحت هذه الدول معروفة كلها لدينا ...

وهذا المنحى الذي نقول به ، هو التفاهم والاتفاق بين الاقطار العربية كلها ، شرط ان يقوم هذا الاتفاق على اساس متين من النظام الدقيق الصارم . وليس من حاجة الى القول ، ان المساعي والتدابير التي يتحتم علينا القيام بها ، للوصول الى هذا الاتفاق ، هي مساع وتدابير شاقة ودقيقة ، وان الذين سيقومون بها في الدرجة الاولى ، هم الافراد ، وليس الحكومات ، الا اذا كانت هناك حكومة من حكومات الاقطار العربية ترى ان وضعها « الدولي » ما يتنافى مع السعي في هذا السبيل ، وتجرأ على القول ان لها من الحق في الاقطار العربية وعليها من الواجب نحوها ما يحملها على التوسل بمختلف الوسائل ، لتذليل كل ما يمكن ان يعترضها في عملها من عقبات .

وفي جملة التدابير التي كان فريق من الاخوان المؤمنين الخلص ، فكر بها بعد ان بدا لهم توقع ايطاليا نشوب حرب عامة جديدة فظيعة ، وعرفوا ما عرفوا من موقف هذه الدولة ، عقد مؤتمر صغير او شبه مؤتمر . يجتمع فيه افراد من شبان العرب ورجالاتهم الذين اثبتت التجارب المختلفة ، في احوال مختلفة ، صحة ايمانهم وصلابة

عودهم ، يمهدون لعقد مؤتمر كبير شامل . يقرر بعد البحث المستفيض والدرس الواسع الدقيق ، اساليب العمل وخطط الكفاح ، في رصانة واخلاص ووضوح ، ويحدد ما امكن مدى ما يستطيع ان يقوم به كل قطر منفرداً ، وما يتحتم على هذه الاقطار مجتمعة ، القيام به . ونحن نرى ان هذا التدبير هو خير ما يمكن ان نتخذه كخطوة اولى ، في الانتقال الى عهد جدي جديد من النضال المثمر ، بعد ان طغت على الاقطار العربية في هذه الاونة الاخيرة ، ولا سيما القطر الشامي ، موجة من الكسل والاستسلام ، تكاد تمحو جهود الماضي البعيد والقريب ، الحرية والاستقلال ، روج لها قوم استغلاليون بحجة ان الضائقة مستحكمة الحلقات ، وان كثيراً من المشتغلين بالقضية خربت بيوتهم ، واننا احوج ما نكون الى الخبز ، لنستطيع ان نشتغل في السياسة ، الى آخر ما هناك مما يروجه فريق من الذين ضعف ايمانهم ، وماعت نفوسهم ، وراعتهم كثرة الضحايا ووعورة الطريق .

وبادرة اخرى من بوادر الكسل والاستسلام وضعف الايمان ، هي هذه البادرة التي تبدو في الانصراف الى الاشتغال في الامور المحلية التافهة ، التي ما كانت لتخطر للمؤمنين في بال منذ بضع سنوات ، وما نعني بقولنا هذا ضرورة الانقطاع عن العمل في الحقل الاقليمي بتاتاً ، وما ندعو اليه ، ولكننا نريد ان يكون العمل في هذا الحقل ، حلقة من سلسلة العمل الواسع العام ، فلا تتفكك هذه السلسة بل تبقى مستحكمة الحلقات

ونحن نؤمن بعد شتى التجاريب ومختلف الوان الاختبار ، ان الاقطار العربية يستحيل عليها ، ان تتحرر وتستغل وتعيش « على طول » منفرداً بعضها عن البعض الآخر .

ــ المساء ــ شباط سنة ١٩٣٥

العرب لا يتعصبون

الا الدين القومية العربية والحق

وقع في هذه المدينة في خلال يومين اثنين، ثلاث حادثات كان بطلها البارز صاحب السيادة اغناطيوس مبارك مطران الطائفة المارونية الكريمة. وفي الحادثات الثلاث كان صاحب السيادة مهاجماً عنيفاً، يسيء الى الناس ويجرح عواطفهم، في كثير من الزهو والاستخفاف. وفي الحادثات الثلاث كان صاحب السيادة — وربما في غير علم منه ولا قصد — داعية الى الشقاق بين ابناء الوطن الواحد والى الفتنة. بينما كان رئيسه السيد الجليل والزعيم الديني الكبير للطائفة المارونية غبطة البطريرك عريضه، داعية من دعاة الاتحاد والوئام.

واذا نحن تجاوزنا عن الحادثتين الاولى والثانية، تجاوز العاقل الحليم المطمئن الى منطق التاريخ وسنة الاجتماع، اصيب في نفسه، فليس من العقل ولا من الحلم في شيء التجاوز عن الحادثة الثالثة و « غير الاخيرة » في ما نظن، يصاب بها العاقل الحليم في قومه وامته

انتصب صاحب السيادة المطران اغناطيوس مبارك، بين ابناء الطائفة الاسرائيلية وفي كنيسها يوم الخميس الماضي، يخطب ودهم بشتمه غيرهم، ويتقرب الى الصهيونيين بتحامله الشنيع على العرب، مسلمين ومسيحيين بشكل اثار استغراب السامعين واستنكارهم. قال صاحب السيادة فيما قاله: « ونؤكد لكم يا ابناء اسرائيل الذين طردتم ولم يقبلكم العرب في فلسطين، ان لبنان يكفينا ويكفيكم، فوجود اليهود في فلسطين جعل الاراضي المقدسة محسودة، وقد شعر المتعصبون بالحسد، فكان جوابهم نكران الجميل والمذابح والطرد، لذلك باسم غبطة البطريرك وباسمنا نقول

لكم اهلاً وسهلا باليهود .

كبرت كلمة تخرج من فم صاحب السيادة المطران مبارك ، انه لو يعلم لفي ضلال مبين. ان العرب في ذلك الجزء الصغير من الوطن العربي الشامي « فلسطين» ليسوا بمتعصبين تعصب صاحب السيادة المطران مبارك . وانما هم – حينما يقفون في وجه الصهيونية ووجه اي غريب غاصب – متعصبون لشرفهم وعرضهم وحياتهم وحقهم الطبيعي وحقهم المكتسب ،هذا الحق الابلج الصريح .

وانه لمن المؤسف – ان لم نقل اكثر من هذا – ان يخون المنطق والرأي وغير ذلك سيادة المطران، فتنصب الشتيمة في خطابه على رؤوس العرب اجمعين، ثم هو يحاول التفرقة والاستغلال في ايهام السامعين ان الذين يناضلون الصهيونية وينكرون عليها اقامة وطن غريب في وطن عربي انما هم من العرب ، المسلمون فحسب ، غفرالله له ، الا يرى جموع المسيحيين العرب المخلصين ، في ذلك الجزء من الوطن العربي ، تحمل اللواء وتمشي في الطليعة من المناضلين .

او انه يحاول ايهام الناس ان المسيحيين في ذلك الجزء ليسوا عربا ، فيخص العرب بشتيمته فيصبب – في وهمه – غير المسيحيين . لقد ضل صاحب السيادة ونرجو ان لا نقول واضل ، وقد تكررت مواقفه التحريضية الطائفية ، الى حد انكرها عليه العقلاء من ابناء طائفته نفسها. فعصبة العمل القومي التي تعتبر الاقطار العربية جميعها وطناً واحداً ، واهل هذه الاقطار جميعها امة عربية واحدة ، ما يعنيها دين او مذهب امام دين العروبة العام الشامل الصحيح ، تستنكر مواقف صاحب السيادة المطران مبارك ، واقواله ، استنكاراً شديداً وتحتج عليها للرأي العـــام العربي والحكومات العربية قاطبة ، ومنها حكومة لبنان طبعاً احتجاجاً شديداً ، ونطلب الى عقلاء الطائفة المارونية ورجالها الدينيين وفي مقدمتهم غبطة البطريرك الجليل ، في الدرجة الاولى ، وضع حد لهذا الرجل العابث بكرامة الوطن وكرامة الاشخاص . ذلك خير .

اننا نطلب الى المراجع الرسمية اصدار بيان عما جاء في خطـاب المطران بشأن الصهيونية ، واشتغاله وغيره من رجال الدين لدى المراجع الرسمية لانشاء وطن لهذه

الصهيونية في لبنان، وعما ستتخذه هذه المراجع المحترمة من تدابير، تجاه موقظي الفتنة وباذري بذور العداء بين ابناء الشعب الواحد والامة الواحدة، والقاذفين الناس بانواع الشتائم والسباب. ونذكّر هذه المراجع لهذه المناسبة بما نبهنا اليه كثيراً من ان رجال الدين لا ينبغي لهم ان يشتغلوا في السياسة، او يتدخلوا فيها لا من قريب ولا من بعيد، مهما تكن عقائدهم. وهذا حضرة صاحب السيادة المطران مبارك يقوم حجة على صواب ما ذهبنا وما نزال نذهب اليه.

وبعد فليعلم صاحب السيادة المطران مبارك، وليغتبط بان هذا الوطن العربي لن يقوم فيه وطن آخر. وسيظل وطناً عربياً كريماً الى الابد.

— اليوم البيروتية — ٢٤ نيسان سنة ١٩٣٧

الى فخامة السفير الفرنسي

اننا بكل ما ينبغي من احترام لممثل دولة كفرنسا ، نتقدم برد التحية الطيبة الى فخامتكم ، باسطين امام نظركم الكريم الامور التالية التي نرجو ان تتكرموا فتأخذوها بعين الاعتبار :

اولاً – ان البلاد التي سميت سورية ولبنان وغير ذلك ... انما هي بلاد واحدة يسكنها شعب واحد .

ثانياً – ان هذا الشعب كله في السواحل والجبال ،وفي الداخل، انما هو جزء من امة هي الأمة العربية . وليس في البلاد العربية كلها ،سوى امة واحدة. فكيف يمكن ان يكون في جزء منها امتان ، امة سورية ، وامة لبنانية ..

ثالثاً – ان التقسيم الجغرافي والسياسي القائم الآن في سورية الحقيقية ، انما هو نتيجة لتدابير لم تكن موفقة ، مستوحاة من اجتهاد سياسي ، استند الى اسس برهنت الايام على انها لم تكن صالحة ، وذقنا كلنا مرارتها وبا للأسف .

رابعاً – ان النظرة التي ينظر بها الينا ممثلو فرنسا الأجلاء، كان من الخير لنا ولفرنسا ،ان تقوم على اساسي الحياة معاً : الروحي والمادي . الروحي ويدخل ضمنه المثل العليا، كوحدة الشعب واستقلاله وطموحه الى عظائم الأمور ،من مثل خدمة الحضارة والحق والعدل ، والمساهمة في تأدية الرسالات السامية لخير الانسانية جمعاء، والمادي ، ويدخل ضمنه ،الرغبة في تأمين العيش اللائق ، للشعب ،وتحسين الموارد وتبادل المنافع ، ونشر اكبر قسط من الأمن والرخاء .

ان مثل هذه النظرة تدل على حسن النية وعلى الثقة والصداقة الحقيقيتين ، وتسهل على اصحاب الشأن القيام حقاً بالمهمات التي يجب ان يقوموا بها . وليس اشد ضرراً، علينا وعليكم ،من النظر الى اهل هذه البلاد ، من خلال الاديان والمذاهب ، واقامة

علاقات متبادلة على هذا الاساس . وان الصداقة التي نرغب في ان تقوم بيننا وبين ابة دولة من دول العالم التي ترغب في صداقتنا حقا ، نربا بأنفسنا ان تقوم على اساس كوننا مسلمين او مسيحيين . فنحن نعيش يا فخامة السفير ، بعقلية القرن العشرين ، ونشعر اننا من اهل هذا العصر ، الذي يسمونه عصر الحرية والانطلاق العقلي والعلمي . ومع تقديرنا لنيات فخامتكم وشعورنا برغباتكم في تطمين الأهلين ، نفضل ان تنظروا الينا نظرة صحيحة على اساس اننا شعب عربي واحد كما قدمنا ، في السواحل والجبال وفي الداخل . وفي هذا وحده حل لقضية الأكثريات ، والاقليات التي يظهر ، انها ما تزال موضع اهتمامكم وعنايتكم حتى وحمايتكم ، مع انها في نظرنا محلولة من نفسها ، باعتبار اننا ننظر الى نفوسنا نظرة قومية خالصة ، فلا نرى بيننا اقلية دينية او مذهبية او جنسية ، ولا اكثرية من هذا النوع ، فقد يكون هناك اكثرية او اقلية في الحقل السياسي ، كما هي الحال في الدنيا كلها ليس غير .

وتسلمون فخامتكم معنا انه من المستغرب ان لا يكون ذلك كذلك .

خامساً ـ اننا كعرب اصحاب مثل عليا ، ما تزال نؤمن بهذه المثل ، رغم كل ما بلينا به ـ لا سيما في هذا العهد الأخير ـ من بلايا ومحن . ورغم المظاهر التي قد تدل عند من لا يدقق في بواطن الأمور ، ومن لا يدرك حقيقة العقلية والروحية العربيتين ، على تضعضع وضعف ، او استسلام وعدم اكتراث . واننا كعرب لنا مثلنا العليا ـ كما قلنا ـ ليس أحب الينا من انشاء علاقات ودية صحيحة بيننا وبين الامم التي تؤمن بهذه المثل من ناحيتها ، من اجل مصلحة الفريقين ومن اجل الحضارة العالمية والخير الانساني العام ، على اساس ثقة وصداقة متبادلتين شأن الانداد الخيرين .

هذا ما رأينا من واجبنا ، ان نبسطه لفخامتكم ، بعد اختبار طويل ، في صراحة واخلاص وحسن نية ، شأننا دائماً ، ومرجونا ان لا يتنافى هذا مع استعداد فخامتكم الطيب ، وتفضلوا يا فخامة السفير بقبول خالص احترامنا .

كانون الثاني ١٩٤١

فكرة . نهضة . وعي . ثورة

في اليوم السادس عشر من شهر حزيران عام ١٩١٦ اندلعت نار الثورة العربية الكبرى ،على الدولة العثمانية التي حكمت العرب اربعمائة سنة ونيف ، من دون اي « مبرر » سوى ضعف العرب وقوة الترك ، يزيد في الامرين معاً الى حين ، استثمار الشعور الديني ،استثماراً بعث فكرته في نفوس المستثمرين فافلح ، ثلاثة امور :

اولا — شعور الترك بانهم مغتصبون

ثانياً — قلة ثقتهم بنفوسهم ، فانهم بالقياس الى حضارة العرب ، ومجد العرب ، وعظمة العرب ، وتمرس العرب بالحكم ، لم يكن لهم مجد ولا عظمة ولا حضارة . ولا خبرة في الحكم .

ثالثاً — غموض الفكرة القومية في نفوس العرب ، وما اقول عدم نشوئها في نفوسهم ، الامر الذي ادى الى ضياعهم كامة ، زمناً طويلا ، في محيط الملة ... وجعل لتماثل العقيدة الدينية في هذا المحيط، قوة تتحكم في مصيرهم الدنيوي، من مختلف نواحي الحياة، تحكما كاد يمحو شخصيتهم القومية محواً تاماً . ثم تبع الثورة الكبرى ثورات متوالية متفرقة ،ها هنا وها هنا ،في مختلف اقطار العرب، كانت كلها شبه حلقات في سلسلة واحدة ، او شبه حبال من بارود ، ما اغنى الواحد عن الآخر لسبب واحد،هو ان الثورة الاولى الكبرى لم تنقشع نيرانها عن احتراق حطام العبودية احتراقاً تاماً ، ولهذا اسباب ما اذكر في هذه العجالة الا واحداً منها وهو في رأيي السبب الرئيسي الاكبر .

يرى القارىء انني وضعت لهذا المقال عنواناً مؤلفاً من كلمات متناثرة ما تؤلف عبارة بنفسها كاملة . وقد تعمدت وضع كل كلمة في موضعها مراعياً الترتيب في وضعها هكذا : فكرة . نهضة . وعي . ثورة . هذا الترتيب الذي تقتضيه

طبيعة الامور ،في كل امة شأنها شأن امتنا العربية ،في كل قطر من اقطار العرب ولا سيما في لبنان،سواء أكان الجهاد المفروض للتحرر والسيادة ، ضد عوامل خارجية اجنبية ، او ضد عوامل داخلية وطنية

ويلاحظ القارىء ان الوعي القومي الحق ، ينبغي ان يأتي دوره قبل دور الثورة، حينما تكون الامة غير متحررة ولا مستقلة،وقد كان الامر على العكس في الثورة العربية الكبرى ، لذلك لم تغن تلك الثورة رغم ما كلفت العرب من انفس واموال عن ثورات اخرى تتابعت متفرقة ها هنا وها هنا في مختلف اقطار العرب كما قلنا

اريد ان اقرر ان كل ثورة على العبودية في شتى اشكالها ومختلف ميادينها ما يبعثها الوعي القومي الصحيح ، معناها انها غير منبثقة من صميم روح الامة وقرارة نفسها واقصى ضميرها ، والثورة التي من هذا النمط،لا يمكن ان تكون مستكملة اسباب الظفر ،بالمرجو من الثورة الحقيقية،المنبعثة من اعماق الوعي القومي الشامل.

قد ترى في هذا الكلام معنى يحملك على السؤال : هل كانت الثورات المتفرقة المتتابعة بعد الثورة الكبرى ، تحمل هذه العناصر ، بينما تقرر ان الثورة الكبرى لم تحملها ؟ فاجيب : لا

واذا كانت هذه الثورات ،مجردة من هذه العناصر او من بعضها ، أيكون معنى ذلك،ان العرب في لبنان وفي غير لبنان لم يشملهم الوعي القومي بعد ،فاجيب : نعم،انه لم يشملهم ، او انهم لما يتقرر في نفوسهم بصورة علمية واضحة قاطعة ، معنى القومية الحق ، وما تنطوي عليه من معان وصور،لاسمى النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، واشرفها واعدلها ، ينعم بها ابناء قومية بعينها،من دون ما تفريق بين الملل والمذاهب والمهن ، وما يسمونه « الطبقات » ؟

وقد نجيب عن هذه الاسئلة في نشرات من « الهدف » مقبلة بتفصيل وتحليل واكتفي الآن بان اقرر ، ان ليس لاية ثورة من الثورات ، القيمة الكاملة ، ما لم يسبقها ثورة نفسية جماعية صادقة ، تقوم على المعرفة والصلاح ، والترفع في الاخلاق،من اجل المثل العليا

ـ الهدف ـ تشرين الثاني سنة ١٩٤٤

القاب !!

لقد صممت ان اضع ، من جديد ، كلاماً على هــذه الانهار الورقية ، تنشره الصحف في القارئين . ومن الطبيعي ، ان تقضي الضرورة من وقت الى آخر ، بل قد تقضي الضرورة كل يوم ، ان اعرض لرجال رسميين هنا وهناك ، في مختلف الاقطار العربية ، حملوا ، او حملهم الناس القاباً بعينها ، وتعودوا ، او عــودهم الناس ، سماع نعوت لهم قد نستطيع القول انهم ما كانت لتخطر لاحد منهم في بال . وهــذه الالقاب والنعوت تبذل من غير ما ضابط ، وبدون اي حساب . وان لي لرأيا في هذه الالقاب وهذه النعوت يفرضه علي احترامي لنفسي واحترامي لبعض هـؤلاء الرجال ، وتفرضه كذلك ثقافتي كما تفرضه تقاليد قومي العرب ، وما ينبغي ان نأخذ به جميعاً من تقاليد صالحة ، يفرضها تطور الفكر وجبروت العقل وسلطان العلم . فهذه الالقاب تركية في الاصل او فارسية ، ومثلها هذه النعوت ، تدست الى النفس العربية ، عن طريق الاعاجم ، وفشت في عهود الغفلة والجهل والانحطاط وهي في الواقع لا تزين من لا تزينه نفسه ، ولا ترفع من قدر من لا يرفع قدره خلقه وعقله وعلمه ، ثم هي تخلق فوضى اجتماعية لا حد لها ، وتفتح باباً للتملق عالياً واسعاً كابواب الجمالين .. باشا ، بك ، افندي ، وما الى ذلك .

ودولة . معالي . سعادة . وما الى ذلك ، فلهذا كله اعتذر بكل اخلاص واحترام الى الذين تعودوا ان يقرأوا اسماءهم ، تسبقها وتتبعها هذه النعوت والالقاب وما شابهها ، عن اغفالي في ما اكتب هذه الالقاب والنعوت .

وسأكتفي بكتابة حضرة . وكتابة الامير ، او الشيخ او السيد . يتبع هذا ذكر المنصب وكفى الله الكاتبين العناء ..

لا سيما وليس هناك قانون يفرض استعمال غيرها . فاذا ابوا الا ان نستعملها فليتفضلوا بوضع قانون لها يضبطها ويحددها ، ويكون بعدئذ لكل حادث حديث .

فلنتوكل على الله ولنبدأ ، او لننته ... — بيروت — « الاخبار »

يوم النصر !

قال لي صاحب «الاخبار» ، ان « يوم النصر » يحتاج الى مقال من قلمك البليغ الرائع ، على حد تعبيره ، وقد يكون قال مثل هذا القول لغيري من الكتاب... ما ادري ، فهؤلاء الصحفيون اعرفهم ، انهم صيادون قبل كل شيء.. على ان هذا الامر ليس بذي خطر ، والامر الذي له خطره ، هو « يوم النصر » هذا ، وما يمكن ان يكتب فيه كاتب عربي !

يوم النصر ! ما اروع هذه الكلمة ، . ما اكثر ما تحمله في حروفها القليلة ، من معان واحساسات وشهوات وافكار وميول ، وما اعنف ما تثيره ، من عواصف في النفوس ، تجتاح الدنيا كلها ، على اختلاف النوع في هذه العواصف والجوهر ، واختلاف التأثير والاثر .

يوم النصر ! وهل يعنينا نحن العرب ، في لبنان ، وفي غير لبنان ، من شيء ، من « يوم النصر» هذا ؟

يوم النصر ! ان يوم النصر هذا ، مولود ما اعرف له بين المواليد شبيهاً ، منذان عرف التاريخ حياة البشر على هذه الارض ، حتى هذه الساعة ، وان اماً ولدته ، ما اعرف في تاريخ البشر منذ ان عرف البشر التاريخ ، مثلها اماً . مولود ، تهتز الدنيا كلها ، نعم كلها عملياً لولادته ، وتتلفت الامم كلها الى طلعته .

وام ، ليست كالامهات ، يفاجئها المخاض في الثاني من شهر ايلول من عام ١٩٣٩ فما تلد الا في الثامن من شهر نوار ، من هذا العام ، عام ١٩٤٥ .

ام من حديد ورصاص ونحاس ونار ودخان وحيوان وانسان ، تنتابها ثورة جنونية ، ليس مثلها في الثورات ، ويكاد الالم في المخاض ، يمزق اعصابها ، فتروح خلال ست سنوات ، في ثورتها الجنونية من الالم ، تحطم الرؤوس ، وتبقر البطون ،

وتقطع الاوصال، وتدك الحصون ، وتحرق وتغرق الاشياء والحيوانات ، والناس ، ثم هي تصبر وتصابر ، وتتجلد وتجالد فتكاد تشرف على الموت احياناً ، ويكاد يحملها الى الموت ، اليأس ، احياناً ، فتبعث باصوات الاستغاثة من صميم روح يوشك ان يزهقها الالم ، قاطعة للدنيا كلها وعوداً بتخفيف الآلام ، وبالطمأنينة ، والنعيم ، اذا هي لبت نداءها وعملت لتخفيف آلامها وشد ازرها ، بمختلف الوسائل لكي تضع حملها ، سالماً كما يطيب لها ! ويُسمع الصوت . ويُلبى النداء ، فتتغلب على اليأس بما اتاحه لها القدر ، من روح جبارة ، تسمو بها الى ذروة البطولة ، فتسخر من الموت ، وتأبى ان يموت جنينها ، في احشائها ، او تموت معه ! ثم تضعه مولوداً ذكراً جباراً . هو يوم النصر !!

فيا يوم النصر ، يا يوم ٨ نوار اذا كان للأم ، التي حملتك ستة اعوام في احشائها ، عزاء ، عما كبّدتها اياه من محن ، وعما انزلتــه في مختلف عناصرها ، من تحطيم وتهديم وتقطيع واحراق واغراق وتدمير ، بما جئت به اليها ، في يديك من حق ، في سورة السكر ، بالعظمة والمجد ، والزهو والتعالي ، بهذه العظمة ، وهذا المجد ، فما ادري اين يكون عزاؤنا نحن العرب في لبنان وفي غير لبنان ، عما نزل بنا من محن ونكبات ! ان لم يكن ، في اتحاد ، ننعم فيه باستقلال تام ، صحيح ، وحرية تامة شاملة . الامر الذي يتفق وحده مع جهودنا من اجل هذا الاتحاد المستقل الحر ، منذ اكثر من خمس وعشرين سنة ، ومع العهود التي قطعتها لنا «الام» التي ولدتك ، في ايام الالم ، والخطر ، من مخاضها الموجع الطويل !

يا يوم النصر ! لتعتز بك اميركا وبريطانيا وروسيا ، ولتتعاظم ولتتعال ، ولتملاء الارض والبحر والجو ، اكاليل وزغاريد واناشيد كما ملاءتها من قبل دبابات وغواصات وطيارات ، اما نحن ...

يا يوم النصر ! لتغن لك دنيا روسيا واميركا وبريطانيا ، ويونان ايضاً ، ولتملاء دنيا الناس كافة ، غناء واهازيج ورايات ، ولتدوي لك هذه الدنيا كلها ، بالبارود والديناميت ، ولتنثر عليك الورود وكل انواع الازاهير والرياحين ، فقد استحقت

القوة ، تزينها البطولة ، العزة والعظمة والمجد . واستحقت الاهازيج والريحان والورد .

اما نحن ... اما نحن العرب ، فحسبنا فضلات مائدة ، ونظرات عطف ، ان كانت هناك فضلات مائدة ونظرات عطف ...

يا يوم النصر ، يا يوم النصر ، بروحي وارواح ملايين ، من السبعين ، يوماً واحداً مثلك .

او يوم نصر .

« الاخبار » ايار سنة ١٩٤٥

ربنا اننا سمعنا ... فآمنا

خطاب المؤلف في مهرجان عاليه لعصبة العمل القومي
قبل تخليه عن رئاسة العصبة

ايها الحفل الكريم

افتتحت حفلتنا هذه — كما سمعتم وشهدتم — باسم العروبة . وافتتح انا كلمتي باسم الله ، وبآية من كتاب الله اراد الله تعالى ان نتلوها في مناجاتنا اياه : « ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان : ان آمنو بربكم فآمنا . » أضيف الى ذلك ما نتلوه نحن القوميين العرب على التخصيص : « ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي الى الايمان : ان آمنوا بنفوسكم وبحقكم فآمنا ، وان آمنوا بامتكم فآمنا . وان آمنوا بقضيـــة العرب قضيتكم فآمنا . ربنا وان آمنوا بقدرتكم على خلق مستقبل عظيم افضل واسمى وانفع من ماضيكم العظيم فآمنا . واننا بهذا الايمان الذي ما يتصدع ولا يتزعزع ، نمضي فيما نقول وما نعمل لهذا الوطن على اختلاف بقاعه ، وفي مقدمتها هذه البقعة : لبنان . ولهذه الامة على اختلاف شعوبها وفي مقدمتهم هذا الشعب في لبنان . ونحن نعلم علم اليقين شدة حاجتنا الى العاملين المخلصين يمدون الينا ايديهم قوية ، ويوآزروننا باعمالهم صالحة مثمرة . اما بعد فان « عصبة العمل القومي » ليست حزباً بالمعنى الذي تواضع عليه معظم الناس في هذه البلاد ، اي انها ليست حزب نكايات وسعايات ولا حزب تأمين مصالح شخصية ومآرب، ونفوذ ذوات ... » ولا حزب ملل وعائلات! انها حزب فكرة وعقيدة ، وهدف قومي رفيع عام ، ونظام . يتسع لكل عربي يحب الحق والحرية والخير والكرامة . حتى ويتسع لكل انسان ، « انسان » . ايها الحفل الكريم ! ان الاحزاب حينما تكون احزاباً مصلحة خيرة فعلاً ، تنزل من

الشعوب - من بعض الوجوه على الاقل - منزلة الحكومات الصالحة من المجالس النيابية ،حينماتكون البلاد مسودة بالحكم النيابي الصحيح . وحينما تكون للنيابة في نفوس اهلها - قبل غيرهم - الحرمة التي من المفروض ان تكون لقوة خيرة ، ما تجد من سلطانها ومدى نفوذها وتأثيرها،سوى شرف قومي ووجدان قومي ، ومصلحة قومية عامة . وعلى هذا يكون من حق الشعوب ، ان توضح لها هذه الاحزاب - التي انا يجب ان تعيش بها ولها - مباديها واهدافها وسير اعمالها ، بصدق وصراحة واخلاص ،ومن غيرما غش ولاتضليل ولا مداجاة . فان هي - اي هذه الشعوب - لم تأخذ بهذا الحق وتتمسك به وتقاتل في سبيله ، فهي شعوب غلب عليها الجهل او الغفلة والجبن ، وهانت على نفسها وعلى الناس . ونحن نحب ان ننزه هذا الشعب في لبنان ، عن الجبن والغفلة والجهل . فان ابى - ونعيذه بالكرامة والعقل من ان يأبى - فانا نحن قوم بفضل الله مؤمنون مصلحون . ونعرف الحديث القائل «رب قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل » ونؤمن به... ثم ان الحق ، الحق ، ايها الحفل الكريم، ما يطمسه او يهون من شأنه ، اننا نجهله ، او اننا نعرفه ونجبن عن المطالبة به ، والعمل له والتضحية في سبيله ، فالحق يبقى حقاً في كل حال . وهو حق في هذا الحين من الدهر وفي ذلك الحين منه ، وفي هذا المكان من الارض وفي السماء ،وفي ذلك المكان منهما . قد تتباين في نظر الناس عناصره ، وقد تختلف عندهم اساليب تحديده ووسائل الظفر به ، والمحافظة عليه . ولكنه الحق . الحق في كل حال ، ويستحيل ان يجهل الحق الناس جميعاً ، فان جهله ناس في ناحية ما او في حين ما ، فانما مزية القومي المؤمن - والقومي المؤمن الصحيح رسول انسانية - ان يدلهم عليه ، وان يترفع عن استغلال جهلهم اياه ، وان يسمو في سبيله ، في سبيل هذا الحق ، سمو اصحاب الرسالات ، يؤدون رسالاتهم في غير عوج ولا زيغ ، ولا رغبة في استثمار او انتفاع .

وعصبة العمل القومي ،ايانامنها بهذا المذهب Doctine تقول ما تقول وتعمل ما تعمل ، وعلى اساس هذه العقيدة التي نأخذ نفسنا بتطبيقها عمليا ، سنلم بما عملته العصبة في خلال حياتها المليئة بالحادثات العاصفة، والآلام المثيرة المباركة،والاضطهادات .

بعد تمهيد يرسل انواراً كاشفة على الاسس التي قامت عليها «عصبة الحرية والحق»، فيتضح لكم، واريد لهذا الشعب الكريم، ولغيره من شعوب الامة العربية، كيف ان العصبة فكرت تفكيراً علمياً صحيحاً خالصاً لوجه الحق ووجه الوطن، قومياً عاقلاً متسلسلاً، لا يطغي فيه اثر العاطفة على اثر العقل والعلم والواقع، حينما لبت نداء الالهام، وآمنت بقدرتها على حمل الرسالة العظمى التي تحمل للعرب اولاً، ثم لسائر الناس.

يقول الدكتور طه حسين في كتابه «تجديد ذكرى ابي العلاء» المطبوع في مصر، الطبعة الثالثة، في السنة السابعة والثلاثين بعد التسعماية والالف في الصفحة ٣٢ ما يلي: «فلفظ (العرب) الذي يرسله التاريخ ارسالا مطلقاً، ليس يدل في نفس الامر على معناه الخالص الذي حفظته كتب اللغه الا في عصور خاصـــة، واماكن محدودة.» ثم يقول في الصفحة نفسها: «فليس هذا الجيل الخالص الصريح من عدنان وقحطان هو الذي كان منتشراً في بلاد الشام».

والدكتور طه حسين ينفي بقوله هذا «العنصرية المطلقة» عن ديار الشام. وهذا حق. ثم يقول في الصفحة الـ ٣٣ من كتابه المذكور: «الا ان ما كان للعرب من غلب ديني وسياسي، ومن تفوق في شدة الانفس وقوة الطبيعة، قد استطاع في زمن قليل ان يضائل هذه الاجناس المختلفة ويُفني اسماءها واطوارها الاجتماعية في ما كان للفاتحين من اسم وطور، ومن لغة ودين.»

وهو هنا يثبت القومية العربية في ديار الشام. هذا ما يقوله رجل من اعلام الادب والعلم، والتاريخ الادبي. ومن اعلام الشعوبية ايضاً، او بكلمة اقرب، الى الدقة والانصاف، رجل ممن تغلب عليهم روح الشعوبية، في عرف الكثرة الغالبة — خطأ ام صوابا — ممن عرفه من القوميين العرب، ولذلك استشهدنا به. ونحن نحن القوميين العرب في لبنان، المؤمنين كغيرنا من اهل الايمان العربي الصحيح في كل قطر عربي، وفي مطارح الاغتراب والنوى، نحن العرب الصرحاء الخلص الاقحاح الذين تشرق انسابهم في سماء النسب العربي الصريح الخالص القح، هذا النسب الوثني

المسيحي المحمدي ، كما تشرق شمس الصيف في يوم عربي ، ما قلنا اكثر من ذلك مادعونا الى العنصرية. ولكننا آمنا بالقومية العربية للبنانيين جميعهم فدعوناهم اليها . وأبينا واحببنا ان يأبوا معنا ، ان نشري بانسابنا وأصالتنا ، حوانيت ومناصب وسيارات و ... عبودية .

ويقول العالم الانكليزي « سايس » في كتابه « اجرومية اللغة الاشورية » والعالم الالماني « اشرودر » في الجزء السادس من مجلة « الشرق » الالمانية للسنة الثامنة والثلاثين بعد التسعماية والالف ما معناه : « ان الشعوب وبالاحرى القبائل الكلدية والحثية والاشورية والعمورية ، التي سكنت حيناً من الدهر « سورية » هي بطون من العرب . ومن العموريين ، الكنعانيون وهم الذين نزلوا جنوب سورية ، والفينيقيون وهم الذين نزلوا الشواطىء . » ويذهب العلامة « هيراخت » مؤلف كتاب « الحفريات الاثرية في القرن التاسع عشر » الى ان الملك مالكي صادق في سورية يوم جادها ابراهيم الخليل كان عربياً .

ايها الحفل الكريم

لقد تقررت هذه الحقيقة في نفوسنا وآمنا بها ، منذ ان كنا نطفا في اصلاب ابائنا الصيد ، وقبل ان تحطنا الى حين ، في اوحام امهاتنا المباركات خير الظهور. تقرر في نفوسنا اننا في لبنان وبلاد الشام كلها ، كما في بقية الاقطار العربية كافة ، امة عربية واحدة تامة — قومياً لا عنصرياً — متشعبة الى شعوب يقطن كل شعب منها بقعة من بقاع هذا الوطن العربي الكبير ، اعتبرناها حلقات ، كل بقعة حلقة ، تؤلف مجتمعة ، سلسلة قوية ذات شأن . وما فاتنا ان هذه الحلقات غير متماثلة ، من بعض النواحي ، وانه ينبغي لنا ويتحتم علينا ان نعمل جاهدين ، لتتماثل وتنسجم ، وانه لابد لذلك من زمن طال ام قصر ، ولكنه زمن يطول ويقصر ، بالنسبة الى مساعينا واعمالنا ، وما يبعثها من ايمان وعلم وجد واخلاص ، وما يذكيها من مثابرة وتعفف وطموح قومي واسع رفيع . ومع ذلك فقد احببنا ان نسلط انوار العلم من جديد

على هذه الحقيقة ، ليتلاقى العلم والايمان ، فيشد احدهما الآخر شداً، ويؤمن المشككون من مواطنينا ، بان من لم يكن منهم عربي العنصر ، فهو عربي القومية ولا جدال ، وقد فعلنا ، فآزر العلم ايماننا وثبت يقيننا ، وقد بسطنا لكم ذلك آنفاً من كلامنا الذي تسمعون . وما كان الغرض من خطتنا هذه، ومن دراساتنا الا الحرص على ابراز الحقيقة الواقعة التي يجب ان تعلم وان تعلن ،بله الحرص على ابقاء الصلة بين ماضينا وحاضرنا ، وبين كل قطر وقطر من اقطارنا ، ليستقيم لنا العمل الصالح المثمر لحاضرنا ومستقبلنا ، وليرتفع بنيان نهضتنا على اسس علمية واضحة الاصول ثابتة القواعد، راسخة الاركان متماسكة الفروع ، يقوم عليها مستقبلنا قياماً طبيعياً ، تسكن اليه الانفس وتطمئن القلوب .

ورحنا ، ايها الحفل الكريم ، على هذا الاساس القومي الصحيح ، العلمي التاريخي الاجتماعي الواضح المتين ، ننشر فكرتنا ومبادئنا ،ونبذر في مختلف زوايا هذه التربة بذور النهضة القومية الصالحة ، نتوخى ان تكون متصلة الحلقات، غير منقطعة الاثر. وسيلتنا الى ذلك ،تفكيرنا المستقيم ،والسنتنا العفة ، واقلامنا الحرة واعمالنا الجريئة الموزونة ، يغذيها ايمان عميق مشرق . وارادة عاقلة عنيفة. واخلاص وادع صاف. وطموح قومي واسع منزه ، وامل مجنح ، تضرب في الغيب اجنحته البيض . فما ادهشنا مثل ان تمتد اعناق وتطول السنة، تتهمنا اننا نكره لبنان ونعقه ونخونه ، تتشدق بذلك سفاهةومكابرة ، او نقطع كل صلة لنا باخواننا وابناء اعمامنا ، ونحول وجهنا شطر الغرب موطن اسيادهم ، اعدائنا واعدائهم لو كانوا يعقلون . فاغضبنا جهل هذه الفئة المركب واستمراؤها العجيب للعبودية . ثم رثينا لها ، وآلمنا ضلالها فحاولنا تحريرها وتطهيرها ، فاعيانا ما نحاول ، على اننا مضينا في سبيلنا وما نزال . وقد بدا في الافق نور ضئيل من امل في رجوع هذه النفوس الى الصواب والى الحق ، ارجو ان يتعاون الاحرار المصلحون معنا ، ليقوى وينتشر ، فتستقر هذه النفوس، في الحق وفي الصواب .

وقد نشرنا في لبنان الذي نريده واسطة السلسلة وحلقتها الذهبية — ان امكن — ما آمنا به، وقامت الحجة العلمية على صوابه ،من ان اللبنانيين عرب لا قومية لهم الا

القومية العربية ، وكنا اول من عرّف القومية تعريفاً علمياً واضحاً صحيحاً ، وحددنا قضية العرب ، – وقضية لبنان جزء منها – تحديداً علمياً قومياً سياسياً ، وفرقنا بين الجامعة الاسلامية ، كما يسمونها ، وبين الجامعة العربية ، وقلنا بهذه وعملنا لها ، ودعونا الى القول والعمل بها ولها ، وميزنا بين الوحدة والاتحاد بعد الدرس والاختبار ، وقلنا بالاتحاد اليوم ، ونشرنا في اللبنانيين كافة ان القومية شيء والدين شيء آخر ، وانه ليس في لبنان ، في نظرنا ، مسيحيون ومحمديون ، في عرف السياسة ، ولا في عرف القومية والوطنية ، وانما فيه لبنانيون تجمعهم مع اهل هذا الشرق العربي ، القومية العربية ، والمصلحة العربية ، السياسية منها والاقتصادية والعسكرية ، وانه لا يمتاز لبناني من آخر الا بما يقدمه من عمل خيّر للمجموع . وقررنا ونشرنا ان النهضة السياسية مهما يبدُ من علياتها وسعة انتشارها وقوتها ، نهضة هي الى الزوال اقرب منها الى البقاء ، اذا هي لم يسبقها او يرافقها نهضة فكرية خلقية اقتصادية اجتماعية . وان التحرر من الاجنبي المستعمر ، على ما فيه من عزة وخير ، لا يغني من شيء ، ولا يؤمن للوطن من الحرية والحق والقوة والرخاء شيئاً ، اذا هو لم يرافقه التحرر الفكري والاجتماعي والاقتصادي ، من هؤلاء الذين يسمونهم زعماء بالعرف ، سواء اكانت القبور او الحوانيت او الحقول ليس الا ، مبعث زعامتهم الزائفة الجوفاء . وان الفلاحين والعمال وصغار الصانعين ، وهم الكثرة الغالبة في شعبنا ، وفي كل شعب ، من حقهم ان يتمتعوا بثمرات اعمالهم وجهودهم ، بشكل يتفق مع قيمة هذه الاعمال والجهود ، وان من حقهم ان يتعلموا ويعملوا ويعيشوا شأن السادة الكرام الاحرار من بني « الانسان » . وعملت العصبة في لبنان ، غير ذلك اعمالا يصعب ان يلمس الناس اثرها بالسرعة التي يتطلبون ، ذلك انها اعمال هي بالروح والمعنى اكثر اتصالاً منها بالحرف والمادة . فقد بشرت في ابنائها اولاً وفي اللبنانيين كافة ، بالصدق والصراحة والامانة والوفاء ، والشجاعة والجرأة بالحق والثقة بالنفس واحترام القانون والتقيد بالنظام ، وحاربت العصبة العصبيات الملية والمذهبية والعائلية والاقليمية الضارة ، وكافحت المستعمر كفاحاً مستمراً منقطع النظير ، كثيرا ما أفضى بها الى السجن والمنفى والمعتقل والمطاردة والتشريد وانواع الشقاء . ولكنه لم يفض بها مرة الى الذل . ولن

يفضي بها اليه ابدا .

ليس للذل حيلة في نفوس   يستوي الموت عندها والبقاء

ثم تعود العصبة بعد كل صدمة الى الكفاح ، في تصميم وعناد ، عالمة ما ينتظرها من محن متنوعة الالوان تعذب النفوس والاجسام . وقد انشأت العصبة مدارس ليلية مجانية للاميين في غير قليل من القرى ، وفي بعض الاحياء من المدن ، يقوم على تعليمهم فيها وتوجيههم فريق من اعضاء العصبة بين شبان وشابات . والقت كثيراً من المحاضرات التاريخية العلميـــة التوجيهية، التي تركت اثراً فعالاً في الذين سمعوها وقرأوها . وقد كان لهذه المحاضرات – على التخصيص – تأثير في احياء الجرأة بالحق وفي تفتح الاذهان لمذهبنا القومي التقدمي الصحيح .

ونحن نعلم ان هذا كله شيء يسير جداً مما ينبغي لحزب ، كالعصبة ، ان يعمله . وانه ليس شيئاً تقريباً بالنسبة الى ما يجب ان يُعمل ولكننا على كل حال لم نعمل اقل مما نستطيع . بلى ان هناك شيئاً واحداً تستطيع العصبة ان تعمله ولم تعمله! اتدرون ما هو ؟! هو التطبيل والتزمير، واسلاس المقادة وتسخير الضمير . افتحبون لها ان تطبل وتزمر ! انها لن تفعل ابداً . رغم انها تعلم ان التطبيل والتزمير وتسخير الضمير ،وسائل في هذا البلد تلفت اليها الاعناق وتكثر لها الانصار ،وتأتي بالفضة والنضار

ان «عصبة العمل القومي» تحب ان تخلق في لبنان وفي غير لبنان من البلدان العربية خلقاً جديداً من غير هذا الطراز . انها تعرف ادواء العرب في لبنان وفي غير لبنان ، وتريد ان تعالج هذه الادواء من الاساس . انها تحب ان تمد يدها الى الجماهير الجاهلة المخدوعة ، فقيرة وغير فقيرة ، لترفعها الى المنزلة التي تليق بهـــا ، بالانسان غير الحيوان ، الانسان الحر الكريم ، ولو كرهت هذه الجماهير في البدء محاولتنا هذه ، لا تنزل الى هذه الجماهير فتماشيها لترضيها وتستغلها ، فتقع في جريمة العمل الحقير لاستمرار الجهل ، فتستمر الخديعة ويستمر الاستغلال ،فيصبح حاضرنا المظلم امتداداً لماضينا المظلم ، ونحكم على مستقبلنا الذي نريده مشرقـــاً ان يجيء امتداداً لحاضرنا هذا الجاهل الفقير الضعيف الذليل المظلم . وعلاجنا هذا ، علاج مر مكروه ، لانه غير مألوف عند هذه الجماعات التي ضللها وخدعهـــا وضحك عليها

واستغلها وما يزال ، هؤلاء القادة والزعماء الجهلة ،والمزيفون والنفعيون. ان العصبة تريد ان تصلح ، ما يعنيها ، ما يقال فيها ، لا ان يقال فيها انها مصلحة وهي تهزأ بالمصلحين والاصلاح!. وليس بعد هذا اعجب واغرب من كلام تقرأه بين الحين والحين في بعض الصحف ، يزعم اصحابه ان لبنان ليس فيه احزاب. على انه يتكشف بالنتيجة، عن انهم يريدون انه ليس في المجلس اللبناني احزاب. او انه ليس للاحزاب في المجلس من نواب . فما ذنبنا نحن ! وهذا حزبنا المنظم المنبثق باسمه ومبادئه واهدافه من صميم حاجة الشعب اللبناني في هذه الحياة . ايكون ذنبنا اننا جئنا هذا الشعب – على غير ما ألف – بما يوافق مصلحته دون هواه ؟!! انه ذنب تعمدنا ارتكابه وارتضيناه . ولتحاربنا حكومات لبنان ، اذا هي شاءت ، من وراء ستار، كما حاربتنا علانية من قبل ، سلطات الاستعمار ، وسلطات الدين والزعامات الجاهلة وعبيد هذه السلطات والزعامات . فان سلطة واحدة اعظم من هذه كلها تبقى في جانبنا، هي سلطة الفكر والحرية والحق . وسنمضي الى الامام جماعات وافراداً في ايمان وعلم وثبات، غير ملتفتين الى الوراء ، الى الماضي، الا للاعتبار والاتعاظ ، مفكرين بالمستقبل القريب والبعيد ، فما لا يتحقق اليوم من منهاجنا الذي ادركتم كنهه وماهيته ، يتحقق غداً . ذلك ان منهاجنا قطعة من سنة الكون الحي ، المتميز بالارادة والحرية ، وبالحركة نحو كل ما هو حق وقوة وخيرة وكمال .

ايها الحفل الكريم : ان منهاجنا لن يطبقه كاملاً الا حكومة منا ، وهذه الحكومة القومية العربية اللبنانية ، لم يحن وقتها بعد في لبنان. على اننا سنشد ازر كل حكومة تطبق شيئاً من هذا المنهاج ، ونخاصمها فيما يخالفه ويند عنه من اعمال . ولسنا براضين عن حكومة من هذه الحكومات «الوطنية» التي قامت حتى الآن ، مع ما هناك من تفاوت بين هذه الحكومات . وسنمضي في عملنا في صفوف الشعب نهيئه لما نريد له من معرفة وحرية وكرامة وقوة وعيشة رضية . لقد فعلنا ذلك يوم كانت سيوف الاجنبي القوي مسلولة فوق رؤوسنا، وسجونه مفتحة الابواب بوجوهنا ، وفنون التعذيب يمارسها في اجسامنا ونفوسنا ، ما نبالي من ذلك شيئاً . فما بالنا لا نفعل ذلك اليوم ؟! ما بالنا لا نفعله ، نحمل آلامنا دامية الجراح ، كما حملناها من قبل في

ترفع وتجلد . فان خذلتنا القوى الكامنة ضمن نطاق هذه البقعة العزيزة لبنان – وهي على الارجح الاغلب ستخذلنا – التفتنا نستلهم تاريخنا المجيد الضخم المشرق ، لنعتبر ونستقوي . ومددنا ابصارنا الى الافق البعيد ، البعيد ، نشاهد خيال مُثل العرب العليا في مختلف الافاق ، نفيد لمستقبلنا ، فنرى في كل افق زينة حمراء من زينات الدنيا والآخرة ، من معركة ذي قار الى معارك القادسية واليرموك والقيروان وقادس والجزيرة الخضراء ، الى معارك ميسلون والمسيفرة والمزرعة ودمشق حتى وبيروت . فنرى على كل افق الهبوات السود تشق فيها الرايات والاعلام فجوات ، فجوات يطل منها وجه النصر ووجه المجد ، تلمع في قتامها الاسنة والنصال وشرار سنابك خيل الله ، كما تلمع الكواكب في صميم الليل الاليل البهيم ، ونرى الدم يتفجر احمر قانياً غزيراً ، فيسكرنا اريجه الزكي . ويثير صدى صهيل الخيل وصياح الفرسان كما يثير ازيز الطائرات ولعلعة المدافع ، واصوات الحق المدوية ، تهز الارض والسماء ، عواصف القدرة في نفوسنا ، ويفجر مكامن النخوة من صدورنا ، فنمضي قدماً الى صنع مستقبل امجد واعظم واسمى وانفع . نفعل ذلــك في نشوة وانطلاق ، يلفنا غبار المعركة في ثناياه ، تتخذ منه صبايانا لعيونهن المضطرمة باشعة المجد والطهر كحلاً يسطع منه عبق المسك الاسمر . والطيب الفواح المعطر . تباركنا ملائكة السماء ويرعانا بعد ، صاحب «الكلمة» بعنايته الالهية في معترك هذا الجهاد .

فيا لبنان يا بر الشام كله ، بما فيه فلسطين واللواء ، ايها الرافدان الخالدان . ايها النيل المحسن الميمون ، يا سد مأرب ، ايتها القيروان الدامية ، يا مهبط الوحي ومنبثق النور والكرامة ، ومنبعث الهداية والحرية والحق ، يا موطن العرب الكبيــــر ، يا ساحات الغزو الازهر وملاعب الفتح المبين الانور ، نحن لك في لبنان . نعم في لبنان ، قبل كل مكان .

ايلول سنة ١٩٤٥

اللواء لواؤنا

الايمان يقتضي العبادة ، والعبادة تقتضي التوحيد ، والتوحيد يأبى التبضيع ومعنى هذا ان الايمان لا يفهم للموت معنى في سبيل عبادة الواحد الحق . والعرب مؤمنون بوطنهم الكبير الواحد ، وبحقهم في « اللواء » فلذلك سيعود « اللواء » حتماً الى مستقره في الواحد الحق ، الذي آمنوا به ، لتستقيم العبادة ويستمر التوحيد ، او يموتوا بأجمعهم . علي ناصر الدين

ما اعرف علماً – واعني اسم علم – بين الاعلام ، يدل على نفسه عندنا ،فيعرفه الناس من غير ما اضافة او وصف او تعريف ، مثل لواء الاسكندرونة هذا،لا في البلدان الواسعة بما يكون فيها من جبال واودية وانهار وبحار ، ولا في الاقـــاليم ولا في ما هو اوسع من ذلك او اضيق منه ، وندر حتى في الاشخاص .

فانت حين تتكلم او تكتب لست في حاجة الى ان تضيف كلمة « لواء » الى كلمة «اسكندرونة» ليفهم الناس انك تريد هذه البقعة الغـــالية الخصيبة الجميلة من ارض الوطن العربي ، التي اشترك في سلخها المؤلم عن جسم هذا الوطن ثلاث دول ، احداهن عربية واكثر العرب اتصالا بهذه البقعة من مختلف نواحي الحياة ، فيكفي ان تقول « اللواء » هكذا من دون اي تعريف او وصف او اضافة او اشارة ليفهم العرب في عواصمهم كلها هذا الذي تريد .

اللواء ! ، كانت كلمتان يكفي سماعي التلفظ بواحـــدة منهما مجردة عن اي شيء وعن اي كلمة او عبارة ليخفق قلبي خفقاناً شديداً ، ويهتز روحي وجسمي اهتزازا كأنما مسست سلكاً كهربائياً :

الجزيرة ! الاندلس ! وجاءت كلمة «اللواء» بعد نكبة العرب باللواء ، فاذا هي تفعل فعل « الجزيرة » و « الاندلس » سواء بسواء ، اللهم ربي اسألك بحق نفسك ان تصون الرابعة فهناك «كلمة» رابعة وقد تكون الاولى هذه الكلمات الثلاث .

افلا ترى في هذا عجباً ، و « اللواء » قطعة من الارض لا تزيد مساحتهــا عن ٣٣٠٠ - ٣٥٠٠ كيلومتر مربع ! ولا يزيد عدد سكانه عن ٢٢٨ - ٢٣١ الفاً من النفوس بينهم ٧٥ الفاً من الاتراك ! بينما هناك وطن عربي طويل عريض ، قد تبلغ مساحته الملايين من الكيلومترات المربعـــة ويزيد عدد سكانه عن ٧٠ مليوناً من النفوس !!

ولكن في «اللواء» للعربي القومي الواعي ذكريات ! وفي «اللواء» للوطن العربي في المستقبل مآرب وآمال . وللواء حكاية هي مأساة . مأساة بكل ما في هذه الكلمة من معان ومدلولات . مأساة يشترك في تمثيلها دول ثلاث لكل واحـــدة منهن دورها الخاص :

سورية الام ، دورها : الغفلة والضعف والاهمال . تركيا ، ودورهـا التهويل والطموح والتزوير والاغواء . وفرنسا ، ودورها التثعلب حيناً والبطش حينـــاً والحقد والغدر وقصر النظر دائماً ، والاستخفاف

يشرف على المسرح عجوز شمطاء كانوا يسمونها « عصبة الامم » يرحمها الله !! وبين هذه الدول الثلاث وفي غمرة ادوارها الجانية ، شعب «لوائي» يكتب ويخطب ويتظاهر ويحتج ، ويلجأ الى الجبال يحتكم الى الرصـــاص ، بعد ان احتكم الى المطبلين المزمرين لحق الشعوب في الحرية وفي تقرير المصـــير ، وفي حياة الكرامة والسيادة والاستقلال . وبين هذه الدول الثلاث ، وفي غمرة ادوارها الجانية يتشرد المناضلون الاباة من عرب «اللواء» هنـا وهناك ، وتسد المسالك في وجه الكثرة الغالبة منهم فيحاول العدل الدولي والحرية الدولية حملهم على الاذعـــان لحكم السيف والارهاب ، افيذعنون ؟!!

ايها العرب في كل مكان !

يا جامعة الدول العربية في القاهرة !

ان « اللواء » ركن من الاركان التي يقوم عليها الوطن العربي جغرافياً وتاريخياً وادبياً وقومياً وسياسياً واقتصادياً « واستراتيجياً » فلا يليق بكم ان تغفلوا عن

هذا او تتجاهلوه وانتم تعلمون .

ومن السياسة ، اقتناص الفرص ، والايام موآتية ، فلا اميركا ولا الاتحاد السوفياتي ولا انكلترة فيما نظن ، من مصلحتها اليوم ان تنكر عليكم حقكم ، وتقر الاتراك على تقطيع اوصال وطنكم ، فاذا رفعتم اصواتكم بايمان واتحاد وثبات من اجل « اللواء » كما تفعلون من اجل فلسطين ، فقد تفلحون .

اليس ان هناك حقاً مقرراً اقرته مؤتمرات هذه الحرب من الاتلانتيكي الى يالطه الى طهران ،هو حق تقرير المصير فما الذي يمنعكم من ان تطلبوا الى جمعية الامم المتحدة استفتاء «اللوائيين» في مصيرهم ؟!!

ايها العرب ! ان باطل القوة قد آن له ان يعجز عن ان يصير حقاً .

وان حق الضعف قد آن لكرامة الانسان ، ان تحول دون اعتباره باطلاً .

فكيف اذا كنتم اقوياء واهل حق ! انكم اجدر الامم بالقوة وبالحق مجتمعين ، يشهد التاريخ بذلك ويشهد العارفون .

– بريد اليوم – ١٩٤٦

معاهدة الامير . .

ما كان اكبر حظ الامير ، والامارة ، حتى وبقية البلدان العربية ، لو كان في استطاعة الاحرار العرب القوميين في كل مكان، ان يقولوا :معاهدة الامير ، اميرة المعاهدات ! ولكن الامر ليس كذلك وبا للاسف ، وليس واحد من الاحرار العرب القوميين ،حتى في امارة شرق الاردن نفسها ،يستطيع ان يقول هذا القول .

واحسب ان الامير نفسه ، على ماعنده من رغبة في التجوز والتسامح ، لا يقول هذا القول بينه وبين نفسه ، ولا هو يؤمن به حينما يقوله للناس

وما ارى من حاجة الى سرد المعاهدة هذه ، مادة مادة، وتحليل ما تنطوي عليه كل مادة ، من مواطن ضعف ، ومواضع للمهاجمة او النقد ، فالمعاهدات التي مثلها ، او التي تشبهها ، والتي عقدت منذ سنوات عديدة بين بعض الدول العربية وبين بريطانيا ، اصبحت بجملتها وتفصيلها في نظر العرب ، من شعوب وحكومات ، معاهدات غير صالحة للعرب اليوم ، ويكفي ان يكون سمو الامير اعترف في معاهدته بحق بريطانيا في ارض الامارة العربية ، والى اجل غير مسمى ، ليشعر العرب في كل قطر ، وتحت كل سماء ، بان اغلالاً وقيوداً جديدة يضعها الامير ، مختاراً ، في اعناق العرب وارجلهم ، بينما هم قد اجتمعت كلمتهم ، وصحت عزيمتهم على ان يحطموا ما كانت سياسة الاستعمار كبلتهم به من قيود واغلال . فالفرنسيون والانكليز يجلون من دون قيد ولا شرط عن سورية ولبنان . والعراقيون والمصريون يرفعون الصوت جادين ، في آذان الانكليز وآذان العالم كله ، انهم لا يرضون من دون الجلاء عن العراق ومصر بمعاهدة او اتفاق

قد يقال ان هذه المعاهدة يعقدها الامير بينه وبين بريطانيا انما تتناول الامارة وحدها ، ولا تتناول غيرها من بلدان العرب ، وان ما فيها من اغلال وقيود ، انما

هي قيود واغلال ،يكبل بها اهل الامارة وحدهم دون سواهم من امة العرب ، والامير راض واهل الامارة راضون، فما شأننا نحن في لبنان وفي غير لبنان، من هذا الوطن العربي الطويل العريض ؟!

لقد كان هذا القول يمكن ان يكون وجيهاً ، لو ان اهل الامارة الاردنية ، يثبت انهم راضون عن هذه المعاهده فعلا. ولكني ارجح ، ان لم اقل ، اؤكد ،انهم غير راضين . ولافترض ، مع هؤلاء القائلين ، ان اهل الامارة راضون ، فان للعواطف شأنا في كل امر ، ولا سيما في مثل هذا الامر الخطير من الامور ، وتأبى العواطف العربية الصادقة الشريفة الرضى ،بمثل هذا ، ويعجزها ان لا تنطلق ثائرة صاخبة ناقمة

على انني احب ان ادع العاطفة جانباً فلا اعنى بها ، ولا اقيم لها وزناً ، وان اعنى بالمصلحة وحدها،واقيم وزناً للمصلحة وحدها ، فان مصلحة ما بقي من بر الشام، لبنان وسورية وغيرهما ، خاصة ، ومصلحة الاقطار العربية الباقية كلها عامة ، تقضي قضاء لا نقاش فيه ، بان لا يكون في الامارة الاردنية ، جيش بريطاني ، وان لا يكون فيها الا جيش عربي لا نفوذ عليه عسكري اجنبي ، بريطاني ، ولا غير بريطاني ، ذلك ان الاحوال قد تتبدل ، وان مصالح بريطانيا قد تصور لها ضرورة توجيه العرب ، وجهة لا يرتضونها لنفوسهم ، او تكليفهم سياسة لا تتفق مع مصالحهم ، فيكون الجيش البريطاني في الامارة الاردنية — وفي متناول يديه العراق ومصر ولبنان وسورية — ذا خطر بليغ عميق يوعد ويهدد ويضغط ، وفي هذا اضرار بمصالحنا ، وايذاء لنفوسنا ،ونذير بالشر يتناول استقلالنا وحريتنا وكرامتنا ، ثم تغدو هذه البلاد ، مصر والعراق ولبنان وسورية في موقف حرج شد يد ، بل قد يتحرج عندها الموقف في الشرق الاوسط كله ، وليس في الشرق العربي وحده، واعتقد انني لا ابالغ اذا انا قلت انه قد يكون في هذا ، تهديد للحرية العالمية ، وللسلام العالمي . افيرى « اللامبالون » من اين يجيء حقنا في مهاجمة معاهدة الامير ؟!

وانه – فيما نعتقد – لمن بعد النظر والرشد في السياسة ، والاخــــلاص للوطن والكرامة في القومية ، ان تعالج جامعة الدول العربيـة ، مسألة معاهدة الامير ، معالجة فعالة ، على ان تشعر الجامعة المحترمة ،بشعور العرب قاطبــــة وليس بشعور حكوماتهم فحسب .. عسى ان نهتدي واياها الى الصراط المستقيم .

« اليوم » نيسان سنة ١٩٤٦

الى اللقاء في ساحات الشرف

كان شعور لبنان فياضاً ازاء فلسطين الشقيقة ، تجلى في كل عمل وفي كل كلمة قيلت يوم ٢ نوفمبر ، في الاحتجاج على وعد بلفور - وقد اشرنا الى تفاصيل ذلك في عدد خاص – على ان من ابلغ ما قيل ، ومن الواجب علينا ان نثبت ذلك التاريخ ، الكلمة التي القاها لهذه المناسبة من محطة اذاعة بيروت ، كاتب العروبة ، واحد ائمة الوطنية المجاهد الصادق ، الاستاذ علي ناصر الدين . ان العقيدة الصلبة والايمان الصحيح يتجليان في تلك الكلمة المخلصة التي يطالع القراء نصها الحرفي فيما يلي . —اليوم—

قال الاستاذ ناصر الدين :

ايها المستمعون الكرام !...

ليس ايسر علينا نحن معشر المتكلمين ، الذين يتسامح البعض منكم فيسموننا خطباء ، من صناعة الكلام ، حتى الكلام الذي يريده الله سبحانه وتعالى ، للبعض منا طرازاً فريداً من البلاغة والحق ، ومع ذلك ما استطيع هذا المساء كلاماً في الموضوع ، الذي تقرر ان اتكلم فيه ، اذا انا لم اتناول ، ولو بكلمة موجزة جداً ، محطة الاذاعة هذه ، التي تنقل اليكم رأيي المتواضع غير الجديد ، في قضية بالغة من الخطورة في مجرى حياتنا جميعاً ، على اختلاف نواحي الحياة ، مبلغاً لم تبلغه قضية من قبل : قضية فلسطين !

لقد كانت هذه المحطة طيلة سنين ، تشكل في نظرنا نحن ، دهراً ، شبه مغارة (للممدنين) وعبيد الممدنين ، ومختبراً للسموم ، ينفث منه اسياده وعماله ، في نفوس المستمعين ، سم التفرقة والذل والعبودية والخنوع ، فتصاب نفوس وتسلم نفوس .

وحرمة للانصاف الذي احبه ، واعمل به ، وادعو اليه ، اذكر ان ظروفاً عارضة ، كانت تقضي على « الممدنين » بأن يُسمعوا الناس ، غير النقيق والفحيح ، فلا

يعجزهم ان يظفروا بنفر في وجوههم بقية حياء ، واحياناً ، بنفر آخر ، في نفوسهم شيء من الاباء ... ولكن ... ولكن «بدهم يعيشوا» .

اما اليوم ، فمحطة الاذاعة ، محطة لبنانية ، وبالطبع عربية ، تستطيع ان تكون منبثقاً للخبر الهادي من الانوار ، ومنبراً رفيعاً للمخلصين الاحرار .

وبعد ، فأننا ايها المستمعون الكرام ، في مساء يوم ، لم يعرف البشر مثيلاً له في التاريخ ، يوم وعد سيد انكليزي من سراة الانكليز ! واعلام الانكليز ! ومن حلفائنا الانكليز «حلفائنا» لا تنسوا ... لناس من بني آدم مثلنا ، ولكنهم ناس ويا للاسف ، يختلفون عنا في كثير . نريد الحق ويريدون الباطل ، نريد الانصاف ، ويريدون الاجحاف . ننظر الى هذه الحياة الدنيا ، بشيء من التطلع الى المثل العليا ، تتصل بغير المنظور والملموس ، وينظرون هم ، الى هذه الحياة الدنيا ، من خلال اللحم والعظم والجلد والفلوس .. ونريد لنفوسنا ولغيرنا الحرية والاستقلال والهناء ، ولا يريدون لغيرهم ، سوى العبودية والذل والشقاء ! ونحن العرب ، في كل رجا من الارجاء ، من هذا الغير ، — وقد لا يكون غيرنا منه — هذا الغير الذي يريدون ان يستعمروه ، ويذلوه ، ويشقوه ! او ان ينتزعوا منه ارضه وارض آبائه واجداده ، فيطردوه من هذه الارض ! ويشتتوه في الطول منها والعرض ! محاولين ابطال مفعول آية كريمة فيهم : «لقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة» ، وتطبيقها ، على غيرهم ، افترضون ايها العرب ، او تصبرون ؟!

ايها اللبنانيون ! ايها العرب ، يا عرب الدنيا كافة !

في يوم بلفور ووعد بلفور هذا ، تملأون الدنيا — او جزءاً منها — كل عام ، ضجيجاً . وتبعثون باصوات النقمة والغضب ، تتأجج في اجواء المعمور — او جزء منه — اجيجا ، وهذا امر طبيعي ومحمود ، هو احد عناوين الحيوية والحماسة والاباء ، ولكن ما هي الا ان تنحدر الشمس ، ويسجي الليل ، حتى ينقطع الصدى ، ويحل محل الغضب ، الرضى !

ثم ما وعد بلفور هذا ؟ لم يبق وعد بلفور شيئاً مذكوراً ! لقد نشر عليه وعد ترومن ، السيد الكريم ... غطاء كثيفاً ، واستطاعت انكلترة ، انكلترة حليفة

العرب وصديقة المسلمين ! ، وهي المتهمة تجنيا ، وزوراً ... بالرغبة في الفتح والاستعمار ! استطاعت ، ان تجر الى الساحة ، دولة غير متهمة ، لا صدقاً ولا زوراً دولة عرفها الذين عرفوه ، بالرغبة في الحق ، والعدل والحرية ، والخير ، فتنسى اميركا لو تكلم ، العرب ، وغير العرب ، انكلترا وبلفورها ، فيا لخيبة الامل (بالجماعة المتهمة) بالرغبة في الحق والعدل ! والحرية والخير ! ولتبتسم الحليفة الصديقة الامينة ! فقد بدأنا نسمع ، كما توغب ، ترديد القول المعروف : رحم الله النباش الاول !

ايها الاخوان اللبنانيون ! ايها الاخوان الفلسطينيون ! ايها العرب في كل مكان !

لقد اصبح التدليل ، على الخطر الصهيوني يشد براثنه الحادة على اعناقكم جميعاً ، ضرباً من ضروب الابتذال ! واصبح التدليل بالوثائق والمستندات ، على حقكم في فلسطين ، ضرباً من ضروب الابتذال ! ولم يبق امامكم ، الا ان تختاروا بين امرين لا ثالث لهما . اما ان تجودوا بجزء ضئيل ، من اموالكم ، على صندوق الامة ، لتحفظوا الكثير منها ، وتحفظوا معه اراضيكم وبيوتكم ، وتستبقوا حريتكم وكرامتكم ، وان تستعدوا ليوم عصيب ، واما ان لا تفعلوا ، فتخسروا هذه الاموال كلها ، ومعها الارض والمنزل . والحرية والكرامة ، وسائر مقومات الحياة .

والمقاطعة ، المقاطعة العامة الشاملة الكاملة اقتصادياً واجتماعياً ، ما حالها ايها العرب ؟ اليست المقاطعة على هذا الشكل ، سلاحاً عملياً قوياً نافعاً ! فلم لا نقاطع هذه المقاطعة ! الاننا ما نستطيع الاستغناء ، عن معامل الصهيونيين ، ومزارع الصهيونيين ، ولم لا نستغني عنها ، بمعامل عربية ، ومزارع عربيــــة ! ان هذا في مقدور العرب من الناحية المادية ، ففي العرب ، اثرياء كبار من هذه الناحيـــة . افيكون الفقر اذن عند العرب ، في الناحية المعنوية ، ناحيـــة الارادة والخُلق والايمان بالمثل العليا ، بالحق !! اللهم ! اننا ننكر هؤلاء العرب ! اللهم ليس هؤلاء العرب عربنـــا !!. وهؤلاء الذين يحاربون العرب ، من العرب انفسهم ، قلوا ، ام كثروا ، في لبنان ، وفي غير لبنان ، هؤلاء الذين يحاربون العرب ، مهما يكن من اختلاف الميادين ، وانواع الحرب والسلاح ، الا يدعون الى الخاطر آية من ايات الكتاب الكريم : « سورة المائدة ٣٣ »

وكلمة بعد اوجهها الى بني قومي جميعاً ،ولا سيما الى الرجال الرسميين منهم ،والى اهل العقائد ، والمكانة ، من رجال ونساء ، الا يرى هؤلاء السادة والسيدات جميعاً ، انه من دواعي الرصانة ،والنبل ،والجلال ،ان لا نتمادى في الانغماس في ملذاتنا ، على اختلاف مظاهر هذه الملذات ، ما دامت المحنة لا تنقشع ، وما بقي الحق في غير نصابه !

ايها المستمعون الكرام !

اقول لمن يشاء منكم الى اللقاء ، في ساحات الشرف الصحيح ، ولا اذكّركم بخضاب الرجال ، فانكم فيما اظن لذاكرون !

« اليوم » تشرين الثاني سنة ١٩٤٦

الثــــأر

او

محو العار

طلب الي في شهر نيسان الماضي ، فريق من الوطنيين المخلصين بينهم نخبة صالحة من الطلاب العرب في الجامعة الاميركية في بيروت ، وفي المدارس العليا في طرابلس ان القي محاضرة ما ، في موضوع اختاره ، فاعتذرت ، فالحوا علي الحاحاً شديداً ، لم يسعني معه الا ان البي رغبتهم ، شرط ان يكون موضوع المحاضرة : « الثأر » فرحبوا بذلك ، وكانت هذه المحاضرة ، التي القيتها في منتدى دار الايتام الاسلامية في بيروت ، وفي قاعة المحاضرات بالمدرسة الاميركية في طرابلس . وقد نشرت هذه المحاضرة في كتيب وزع يومذاك ، ورأيت ان هذا الكتاب اضمن لبقائها .

— المؤلف —

ايها الحفل الكريم

كنت قد عاهدت نفسي ، بعد النكبة ، ووفيت ، على أمور ، منها ، ان لا احاضر ، ولا اخطب ، ولا احضر حفلة او اجتماعاً ، الا ان يكون الغرض من هذا كله ، البحث الجدي في محو العار ، الذي الصقه بالعرب ، فريق من العرب أنفسهم ، قبل الانكليز وقبل الاميركان وقبل اليهود ، والمداولة في الخطة ، التي يليق بالعرب ، ويترتب عليهم ، ان يتقيدوا بها ، ويسيروا عليها ، في هذا الصدد

بالذات ، اذا كانوا كما يزعمون ، ناساً ، بالمعنى الذي نفهمه ونريده لهم . واذا كانوا يحسون ويعون فعلا ، أنهم ابناء الذين أظلوا في ظلال سيوفهم ، العـدل والامن والطمأنينة ، والحرية والحق والخير ، والواناً من الحضارة ، نعمت بها الدنيا طوال قرون . ذلك انني أعتقد ، ان محو العار هذا ، أساس لكل اصلاح ، وكل تقدم ، يطمح اليه احرار العرب في حياة العرب . ونقطة انطلاق من جديد ، الى جنات تجري من تحتها الانهار ... في الدنيا والآخرة .

واريد ان يُفهم عني ، انه سواء أكان العرب كما أحب ان يكونوا ، ام كانوا كما يزعم لهم البعض ،اليوم - مستشهدين ، بما يصك النفس ، كما يصك الحجر القاسي الوجه بهذا الوقع ، وسكوت العرب على واقعهم هذا البشع المخجل الحقير - فان من الامور التي ما تحتمل الشك في نفسي ، ان هدي الرسالة وغرضها ، رسالة صانع العرب أمة ودولة ، عنصران لن يذهبا دوج الريح .

وحينما أقول هدي الرسالة وغرضها ، احسب انني أجيئكم في هاتين الكلمتين ، اذا انتم تعمقتم في تفهم مدلولها الواسع ، وطاقتها الكامنة ، التي لم تُستنفد ولـن تُستنفد ، بتاريخ تشريع ، وتاريخ فلسفة ، وتاريخ اجتماع وتاريخ سياسة ، وتاريخ اقتصاد . بتاريخ له صفة كونية انسانية تطورية ،جليلة محسنة ، قد يجد التشاؤم وتقزز النفس ، من خلال بعض صفحاته ، بالنظر لهذا الواقع ، متسللا يتسللان منه الى نفوس المؤمنين الصادقين ، الصامدين الصابرين . ولكنه لن يجد اليأس ، رغم هذا الواقع ، من خلال اية صفحة من صفحات هذا التاريخ ، اي متسلل يتسلل منه الى هذه النفوس .

والحقيقة بالنسبة الي ، انه لولا ايماني بهدي الرسالة وغرضها ، ولولا اضـواء يرسلها هذا التاريخ من بعيد ، على جوادّ الحياة ودروبها ، وعلى منعطفاتها وشعابها ومساربها ، فيستبين بها للمتبصر ، ما يشبه الحقيقة العلمية ، من بدهية اليقظة يوماً ، اليقظة التي اسميها « يقظة الدم » اذا صح التعبير ، او يقظة الوجدان القومي ، ومن طبيعة تعاقب الحياة والموت ، والرفعة والانخفاض ، حسيا ومعنوياً ، ومـادياً

وروحياً ، في كل كائن ذي حياة ، في الناس كما في الطبيعة ، لولا هـــذا كله ، لسكنت بفعل هذا الواقع ، واقع العرب هذا الذي ذكرت ، الى احدى الراحتين . ولما رضيت لنفسي الوقوع في « جريمة » اتهم بها ، معظم الذين يسمونهم بحق او بباطل : مثقفين ووطنيين . ومعظم الذين يسمونهم بحق او بباطل : زعماء وحكاما ورؤساء وامراء وملوكا في العرب ، « جريمة » الكلام . مع العلم ، ان اي عمل ، مهما يكن من شأنه ، لا غنى له عن كلام موزون يسبقه ، على ان لا يكون هـذا الكلام هزلا ، وكذباً وتدجيلا وتضليلا وغشا ، وتهجيصاً . « بالجيم المصرية » كما يريد الامين العام لمنظمة يسمونها « جامعة الدول العربية » وهي ويا للاسف ، مفرقة حتى الآن ، وليست جامعة (١) . فان لم يكن كذلك ، وكان كلاما ينطبق على الحديث الشريف ، او القول المأثور : « قل خيراً او فاسكت » فذاك ، ذاك هو الكلام ، الذي لا غنى عنه ، بل الذي يفرضه فرضاً ، الاخلاص القومي الثابت ، وعاطفة المغامرة المشبوبة ، يرعاها العقل المتفتح ، كما يفرضه التوجيه الصالح ، الى مكارم الاخلاق ، وعظائم الامور . واني لارجو ، ان يكون في كلامي الساعة ، شيء من هذا الخير

على انني اسارع فأقرر امامكم في صراحة وايمان ، ان المقياس الصحيح في نظري ، لليقظة الصحيحة عند العرب ، في ظروفنا بعد النكبة ، انما هو اولا وقبل كل شيء ، في مقدار ما يثبت من استعداد عند العرب ، للعمل الجدي الحاسم لمحو عارهم . وانا ما اغشكم فاقول لكم أن محو هذا العار ، عارنا اليوم ، امر سهل — وقد يكون سهلا جداً من الناحية المادية — وانا انما اعني السهولة من ناحية الدوافع النفسية ، اقول انني لا اغشكم ، فمن غشكم ، بل من غش اطلاقا ، ليس منكم . وانا منكم ولكم . بيد انني لا استنيم للذل ، فاستسلم للواقع ، وادعوكم الى الاستنامة

---

(١) كان السيد عبد الرحمن عزام الامين العام « لجامعة الدول العربية » يقول للجنة العسكرية التي تألفت في دمشق تحت اشراف جامعة الدول العربية هذه ، للقيام على شؤون المتطوعين للقتال في فلسطين : « انتم هجصوا هجصوا ، وما فيش حرب » — من مذكرات القائد فوزي القاوقجي —

والاستسلام ، تهربا من المكاره ، ومعاناة الصعاب ، في بعث الدوافع النفسانية ، فاقول لكم ، ما قاله الحطيئة للزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

اي الآكل الشارب اللابس ، كلا ! انني لا اقول لكم هذا ، فهذا شأن الجبناء الساقطي الهمم ، عبيد الشهوة وعبيد الدرهم ، واخوان التوافه والحقارة وسفساف الامور ، الذين لهم في اجوافهم واجسادهم ، قلوب البهائم ونفـــوس البهائم . ولكنني اقول لكم ، ما قاله صاحبكم الذي عرفكم وعرفتموه ، ابو العلاء :

واني رأيت الصعب يركب دائمـــا ... من الناس من لم يركب الغرض الصعبا

وادعوكم الى ركوب الصعاب ، فمن لم يركب الغرض الصعب ، ركب ما هو اصعب منه . وهل اصعب من العيش في الذل وفي العار ؟

واقول لكم هذا لانني احترمكم . احترم فيكم الحرية والحفيظة والشرف ، ولان بقية من ثقة ، ما تزال تحوك في نفسي ، بان العرب امتي وقومي ، من غير المعقول ، ان يستمروا في سكوتهم على واقعهم هذا ، يغلب عليه التهريج والدجل والشعوذة والتضليل والميوعة والشهوات . فالرضى بالنتيجة ، بالعيش في الذل وفي العار ! اجل ، انه من غير المعقول ان ترضوا بهذه النتيجة ، بهذا المصير . لهذا كله ، فانا ما اتردد ، مع انني ، صارحتكم بان الامر غير سهل ، بالنظر الى حالتنا الروحية طبعاً ، وليس المادية ، ما اتردد ، اقول ، في ان ادعوكم الى ركوب الصعب ، فاذا كان هذا الامر صعبا معنتاً ، فانه غير معجز ولا مقعد .

محو العار

ولنر بعد ، ما الذي يمحو هذا العار ، نزل بالعرب جميعهم ! ترى اهو دستور معدل ، في ناحية من نواحي هذا الوطن العربي ! ام هو اصلاح محلي ، في ناحيـــة اخرى منه ! ام انه في فورة من الفورات ، تؤدي الى الزيادة في حصة هذا البلد ،

او ذاك ، من البلدان العربية ، من النفط مثلاً ! ام في تعديل معاهـــدة او تغيير معاهدة ، ام يكون في عقد معاهدات جديدة ، تجارية وثقافية ، بيننا وبين مختلف الدول ! ام يكون محو العار هذا ، بانشاء ميناء ، او تشييد قصر ، او تأسيس جامعة. او في اقامة مأدبة او حفلة او سهرة عامرة ، نزعم اننا نثبت فيها كرمنا العربي ، فنثبت بلاهتنا ، ويا للاسف ، وميوعتنا وفقر احساسنا ، ويجري في هذه الحفلات الجين والويسكي والشمبانيا ، في مواسير ذات انش او انشين او ثلاثة او عشرة الى احواض (١) من بلور ، براقة ضخمة رائعـة ، دونها « الحوض » (٢) في نظر الذين يقيمونها !! ام في خطاب او تصريح ، يقابـل – ونحن لا نحسّ – هزؤا ، ورياضة فكرية ساخرة بالتصفيق! ام يكون محو هذا العار ، بتأسيس دولة جديدة (٣) ، ليس لغير ابنائها ، البواسل فعلا ، من العرب ، اي فضل في تأسيسها ، ولظروف لا محل لتفصيلها الآن . ام يكون في خروج مستعمر محتل ، عسكريا او سياسياً من بلد عربي ؟! الصحيح ، ان شيئاً من هذا كله ، بل ان هذا كله ومـا اليه ، واكثر منه لا يمحو عارنا ! وان يكن في شيء منه ، او فيه كله – عدا التصريحات والخطب ، وحفلات المواسير والاحواض طبعاً – مظهر من مظاهر التقدم الذي يعوزنا ، والذي نحبه ونسعى اليه ونعمل له ، او الذي يجب علينا على الاقل ، ان نحبه ونسعى اليه ونعمل له !

ان اي ازدهار في الاقطار العربية ، واي تقدم ، في اي ميدان من ميادين الحياة كافة ، مهما يبلغ من السمو ، في مراتب التقرب من القمـة ، لا يكفي وحده لمحو العار . واني لاذهب الى أبعد من ذلك ، أذهب الى أن اتفاقاً يعقد بين العرب قاطبة مجتمعين ومتحدين في دولة واحدة ، وبين صديقنا الجديد ، الجنرال فرانكو ، هذا

---

(١) اقام نفر من امراء العرب في « اوتيل استوريا » في نيويورك حفلة غريبة ، اجروا بها الشمبانيا في مواسير الى بحيرة : حوض كبير من بلور مما ادهش الناس وحيرهم .

(٢) حوض في الجنة ورد ذكره في احاديث الرسول الاعظم العربي

(٣) دولة ليبيا

الرجل الكبير المحبوب المحترم ، واعني ما اقول ، على ان تعود الينا الاندلس ، ان هذا الامر الخطير نفسه ، لا يكفي وحده في نظري ، لمحو العار ! عارنا البشع ، المذل الموجع ، المقض المضجع .

ان شيئاً واحداً بعينه ، يمحو عنا العار ، وليس يمحوه أي شيء آخر ، على الاطلاق انه الثأر .

والبرهان على هذا ، على ان العار الذي ألبسنا اياه قبضة من الناس ، تعودنا ان نسميهم جبناء ، وان نحتقرهم ، وان نعتبرهم مشردين ، وشذاذ افاق ، و « باريا » العالم كله ، اي منبوذي العالم كله ، مثل « باريا » الهند ، بالنسبة الى الهندوس ، وانهم ليسوا جديرين في هذه الحياة ، الا بامرين اثنين لا ثالث لهما : جمع المال كيفما اتفق ، ومن حيثما اتفق ، اولا . والتمرس باحقر الاعمال والصقها بالرذيلة ، ثانياً ، ان البرهان أقول ، على ان هذا العار ، لا يمحوه الا الثار ، قائم في حياتنا اليومية ، في حياة كل منكم ، نراه ونلمسه ونعيشه في كل لحظة . أتريدون مثالاً على هذا ، هناك مئة مثال ومثال ، اكتفي بأن اذكركم الساعة ، بمثال واحد . واحد منا هنا في بيروت ، او في طرابلس او في دمشق ، او اي مكان عربي آخر ، يغتصب بيته ويذبح اولاده ، ويهتك عرضه ، لص فاجر نذل وحش . او شخص عظيم ان شئتم ، في نظر بعض الناس ، فيغضب هذا الواحد ويسب ويشتم ، ويهدد ويتوعد و ... ولا يعمل شيئاً فماذا عسانا نقول فيه ! ولو حفلت الدنيا كلها ، بهذا الواحد ، وجعلت منه واحداً من ارباب القصور والمعامل . واصحـــاب القرى والمزارع ، وذوي المناصب والجاه والشهرة ! ان اقل ما تقولون فيه ، كلما ذكر اسمه ، او خطر لكم في بال : « خليه يغسل عارو ويحكي . الذي مثله لازم يستحي ، لازم يسكت ... » اتقولون هذا ام لا ؟ انكم تقولونه من دون شك . رغم ان هناك قانوناً ، يمكن في مثل هذه الحال ان يعاقب ذلك الغاصب المغتصب المجرم ، ويمكن حتى من الناحية العاطفية السائدة ، ان يعتبر ناس ، هذا العقاب ، غسلا للعار ، ينتفي معه الشعور بواجب الثأر . ورغم هذا ، فأنتم وانا ، نقول هذا القول . فكيف بنا ونحن امام نكبة جماعية ، لم يعرف

التاريخ لها مثيلا ! وصمت بالعار امة كاملة ، فاذا هذا العار ، بالنظر الى ظروف النكبة ، وملابساتها وأسبابها ، عار فظيع عميق ، ليس مثله عار ، وليس في الدنيا قانون يُلجأ اليه ليمحوه ! ولن يمحوه فعلاً ، حتى كأنه لم يكن ، الا الذين نزل بهم بالذات .

قلت ان ليس من قانون في الدنيا ، يُلجأ اليه لمحو هذا العار ، حتى كأنه لم يكن. واستدرك فأقول ، بلى ! ان هناك قانوناً واحداً ليس غير ، سأتكلم عليه بعد قليل.

ومع ذلك ، فلنفترض ، ان معجزة روحية ، حدثت في هيئة الامم المتحدة ، فانبرت هذه الهيئة لتطبيق القانون ، بصدد ما نحن فيه ، قانونها او ميثاقها هي نفسها ، بشأن حق الشعوب ، في الحرية والاستقلال والكرامة . وشأن تحريم عدوان شعب على شعب ، أو دولة على دولة . ووفقت الى ذلك ، وادبت تلك القبضة من الناس ، وشركاءهم ، الذين حملونا العار ، اتظنون ان عارنا يكون قد امحى ؟ ! كلا ! ان العار الذي من هذا النوع ، من نوع عارنا نحن اليوم ، لن يمحوه فعلاً ، حتى كأنه لم يكن ، الا الذين نزل بهم بالذات ، وهو لم يــنزل بالاميركان ، والبريطان والفرنسيس ، وشركائهم ، فهو ليس عارهم . والتدابير التي قد يتخذها هؤلاء في هذا الصدد انما يتخذونها ان هم اتخذوها ــ بدافع المصلحة طبعاً ، وليس بدافع الثأر ولنفترض ان من الممكن ان تؤدي هــذه التدابير ، الى تعمير ما هُدم للعرب ، وارجاع ما سُلب منهم ، اليهم ، من كل ما يدخل في نطاق المادة ، وفوقه مثله واكثر منه ، فان هذه التدابير ، حتى ولو كان في جملة ما تؤدي اليه ، طرد الغاصب المغتصب المجرم ، ما تتخذها نحن ، لا تحمل عناصر الثأر ، ولا هو من المفروض ان تحمل هذه العناصر ، فليس الذين يقومون بها بموتورين ، اذن فهي لا يمكن ان تمحو العار ! فعناصر الثأر تكمن في التدابير التي يتخذهــا الموتور بنفسه ، دون سواه . الموتور معنوياً ، الموتور بعزته وكرامتــه وشرفه ، وتكون منبثقة عن احساس نفساني باطني ، فردي وجماعي ، شخصي وقومي . هذا الاحساس الذي ما يشاركك فيه ، غيرك ، أنت الموتور بالذات . ولا تنفع فيه المشاركة ولا تستقيم . وان فلسفة

الانسانيين او البشريين ، ومهرجي السلم ، الذين لا قومية لهم ولا وطن ، انما هي تخرص وهراء وتضليل ، ما دامت هذه البشرية ، لا تستطيع ان تدعي ، أنها وصلت الى مرحلة ، تتجسد فيها البشرية ، مجتمعاً بشرياً موحداً ، قائماً في الواقع ، كما هي الحال في القومية مثلا ، ولو كان ذلك كذلك ، أي لو كانت هـذه البشرية ، بلغت — هذا اذا كان ممكناً ان تبلغ يوماً — المرحلة التي تتجسد فيها ، مجتمعاً بشرياً موحداً ، قائماً في الواقع ، لما كان هناك نكبة ، بالمعنى الذي نفهم فيه نكبتنا هذه التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ ! واذن فعار العرب عارنا كلنا ، مجتمعين ومنفردين لا يمحوه الا العرب . وبأعمال تحمل عناصر الثأر . الثأر للعزة والكرامة والشرف ، قبل المال والحجارة والطين . فما سبيل الثأر ؟ !

ايها الحفل الكريم

قد اكون اقل استعجالاً للثار ، مما تظنون ، ذلك انني اشد تحرقاً بفكرة الثأر واعمق رغبةً فيه ، مما قد تظنون ! انني اكره الحماسة الآنية . الحماسة غير الاصيلة . الحماسة السطحية الصاخبة الصماء العمياء ، التي تشتعل اشتعال الهشيم ، نضحت اطرافه بالنفط ، وتهمد همود الهشيم ، صبيت عليه الماء او التراب . هذه الحماسة . التي يمكن ان يثيرها خطيبٌ مخلص مؤمن ، صالح مصلح ، كما قد يثيرها دجال مغرض ، نفعي وصولي ، فاسد مفسد ! انني اكره هذه الحماسة ، لانني اعتقد انها امارة من امارات الجهل ، وصفة من صفات الشعوب البدائية ، وهي لا تنفع في معالجة الامور الجماعية الجدية الجسيمة ، وقد تضر . بل انها تضر حتما ، لانها — وهي لا تتصف بصفة الاصالة والاستمرار ، فيكبو صاحبها وينكص على عقبيه ، قبل بلوغ الغاية — يمكن ان يكون في الوقت نفسه ، اداة للتدجيل والاستغلال ، وللانخداع والانقياد ، مما يساعد الى حد بعيد على امتداد في الجهل ، وفي التضليل وفي الشعوذة ، وبالتالي على امتداد ما نشكو منه ، من امور جسيمة خطيرة ، موجعة مخزية ! انني احب واريد

لقومي حماسة فاهمة واعية ، عميقة مطمئنة ، لا تنضب ولا تهمد ، لانهـا تستمد عناصرها من عمق اعماق القلب والفكر والارادة . من الاحساس غير الناقص ، الاحساس النفساني الكامل الشامل ، بمقتضيات الحياة ومقوماتها ، ولا سيما من احدى ناحيتي الحياة ، اريد الناحية الروحية . هذه الحماسة الاصيلة المثمرة المحسنة . فهل يملك العرب اليوم ، مع ما ينبغي لهم ان يملكوا - لكي يثأروا - هذه الحماسة ؟!

ايها الحفل الكريم

لم يبق في وسعنا ان نخدع اجنبياً ، فقد فضحتنا النكبة ، فلنكف ، اذا كان ما يزال فينا ، بقية حياء وشرف ، عن خداع انفسنا ، وخداع بعضنا بعضاً . ولنواجه ، بشجاعة وفهم وصراحة ، حقيقة واقعنا ، وبشيء من الجد والترصن ، والاستحياء ايضاً . وليبحث الواعون ، من اهل الحياء والفهم والكرامة ، وأولي النخوة والحفيظة فينا ، عن سبيل الثأر . وانا اعتقد انهم لن يخطئوه ، اذا هم كانوا مؤمنين .

ايها الحفل الكريم

ان للشعوب امارات ، غير الكلام ، يُستدل بها على ماهية ما يعتلج في صدرها ، من أمور ، وعلى حقيقة ما يحوك في نفسها ، من احساسات ومشاعر . وما يضطرب في اعماقها ، من فكر وميول وآمال ومطامح . فاذا ما اعتمدنا هذه الامارات التي نشهدها في شعوبنا العربية ، ولا سيما بعد النكبة ، أساساً للحكم ، على ماهية ما يعتلج في الصدور ، وحقيقة ما يحوك في النفوس ، ويضطرب في الاعماق ، لم نسلم من لطمة الخيبة واللوعة والذعر ! وما اريد ان اقول واليأس !!.

ضحك في المأتم . وسفه في المصيبة ، وتهتك في الذل . وقهقهة في العار ! اناشيد غرام مبتذلة رخيصة !! وفخفخة فارغة زائفة مخربة مجرمة ! مآدب وحفلات وسكر وعربدة وفجور ! كأن شيئاً في دنيا العرب لم يقع !! وعندنا في لبنان ، واريد جبل لبنان — وما ادري اذا كان في غيره ايضاً — يموت لجارك بقرة ، فتمسك عن كل ما قد يبدو فيه ، شيء من الفرح واللهو والخفة ! اما مشاركة صادقة ، لجارك في مصيبته ، فتكون عند ذاك ، صاحب احساس عميق دقيق شريف ، برابطة الجوار وواجب الجار ، او على الاقل حياء ومجاملة ، فتكون وفيت بما يفرضه الذوق الرفيع ، والكياسة ، في حياة المجتمع ، مجتمع الناس الناس . فبالضلال العرب ، وفقر احساس العرب ، وهوان العرب ! اتكون فلسطين ، مكان ولادة اله ، في نظر فريق كبير من العرب ، ومعراج نبي رسول ، في نظر العرب جميعهم تقريباً ، فلسطين بطولها وعرضها ، وبأرواح فريق من ابنائها ، وابناء غيرها من بلدان العرب ، من شهداء وقتلى ، دون بقرة ، قيمة ووزنا !!!

ارجو ان لا يخطر في بال احد ، انني ادعو الى البكاء والعويل ، والى الاستسلام لحزن الثكالى ، وتقشف النساك ، كلا ! فما ابعدني عن هذا ، واشدني كراهية له ! ولكنني ادعو — وارضنا « المقدسة » مغتصبة ، ودورنا مهدمة ، وعيالنا مشردة ، ودماؤنا مهدورة ، واعراضنا مهددة ، وشيوخنا وكهولنا وشباننا ونساؤنا واولادنا ، يصرعهم الجوع والعري والذل ، او الخوف من الذل والعري والجوع ، وجثث شهدائنا وقتلانا ، يخوض فيها العدو ، فتكاد تسمع صريف عظامها السماء — ادعو ، ومن حقي ، ومن واجبي ان ادعو ، وهذه حالنا ، وآثار النكبة فينا ، الى شيء من الترصن ، ومن التذكر ، ومن وقار الحياء ، ومن الاحساس النفساني الصادق ! . ادعو الى الانسجام في حياتنا ، التي من المفروض ، اذا كنا ناسا عربا حقا ، ان تنسجم مع ما تقتضيه الحياة القائمة ، لكل مجتمع ، يؤلفه ناس ناس ! انني ادعو العرب ، ان لا يضحكوا في مآتمهم ، وان لا يرقصوا على قبور موتاهم ، وان لا يقهقهوا في عارهم ، وان لا يزهوا في ذلهم ، وان لا يتباهوا بماضيهم ، مهما يكن عظيما ، ما دام حاضرهم ، واقعهم هذ ، كما وصفت ، وكما هو . وان لا يجعلوا من

هيا كل العبادة ، مواخير وخمارات ومراقص ! ولا من هذه ، هيا كل عبادة وتسابيح وصلوات !!. وادعو الى ان يبعث القادة والموجهون والمسؤلون ، بالقدوة ، قبل اي شيء : الدوافع النفسانية ، والحماسة الاصيلة التي ذكرت ، في سبيل الثأر لمحو العار . وادعو نفسي الى هذا كله ، قبل دعوتي قومي اليه ، وتلبي نفسي دعوة نفسي ، فضلا من الله ، ورحمة منه بي .

ايها الحفل الكريم

كنت زعمت لكم ، ان هناك قانونا واحدا ، يبرر ، بل يحتم الثأر ، ووعدتكم الكلام عليه . ان هذا القانون ، قانون غير مكتوب على ورق ، ولكنه محفور على الجماجم ، وعلى عظام الصدور !! انه قانون الشرف القومي ليس غير ! فالقوم الذين يحسون في نفوسهم ، شيئاً له هذا المعنى : الشرف القومي ، يتجسد لهم ، تقاليد وعادات واخذاً بأساليب وتدابير معينة ، تتجسد فيها ، هي الاخرى ، معاني المثل العليا ، والقيم الروحية السامية ، تتصل بقمة الحياة ، حيث تتكامل عناصر الحي الرفيع ، وتلتقي ، لتمتزج ، ماهيات الاقوام المصفاة ، ان القوم ، الذين يحسون في نفوسهم ، هذا الشيء ، يأخذون من دون تردد ، ولا جدال ، بهذا القانون ، قانون الشرف القومي ، واخذهم بهذا القانون ، هو وحده ، في قضيتنا ، الذي يرجع الحق الى نصابه ، ويعيد الى مواضعها ، من سلم الحياة ، قيم الحياة . ويحفظ لكل جماعة ، او لكل قوم ، في مضطرب البشرية الصاعدة ـ الصاعدة رغم كل شيء ـ مكانها ، او مكانه من السفر . فالشرف القومي ، وجه من وجوه الشرف الانساني . وصورة من صوره . وجوهر من معدنه . وعبثا يطمع قوم من الاقوام ، بشيء من القيمة والوزن ، او بمكانة من مكانات الشرف ، في موكب البشرية الصاعدة هذه ، اذا هم لم يحسوا الشرف القومي اولا ، ويُحبوه ويَحيوه . وبرهاني على هذا ، اذا اعوزني البرهان ، قائم في وضعنا اليوم ، وضع العرب كلهم ، بعد النكبة .

الا ترون الى هذه الوفود التي تمثل العرب ، في المؤتمرات والاجتماعات الدوليـة ، والتي تؤلف احيانا من رجالٍ ، بينهم فريق من خيرة الرجال ، قد يكون بعضهم ، اغزر من وفود بقية الدول علما ، وارجح عقلا ، واعمق ثقافة ، واوسع اطلاعاً ، وابلغ كلاما واعلى شجاعة ، ومع ذلك فلا تحسب لهم الدول اي حساب ، ولا تقيم لهم اي وزن ، في المحافل الدولية ، والمشاكل الدولية ! ذلك انهم يمثلون قوماً ودولا ، لم تُبقِ لهم النكبة ، وبالوعة ، في الميدان الدولي ، قيمة ولا وزنا . دول وقوم ثُلم شرفهم ،وراحوا يحاولون ، في الظاهر ، وبالكلام الرخيص ، اعانة اندونيسيا وباكستان وغيرهم ، على الاحتفاظ بشرفهم سالماً ، وليس في هؤلاء ، كما اظن ، من حاجة الينا ، فسيسلم شرفهم على الارجح الاغلب . انهم ليسوا عربا من عرب اليوم! وخسروا معركة النصر في بلادهم ، وانبروا يتزاحمون لكسب المعركة في بـلاد غيرهم ، تحمساً للحرية والحق والشرف ، كما يزعمون ! وما كان اجمل هذا ، واسماه ، واروعه ، واعلقه بالمثُل الانسانية العليا ، لو انهم تحمسوا فعلا ، لهذه الحرية ، وهذا الحق ، وهذا الشرف ، في قومهم اولا ، فربحوا المعركة ، معركة الشرف والحق والحرية ، بالنسبة اليهم في بلادهم . ولو انهم فعلوا ، لكان لمحاولتهم ، وتدخلهم من اجل غيرهم ، اثر فعال مجد من غير شك ، في سياسة هذه الدول الحضارية الانسانية على زعمها ، حول حرية الناس وحقهم وشرفهم . ولاستطاعوا ، ومعهم فريق من الدول ، التي تقبح العدوان وتكرهه ، حقا وصدقا ، او لغرض ومصلحة ، ان يحدّوا من طغيان دول الاستعمار ، وعدوانها ، هذه الدول ، التي ما تعرف لها غير القوة والعدوان ، في صور مختلفة ، مركبا لمد سلطانها ، ونشر نفوذها ، واشباع نهمها وشهواتها ، ولالجأوها الى اتخاذ موقف ، فيه شيء غير قليل من الاحترام ، ان لم اقل الاحترام كله ، للحرية والحق والشرف ، في مختلف الشعوب . واستطيع ان اؤكد لكم تأكيداً تاماً ، ما يقبل الشك ، اننا لو كنا نكبنا ـ وقد اعتدي علينا ـ بدلا من ان نُنكب في فلسطين ، او لو اننا ، بعد ان نُكبنا ، وعظتنا النكبة ، فاجتمعنا واتحدنا ، ومضينا نعمل بقانون الشرف القومي جادين مؤمنين ، لمحو العار ، لخرج المحتلون من مصر ومن غير مصر ، برفق وهدوء . ولاستطعنا بعد ، اذا نحن

تحمسنا وتوعدنا ، ان نوهم الدول والامم ، اننا جادون فتصدق ... فتخشى أمراً ، فتحسب لنا حساباً ، وتقيم لنا وزناً . ومن ثم يصان الحق والحرية والشرف ، في قومنا ، وفي اقوام المجتمع البشري ، المقبل بعيداً – ان كان مقبلاً – ومن ثم يأتي الخير قومنا ، وهذه الاقوام اجمعين .

اما ان يلقاك ، او يلقاني في الدرب ، او يلقانا معاً ، شخص ما ، فيحلو له ان ينهال عليك او علي او علينا معاً سبا وشتما وتحقيرا ، وضربا بعصاه وتهشيما ، فينظر الواحد منا الى الآخر ، بحذر وريبة ، ولا نعمل شيئاً ، ثم يصاب واحد اخر ، قريب منا ، او بعيد ، امام اعيننا ، بما أصبنا به نحن ، فنهدد الذي يسبه ويضربه ، ونتوعده ان هو لم يكف عن سبه وضربه ، اما هذا ، فاسمحوا لي ان اقول ، انه نوع من انواع بلادة الحس ، وقلة الحياء ... من جهـة ، ومدعاة من جهة اخرى ، الى السخرية والهزؤ ، والضحك ازدراء وشماتة .

ان شيئاً واحداً بعينه ، يمحو عنا العار ، وليس يمحوه اي شيء آخر على الاطلاق انه الثأر .

ولست الآن ، بواضع خطة مفصلة للثأر ، على انني اواخذ نفسي ، اذا انا لم اشر الى الخطوط الكبرى ، في هذا الصدد ، او ما اعتبره خطوطاً كبرى : يجب ان يحس العرب اولا ، وقبل كل شيء ، حقيقـة ما هم فيه . ان يحسوا وقع النكبة ، احساساً جماعياً صادقاً ، ليتغـير طراز معيشتهم ، وطراز تفكيرهم . وان يجدوا ويؤمنوا ، فما يزالون حتى الآن ، غير مؤمنين ، وغير جادين . ولتطبق خدمة العلم ، في الدول العربية ، منذ اليوم ، اذا كانت هذه الدول مصدقة فعلا انها دول ... وانها تملك امر نفسها ، وليتجند ابناء النازحين في جيوش هذه الدول ، على ان تقوم هذه الدول العربية ، وليس هيئة الامم المتحدة ، ولا غيرها ، باسكان كل عائلة من عائلات النازحين ، المعوزين منهم ، في الاراضي العربية . كل دولة وسعها . واجباً وحقاً وليس منحة . وتيسر لهم ، أسبـاب الجهد الانساني المنتج ، بالطرق الفنية الحديثة ، في ميدان العمل الشريف . وكل عمل ليس فيه غش ولا سرقة ولا احتيال ولا تواخ ولا استجداء ، كل عمل ، يعمل بجد وامانة واخلاص ، عمل شريف . وطاقة الدول العربية المادية ، لا يستنفدها مثل هذا العمل ، وان يكن عملاً ضخماً ، ثم هو

يعيد بالنتيجة الى هذه الطاقة ، ما يكون قد بذل منها ، ويشميها .

وان هناك دولتين او ثلاث ، من هذه الدول العربية ، تستطيع وجدها ان تحقق هذا العمل ، اذا هي كانت مصدقة لنادول بين الدول ، واذا هي عملت بشرف وعقل وعلم ، وفن ونظام ، فتكفي العرب – وفي مقدمتهم اخواننا النازحون – معالجة ذلهم ، ذل العرب كلهم ، بذل مثله ، او ابشع منه ! وتحول دون نكبة ابشع وافظع من النكبة ، نكبة الاتجار بالنكبة !

وليلقن شبـــان العرب وشاباتهم ، وأولادهم ، واطفالهم ايضاً ، ما كان يلقنه الفرنسيون ، بعد الحرب السبعينية بشأن الالزاس واللورين . ليلقنهم هذا جماعة القواد ، والضباط ، والمعلمين والمعلمات ، والآباء والامهات ، والجرائد والمجلات ، في الثكنة والمدرسة والمنزل والمكتب ، وفي كل مجلس وفي كل اجتماع وكل مكان ولينقطع العرب ، ويترفعوا عن استجـداء اليانور روزفلت ، ومليانور ترومان ! وليكفوا عن الهتاف والتعييط ، فالعاصفة تعصف فتقتلع الادواح من دون انذار ! والصاعقة تنقض فتصعق الجبال ، كذلك من دون انذار . هذا هو سبيل الثأر ومحو العار ، اذا كنا نحس بفعلا أننا موتورون ! واذا كنا نريد فعلا ان نستعيد فلسطين !

اما ان تعيد هيئة الامم المتحدة ، النازحين او بعض النازحين عن فلسطين ، الى فلسطين – هذا ان هي أعادتهم – فهذا لا يعني اننا استعدنا فلسطين ، ولا يعني اننا محونا عنا العار . انه يعني شيئاً آخر ، يدهشني ويحيرني اننا لا نعيه !! انه يعني اقراراً لانسلاخ فلسطين عنا . وتأييداً لاغتصابهم اياها منا . ويعني امتداداً للذل ، ودخولا في ذل الدل .

ايها الحفل الكريم

ان الذي افهمه في صدد ما نحن فيه ، هو ان يريد العرب – ولله عباد اذا ارادوا اراد – ان يريد العرب ، اقول ، ان يستعيدوا فلسطين ، فهذا امر طبيعي

بل هو وحده الامر الطبيعي ، في هذه القضية بالذات. اما ان يعادوا الى فلسطين ، تعيدهم اليها اليانور روزفلت ومليانور تورمان وراشيل وايزمن ، وشركاهم ، اما هذا فاعترف انني عن فهمه من العاجزين !! وفرق بين الامرين ، كما تدو كون حتما ، لا يعدله فرق ، بين امرين آخرين ، من مختلف امور الاولين والآخرين .

وافهم كذلك ان يحن اخونا النازح الفلسطيني الى بيته ، الذي ورثه عن ابيه وجده ، او الذي قد يكون بنـــاه هو بنفسه ، وان يحن الى بستانه ، الى تينته وزيتونته وبرتقالته ، حتى ولو كان ذلك البيت كوخاً ، وكان ذلك البستان مصوحاً ، وان يحن الى ملعب صباه وشبابه ، ومقيل كهولته وشيخوخته ، وان يحن الى اقصاه وقيامته(١) ، انه حنين طبيعي وجميل وعذب ومحبب هذا الحنين ، ولكن هناك حنيناً آخر ايضاً جميلا ، وعذباً وسامياً ومحبباً ورائعاً جداً ، يجدر بالنفس العربية ان تكون متغلغلا له ، وقد كانت ، فيما اعلم ، كذلك ، في خاليات السنين . الحنين الى المثل العليا . الحنين الى الرفعة والعزة والكرامة ، الحنين الى العيشة الراضية في الحمى المنيع ، يضاحكه السؤدد ، ويخفض له جناحه المجد الاثيل .

ان لكيفية العودة الى البيت الذي اغتصب ، والبستان الذي نهب ، والملعب والمقيل اللذين وطئتها الاقدام القذرة وعاثت فيها الثعالب المستأسدة ، لشأناً رئيسياً اساسياً خطيراً جداً في نفس العربي الاصيل ، اذا هو كان من العرب الشجعان ، الاباة ، البعيدي النظر ، الخيرين المؤمنين !!

ان استعادتنا نحن العرب ، لفلسطين ، امر فيه وحده معنى الثأر ومحو العار . وفيه وحده – ولذلك ادعو اليه بايمان واصرار – مفتاح الظفر من جديد باحترام الناس ايانا ، وتصحيح نظرتهم الينا . وفيه نقطة انطلاق الى حياة جديدة ، المرجو ان تقوم على اسس جديدة ، من العمل المنتج ، ومن العلم ، العلم العـــالمي ، ومن النظام ، ومن اخـــلاق الرسالة . وعندئذ ، عندئذ فقط ، نصير ، ونعتبر عنصراً صالحاً قوياً فعالا ، في نشر الحضارة البشرية المحسنة ، واغنائها . وفي خدمة السلم العملي الصحيح ، خدمة صادقة منتجة ، في الشرق الاوسط ، وفي العالم كافة ، هذه الحضارة

(١) الجامع الاقصى وكنيسة القيامة

وهذا السلم الذين تدعي خدمتها هذه الدول الكبرى،التي تسمي نفسها ديموقراطية وحرة وانسانيـــة . والا فسنبقى صلصالاً تحت ارجل « الفواخرة » وبين ايديهم يفبركون منا اللعب والتماثيل والانصاب .

ايها الحفل الكريم

سقيا لايام ، كنا نقول فيها الصدق ونقرر الحقيقة الواقعة ، حينا نقول ، بلسان شاعرنا بشامة بن حزن النهشلي ، لساننا يوم ذاك ،ما قال . ترى متى نعمل نحن،من جديد ، اياما مثل تلك الايام ، من هذه الناحية على الاقل ، فيقول من يقول منا صادقاً ، كما قال النهشلي صادقاً :

انى لمن معشر افنى اوائلهـــم ... قيل الكماة الا اين المحـــامونا
لو كان في الالف منا واحد ودعوا ... من فارس ؟ خـــالهم اياه يعنونا
اذا الكماة تنحوا ان يصيبهم ... حـد الظباة وصلناهـــا بأيدينا

فهرست الكتاب


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت